

## الباب الأول

شبلې النعمانى : حياته وآثاره



# الفصل الأول

## حياته ومؤلفاته



## أولاً: حياة(\*) شبلي النعماني

\* ميلاد شبلي ونشأته: «أجداد شبلي وأسرته:

ولد شبلي في قرية «بندول» وهي من أعمال مدينة «سكري» القديمة التي ورد ذكرها في كتاب «آئين اكبرى» وكانت موطناً للمراجيوت، ولا يزال الراجيون يقيمون فيها حتى الآن وتقع في إقليم اعظم كَرطَه وقد أسلم كثير من سكان «بندول» ومنهم أسرة شبلي التي كانت أصولها الاولى هندوسية من الراجيوت واعتنق جده الاعلى «شيوراج سنك» الإسلام وسمى: سراج الدين وكان من كبار الإقطاعيين واصحاب السطوة والنفوذ في قرية «بندول» وفي القرى المجاورة، ثم تولى منصب جابي الضرائب واستمر هذا المنصب رداً من الزمن تتوارثه الأسرة.

وقد نال سهراب حفيد سراج الدين مكانة دينية رفيعة وبإيعه الناس مرشداً دينياً فكان أول من لقب بلقب «شيخ» حيث كان من عادة الراجيوت الذين أسلموا أن يطلقوا لقب «خان» على المرشد الديني، بينما كان جدا شبلي منشى حسن على وأخوه منشى وارث على محصلين في الإدارة المالية بأعظم كَرطَه، أما جده لأمه الشيخ قربان قنبر الانصارى فكان من أشهر المحامين في أعظم كَرطَه، في بداية الحكم الإنجليزي وكان

---

(\*) هناك مؤلفات عديدة تناولت حياة شبلي وأعماله منها على سبيل المثال لا الحصر: «سيرت شبلي» لإقبال سهيل، «تنقيد شعر العجم» لمحمود خان شيراني، «الميزان» فوق رضوى، «تذكره شبلي» أمين زبيري، «شبلي نامه» وه موج كوثر، محمد إكرام، «شبلي ايكدبستان» افتاب أحمد صديقي، «شبلي كامرتبه اردو ادب مين» عبد اللطيف أعظمي، «مطالعة شبلي» شجاعت على سنديلوي، «اردو كاهتريين انشا پرداز» سعيد الأنصارى. وعلى رأس هذه الكتب جميعاً يأتي كتاب «حيات شبلي» لتلميذه سيد سليمان الندوى إلى جانب عدد شبلي في مجلات: اديب وصبا والبصير. وقد تناولت هذه الكتب حياة شبلي مدحاً وقدحاً وقد آثرت الاعتماد فيما كتبتة عن حياة شبلي على كتاب «حيات شبلي» لسيد سليمان الندوى لسببين:-

الأول: إن هذا الكتاب الضخم حوالى ألف صفحة تقريباً يحتوى على سيرة شبلي بطريقة موضوعية لأنه كان قريباً من وقائعها وكان أقرب التلاميذ إلى نفس شبلي، حيث عهد إليه بتكميل كتابه «سيرت النبى» فقام بهذه المهمة خير قيام. والثانى: أن هذا الكتاب كان من الناحية الزمنية أقرب كتاب عن حياة شبلي والمرجع الرئيسى لما كتب عن حياة شبلي فى الأردية.

شاعراً قرض الشعر في مناقب أهل البيت كما أن مولانا حميد الدين مؤلف كتاب «نظام القرآن» حفيد للشيخ قنبر الأنصاري<sup>(١)</sup>.

وأبوه هو الشيخ حبيب الله تلقى تعليمه الأولي وتعلم اللغة الفارسية وأبدى فيها نبوغاً خاصاً في تذوق الشعر الفارسي كما صرح شلبي بذلك في كتابه «شعر العجم»<sup>(٢)</sup> وتعلم بدايات اللغة العربية ثم تقدم لامتحان القانون ونجح وأصبح محامياً مشهوراً في المحكمة العليا بإله آباد وكان له دور بارز في حفظ الأمن في منطقة «سكري» عندما قامت ثورة ١٨٥٧م وشارك في العديد من الأعمال العامة كبناء السدود والكباري وكان الشيخ حبيب يملك مزارع كبيرة للنيلة كما أقام مصنعاً للسكر.

أما والدة شبلي بنت حاجي قربان قنبر الأنصاري فكانت سيدة فاضلة تتصف بالورع والتقوى وقد أكثر شبلي من ذكر محاسن والدته وذكر أنه تعلم منها صلاة قيام الليل وقد توفيت سنة ١٨٨٦م ورثاها شبلي في القصيدة التي رثى بها مولانا محمد إسحاق، وفي عام ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨م شيد شبلي تخليداً لذكراها قاعة في المدرسة القومية (نيشنل اسكول) التي تعرف اليوم باسم مدرسة شبلي العليا بأعظم كَرطه<sup>(٣)</sup>.

#### \* إخوة شبلي :

كان للشيخ حبيب الله أربعة أبناء وبنات وقد تزوجت ابنته ثم ماتت في حياته، وكان شبلي أكبر ابنائه يليه مهدي حسن وكان ذكياً وعلى خلق ويكن له شبلي محبة خاصة، وسافر إلى إنجلترا لتلقي التعليم بها في أبريل ١٨٨٥م، وألقى شبلي قصيدة رائعة في وداعه، وحصل على شهادة الثانوية من إنجلترا ثم عاد إلى الهند سنة ١٨٩٢م وعمل موظفاً عدة سنوات ثم توفي في ٢٩ يونيو ١٨٩٧م، والأخ الثاني لشبلي هو مولوي محمد إسحاق وكان من أنجح المحامين في المحكمة العليا بإله آباد وكان يتمتع بخلق قويم وذكاء حاد وتوفي في شبابه في أغسطس ١٩١٤م، والأخ الثالث هو محمد جنيد النعماني وهو أصغر إخوة شبلي وعمل بعض الوقت في المحاماة في أعظم كَرطه ثم في المحكمة القضائية ثم رئيس قضاة كانبور<sup>(٤)</sup>.

(١) سيد سليمان الندوي: حيات شبلي: ٥٨-٦١ (ط ٥. اعظم كَرطه. ١٩٨٥م).

(٢) شبلي النعماني: شعر العجم: ١٨/٤.

(٣) سيد سليمان اندوي: المرجع السابق: ٦١-٦٥.

(٤) سيد سليمان الندوي: حيات شبلي: ٦٦-٦٨.

## \* طفولته وتعليمه الأولي :

ولد شبلي في ذى القعدة ١٢٨٤ هـ / مايو ١٨٥٧م إبان الثورة الهندية<sup>(١)</sup> ومن الصدف العجيبة أن يولد شبلي في نفس اليوم الذي استولى فيه الثوار على جانب من سجن المديرية وأطلقوا سراح كثير من السجناء، وسمى الوالدان الطفل باسم «محمد شبلي» وهو اسم يتناسب مع الذوق الصوفي والعرفاني للشيخ حبيب الله الذي سمي الابن الأصغر «الجنيد»، وشبلي صوفي كبير اشتهر باسم الشيخ شبلي<sup>(\*)</sup> البغدادي وتوفى في ٣٣٤ هـ وهذا لقبه واسمه الحقيقي أبو بكر دلف بن مجدد وينتسب شبلي إلى موطنه شبليه في تركستان وغلبت عليه هذه النسبة حتى حلت محل اسمه، وكان شبلي يكتب مؤلفاته الأولية باسم «محمد شبلي» ثم «شبلي» فقط وبعد ذلك أضاف إليه «النعماني» وينخدع بعض الناس من هذه النسبة «نعماني» ويظنون أنه من أولاد الإمام أبي حنيفة النعماني بن ثابت أو ينتسب إلى أسرته إلا أن كليهما غير صحيح. ويرجع سبب هذا الظن إلى أن شبلي كان حنفياً متعصباً في بداية أمره وبعد هذا اللقب فخراً له في حين أن طبعه يميل إلى التجديد فقبل له «نعماني» بدلاً من «حنفي» ولم يختار شبلي هذه النسبة بنفسه بل لقبه بها أستاذه مولانا فاروق چرياكوتي وكان من غلاة الحنفية.

وقد تخلص شبلي في شبابه بـ «تسنيم» في الأردية وبـ «شبلي» و«نعماني» في الفارسية، يقول:-

به خواریء که زکوی تو رفت نعمانی کمان برم که ازین بس دکر نمی آید<sup>(٢)</sup>

(١) رام بابو سکسینه : تاریخ ادب اردو : ٤٦٦ ، دائرة المعارف الإسلامية : ١٣ / ١٦٨ - ١٧٠ ، دائرة المعارف الأردية : ١١ / ٦٥٠ - ٦٥٢ .

(\*) أبو بكر الشبلي (٢٤٧-٣٣٤هـ / ٨٦١-٩٤٦م) . هو دلف بن جحدر الشبلي كان في مبدا أمره واليا في دنباوند من نواحي رستاق الري وولي الحجابة للموفق العباسي وكان أبوه حاجب الحجاب ثم ترك الولاية وعكف على العبادة فاشتهر بالصلاح، وله شعر جيد سلك به مسالك المتصوفة، أصله من خراسان ونسبته إلى قرية «شبله» من قرى ما وراء النهر ومولده بسر من رأى ووفاته ببغداد، اشتهر بكنيته واختلف في اسمه ونسبه فقبل دلف بن جعفر وقيل جحدر بن دلف . (الحافظ أحمد بن عبد الله الإصفهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . الطبعة الأولى دار الكتب العلمية . بيروت - ١٩٨٨ : ١٠ / ٣٦٦-٣٦٧ وابن خلكان : وفيات الاعيان : ١ / ١٨٠ .

(٢) بسبب المهانة التي جرت من شعرك يا نعماني، فإني لاظن أن هذا لن يعود ثانية .

ويتخلص باسمه كاملاً في هذا البيت :-

هم زفيض شبلى نعمانى است اين كه دوهر شيوه يكتابوده ام<sup>(١)</sup>

ويبدو من هذا البيت أن الوزن فقط هو سبب تبديل تخلصه .

وقد عاش شبلى طفولة مرفهة وهانئة وكان ذكياً بالفطرة ويتمتع بذاكرة قوية وقد وهب الشيخ حبيب الله ابنه شبلى لتعلم الدين والعلوم الدينية فى سبيل الله لكنه ألحق أولاده الآخرين فى مدارس للتعليم الإنجليزى العالى، وطبقاً للتقاليد القديمة ألحق الشيخ حبيب الله شبلى فى المدارس الدينية فتعلم اللغة الفارسية والاردية والقرآن الكريم واللغة العربية وذلك فى قرية جيراچپور القريبة من قريته «بندول»، وكان حكيم عبد الله المتوفى ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م أول أستاذ تلقى العلم على يديه وكان هو بدوره تلميذاً للمفتى محمد يوسف الفرنج محلى، وبعد ذلك قرأ شبلى على مولوى شكر الله المتوفى ١٣١٥ هـ / ١٩٨٧ م وكان من سكان سبرهد فى أعظم كَرطه كما تتلمذ على المفتى محمد يوسف، وقد أثنى أساتذته عليه وظهر ذوقه الشعرى مبكراً وكان شبلى ينتهز فرصة فراغه ويتجول فى المكتبات ويختلف إلى بائعى الكتب فى المدينة يقضى أوقاته بينها يقلب صفحات الكتب ويقرأ الدواوين حتى حفظ أجمل الأشعار<sup>(٢)</sup>.

ثم قال الشيخ حبيب بالاشتراك مع وجهاء المدينة وأثريائها بإقامة «المدرسة العربية» بأعظم كَرطه وعُين فيها مولانا (سخاوت على جونپورى) وهو من خاصة تلاميذ فيض الله - مدرساً أولاً بها فقرأ عليه شبلى بعض الكتب العربية<sup>(٣)</sup>، وقد تتلمذ شبلى فى هذه المرحلة على كثير من الأساتذة المشهورين فى عصره وهم: مولانا على عباس چرطياكوتى، ومولانا هدايت الله جونپورى، ومولانا فاروق چرياكوتى (سياتى الحديث عنهم بالتفصيل عند ذكر أساتذة شبلى).

\* سفره للدراسة فى لاهور ورامپور وديوبند عام ١٢٩١-١٢٩٢ هـ:

وعلى الرغم من أن شبلى قد أتم تعليمه على يد مولانا فاروق إلا أن ذوقه العلمى

(١) هذا الأمر أيضاً من فيض كرم شبلى نعمانى، فقد أصبحت متفرداً فى كل أسلوب .

(٢) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٦٩-٧١.

- جراهام بيللى: الأدب الإسلامى فى شبه القارة الهندية الباكستانية، ترجمة حسين مجيب المصرى:

.٣١٧

(٣) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٧١.

وظموحه المستمر دفعاه إلى السفر إلى مختلف أنحاء الهند لتلقى المزيد من الأدب والفقهاء والحديث على أساتذة العصر وزاد شوقه إلى طلب العلم فتلقاه في لكنا وعلى يد مولانا عبد الحى فرنگى (فرنج محلى) وفى «سهارنپور» على مولانا أحمد على المحدث، وفى (ديوبند) على مولانا محمد القاسم، وفى رامپور حضر مجالس العلماء فى شتى العلوم فى أيام نواب كلب على خان. وكان شبلى ملما بقدر كاف من العلوم التى تلقاها عن مولانا فاروق ولم يكن فى حاجة إلى مزيد منها، لذا اكتفى بشرف التلمذة على مولانا إرشاد حسين الرامپورى<sup>(١)</sup> فقط، وقد حضر شبلى حلقة دروسه ودرس عليه الفقه عاما كاملا، وظل يعترف باتساع نظره وإصابة فكره ونظريته الاجتهادية المتعمقة وكمال فهمه وإدراكه وقوة تفقعه.

ثم ذهب شبلى إلى (ديوبند) وظل بها قرابة شهر ولم يشترك فى التعليم المنظم بها لكنه تعلم هناك رسالة فى الفرائض واستعار عدة كتب من مكتبة (ديوبند) وكتب اسمه عليها ولا تزال هناك حتى الآن مكتوباً عليها اسمه. وفى لاهور التقى بمولانا فيض الحسن السهارنپورى وكان يعمل أستاذاً للأدب فى الكلية الشرقية بجامعة البنجاب وأديبا لم تنجب أرض الهند مثله منذ قرون وقد تجشم شبلى مشاق السفر إليه للعب من فيض علمه فى الوقت الذى كان يستعد فيه لامتحان المحاماة ودون رغبة من والده ولم يكن معه ما يكفيه من نفقات السفر وعاش فى لاهور حياة جافة أقرب إلى الفقر وقد أرسل لوالده خطابا شرح له فيه حياته فى لاهور ويمكن لنا أن نعلم منه ما كان يتكبد من المشقة فى سبيل تحصيل العلم ومع ذلك كان راضياً مطمئناً.

وبدا شبلى يتلقى دروسه فى الأدب على يد فيض الحسن فى أوقات فراغه وهى المسافة التى يقطعها من منزله إلى الكلية ذهاباً وإياباً وعندما أخذ فيض الحسن إجازة لمدة شهرين ليقضيها فى بلده سهارنپور رافقه فيها شبلى وظهر لديه فى ذلك الوقت التذوق الكامل للشعر والأدب العربى وبدأ يحفظ ديوان الحماسة ودرس كتاب «جمهرة أشعار العرب» لأبى زيد محمد القرشى وهى مجموعة من قصائد شعراء الجاهلية وكان من عادة الناس فى ذلك الوقت أن يتجه الطلاب لدراسة علوم الحديث بعد أن ينتهوا من

---

(١) مولانا إرشاد حسين الرامپورى من أولاد مجدد الألف الثانى، تعلم فى لكنا وعلوم العقلية ثم تعلم باقى العلوم على ملا نواب الأفغانى وكان من كبار عصره ومريدا لشاه أحمد سعيد المجددى الدهلوى وكان نابغا فى علوم الظاهر والباطن وتوفى فى ٨ جمادى الآخرة عام ١٣١١ هـ... (حافظ على أحمد شوقى: تذكره كاملان رامپور: ٣٠).

تعلم العلوم والفنون الأخرى لذا اتجه شبلي لدراسة الحديث واختار أشهر المحدثين ليتلقى عنه هذا العلم وكان مولانا أحمد على السهانپوری إماماً لعلم الحديث في عصره فقراً الحديث عليه<sup>(١)</sup>.

### \* تكميل شبلي دراسته ورغبته في المناظرات :

لم يكن تأثير المنطق العملي الذي تلقاه شبلي عن مولانا فاروق قاصراً فقط على الخطب والتقارير بل كان يتناظر مع المدعين طبقاً لقواعد الاستدلال المنطقي وكان اسمه مميزاً بين أقرانه عندما تثار أى قضية على بساط البحث، وبعد أن ترك شبلي سهانپور اتجه أولاً إلى لكنا وحيث كان صديقه مولانا عبد الحى يقيم فى فرنج محل بمدينة لكناو وكان الطلبة هناك يجتمعون فى مسجد حيدر بخش وتبدأ المناظرات. وشارك شبلي كذلك فى مناظرات رامپور مع مولانا عبد الحق خير آبادى.

وكانت دروس مولانا أحمد على آخر الدروس التى تلقاها شبلي وكان فى ذلك الوقت يقرأ سنن الترمذى عندما عزم والده وبعض أفراد أسرته السفر إلى الحج وكان شبلي متشوقاً لهذا السفر ليتمكن من رؤية روضة الرسول وشاور شيخه فى أمر السفر فشجعه عليه وعزم شبلي على السفر فاتجه من سهانپور إلى بومباى وكان فى التاسعة عشرة من عمره وحصل العلم فى أربعة عشر عاماً بدأه عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م وانتهى منه عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م<sup>(٢)</sup>.

### \* سفر شبلي للحج ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م:

وفى نفس السنة سافر شبلي من بومباى إلى الحجاز مع هذه القافلة المقدسة وقد دون هذا الحدث فى بيت شعر له فى القصيدة التى نظمها عام ١٨٩٢م بمناسبة سفره إلى القسطنطينية يقول:-

فارغ از حج و زيارت جو مرا كرد خدای خواستم تابسوى روم شوم راه سپر<sup>(٣)</sup>

وقد واصل شبلي اطلاعه وتعلمه فى هذا السفر المقدس فقد قال بعد أن نهل من

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلي: ٧٨-٨٥. ورام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٦. - دائرة المعارف الإسلامية: ١٣/١٦٨.

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلي: ٨٧-٩٠. ورام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٦-٤٦٧.

(٣) بعد أن اخلانى الله من الحج والزيارة، أردت التوجه نحو بلاد الروم (تركيا).

العلم الموجود فى مكتبات المدينة المنورة:- «لم أر من قبل كنوز علم الحديث التى اطلعت عليها هنا» وعندما ذكر أمامه كتاب «التمهيد» لابن عبد البر وهو فى شرح موطأ الإمام مالك «لقد رأيت نسخة خطية له فى المدينة المنورة» وقد رأى شبلى فى هذه الرحلة حكايات عجيبة ومثيرة عن الصوفية وتأثراً عظيماً بكرم العرب وبساطتهم وغيرتهم وأخلاقهم القويمة<sup>(١)</sup>.

### \* أول عمل قومى لشبلى ١٨٧٧م:

فى الوقت الذى آتم فيه شبلى تعليمه ظهر فى العالم الإسلامى حركة كبرى هى «الجامعة الإسلامية» وكان السيد جمال الدين الافغانى أول الداعين لها وكان آنذاك يقيم فى القسطنطينية وذلك فى عهد السلطان عبد الحميد وقد استفاد السلطان التركى من هذه الحركة، أصبح له مكانا سامية فى جميع بلدان العالم الإسلامى، وفى تلك الأثناء نشبت الحرب بين الأتراك والروس عام ١٨٧٧م فاشتعلت نيران الحماس فى أنحاء البلاد وبدأوا يدعون للسلطان بالنصر ويجمعون التبرعات من الناس للجرحى وكتبت المقالات القوية وألقيت الخطب الحماسية، وكان شبلى فى ريعان شبابه فذكر هذه الجذوة وقام بجمع التبرعات فى اعظم كَرَاهٍ وأرسلها إلى تركيا عن طريق سفيرها فى بومباى حسين حبيب أفندى<sup>(٢)</sup>.

### \* أعماله العلمية والأدبية من عام ١٨٧٨ حتى ١٨٨٢م:

ظل شبلى فى اعظم كَرَاهٍ حتى عام ١٨٨٢م وكان أحيانا يتقدم لامتحان المحاماة وأحيانا يعمل فى إحدى الوظائف ويعمل أحيانا أخرى فى تجارة النيلة، وبالرغم من عدم استقراره إلا أن أعماله الأدبية والعلمية والقومية ظلت كالمعتاد لم تتأثر حيث كتب فى هذه الفترة قصائد ورسائل واحتفظ بها كما كانت له محاولات بدائية فى الغزل الفارسى وأصبح الشعر همه الأول حيث كان كبار العلماء فى عصره ينظمون الشعر مثل: مفتى صدر الدين آزرده وكان شاعراً فى الفارسية والأردية وصديقا لاسد الله خان غالب وهو صاحب تذكرة آزرده، وكان مولانا فيض الحسن يقرض الشعر الأردى علاوة على الشعر العربى، بينما كان مولانا فاروق عالماً بالموسيقى وشاعراً. وعلى كل حال نظم شبلى فى تلك الفترة عموماً قصائد وغزليات فارسية وصار له شهره واسعة فى الشعر الأردى آنذاك

(١) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٩١-٩٢.

(٢) المرجع السابق: ٩٣-٩٦.

وكان يشترك في الندوات الشعرية التي كانت تقام في أعظم كرتهم ولاقى غزلياته قبولاً واستحساناً .

وفي ٥ صفر عام ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢م كتب ملحمة باسم «كابل وقندر» وهي في وصف حرب كابل وقد شارك فيها أحد الإنجليز وكتب أبياتاً بالإنجليزية في وصفها فطلب منه والده أن ينقل هذه الأبيات إلى الأردية فكان يسمع الترجمة النثرية ويقرض عليها الشعر بالأردية ويقول مطلع القصيدة:-

- لو سنوتيغ ومنان كي داستان رايت وطبل ونشان كي داستان<sup>(١)</sup>

وفي تلك الفترة قام شبلي بالرد على مولانا سلامت الله الذي دعا إلى ترك التقليد والجمهر خلف الإمام بكلمة «آمين» وقراءة الفاتحة خلف الإمام وغيرها من المسائل وكتب كلاهما الرسائل في ذلك وكان شبلي حاداً في الرد عليه. ويتضح من أسلوب هذه الرسائل مدى قوة أسلوبه في الكتابة الأردية قبل أن يلتقي بالسير سيد أحمد خان، حيث كان لديه القدرة على حل المسائل الفكرية والأسلوبية إلى حد ما كما يبدو كذلك كيفية تعامله مع الفرق والاتجاهات المختلفة في هذا الوقت الحساس، وكان شبلي كسائر العلماء الأحناف يعتقد أن قراءة الفاتحة خلف الإمام ليست واجبة بل مكروهة وبناء على هذا كتب رسالة مختصرة باللغة العربية هي «إسكات المعتدى على إنصات المقتدى» وتقع في أربع وعشرين صفحة وطبعت ١٢٩٨ هـ في مطبعة نظامي كانپور وتداولها الناس<sup>(٢)</sup>. وعندما سافر إلى البلاد الإسلامية ووصل إلى مصر والشام وتركيا عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢م احترمه بعض العلماء وقدره على هذه الرسالة وقد ذكر شبلي هذه الواقعة في «سفرنامه»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) سيد سليمان الندوي: حيات شبلي: ٩٧-٩٩. (استمعوا إلى قصة السيف والرمح، وقصة الراية والطبل والبيرق).

يقول سيد سليمان الندوي «لم أعرف له من بين تلك الرسائل غير واحدة هي «ظل الغمام في مسألة القراءة خلف الإمام» وهي بالأردية وتقع في أربعين صفحة وطبعت عام ١٢٩٢ هـ في مطبعة نظامي المشهور في كانپور وهي رد على إحدى رسائل مولانا سلامت الله وأثبت ادعائه بالحديث والقرآن في موضوع ترك القراءة أولاً ثم أشار إلى الأحاديث المعارضة وأظهر خطأه بالأدلة القاطعة: حيات شبلي: ١٠٢).

(٢) سيد سليمان الندوي: حيات شبلي ١٠٠-١٠٤ ورام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٧.

(٣) شبلي النعماني: سفرنامه: ٣٣.

وفى سنة ١٨٧٧م أصدر «منشى سجاد حسين» الصحيفة الساخرة «اوده بنج» وكان كبار الشعراء والكتاب يكتبون فى هذه الصحيفة آنذاك وكانت هذه الصحيفة من الناحية السياسية تدافع عن حزب المؤتمر وكان يكتب فيها الموضوعات الساخرة جداً والمعارضة للسيد أحمد خان، وكان شبلى يقرأ هذه الجريدة بشغف وكانت معرفة شبلى «لمير أكبر حسين أكبر إله آبادى» (\*) قبل ذهابه إلى على كرتيه عن طريق هذه الصحيفة ونشرت لشبلى فيها بعض الغزليات .

وفى ذلك الوقت أصدر منشى نثار حسين فى لكتناو مجلة شهرية قيمة للغزل الأردى باسم «گلدسته بياں يار» أى باقة رسائل الحبيب» وكان شبلى يقرأها وقامت بين شبلى ونثار حسين روابط وثيقة كان من ثمارها اهتمام نثار حسين بطبع مثنوى «صبح اميد» أى «صبح الأمل و» مسلمانون كى كذشته تعليم» أى «تعليم المسلمين فى الماضى» وذلك لأول مرة<sup>(١)</sup>.

### \* اهتمام شبلى باللغة العربية :

على عادة أهل زمان شبلى اهتم بتعليم اللغة العربية وقد أتقنها شبلى وكتب بها عدة رسائل دينية كما مر بنا وألف كتابين بها هما «الجزية» و«الانتقاد على التمدن الإسلامى لجورجى زيدان»، وقد عثر له على رسالة باللغة العربية بخط يد هـ وأوراق أخرى كانت عند شبلى باسم «ديوان الصبابة» لابن أبى حجلة التلمسانى المثنوى المتوفى ٧٧٦ هـ والذى جمع فيه مجموعة من أشعار الغزل العربية الرائعة وقد كتب شبلى فى بداية هذه الرسالة «هذا» ديوان الصبابة» يصل إليكم، أما إنى فلا يمكننى الحضور لديكم لانى اشتغلت بأمور غير طائلة وقعدت همتى وصرفت عنان العناية إلى الدنيا وبرأت من تحصيل كمال العلم والأدب ذمتى فإنى بحمد الله خلقت وكسب الفضل سيط فى دمي، فهو لا يفارقتى إن شاء الله فى حالتى وجودى وعدمى بل لانى لملازمتى لهذه العهدة

(\*) أكبر إله آبادى: واسمه سيد أكبر حسين رضوى ولد فى ١٦ نوفمبر ١٨٤٦م فى أسرة فقيرة وتلقى تعليمه الأولى فى المدارس الحكومية وفى عام ١٨٦٦م عمل فى وظيفة نائب محصل وتدرج فى عدة وظائف حتى عين قاضيا عام ١٨٨٨م وفى عام ١٨٩٤م نال من الحكومة لقب «خان بهادر» وتوفى فى سبتمبر ١٩٢١م. وكان شاعرا عظيماً عرف بلون خاص هو الشعر الساخر. (رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٣٧٧).

(١) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ١٠٧-١٠٩.

الرديلة أدوم أتفكر في حالتي فيزيد همي ويزداد ملالتي وبيدكم الإنصاف وما هذا إلا الجور والاعتساف فصبر جميل وهو حسبي ونعم الوكيل (ش . نعماني) (١).

وقد كتبها شبلي في الغالب بين عامي ١٨٨١م و ١٨٨٢، لأن شبلي كان يوقع آنذاك بـ(ش . نعماني) ونلاحظ عليه عدة أمور أولها أن لغته كانت في ذلك الوقت بسيطة وصافية وخالية من تأثير الأسلوب الهندي وتكلف المتأخرين وثانيها أنه كان لديه الرغبة في قراءة الكتب النادرة.

### \* دراسة شبلي للمحاماة العمل بها في أعظم كَرطه ١٨٧٩-١٨٨١م:

بعد أن أم شبلي تعليمه أراد أبوه أن يتجه إلى مهنة يكسب منها عيشه وكانت المحاماة في نظره حرفة محترمة حيث كان أبوه وخاله من كبار المحامين في أعظم كَرطه وكان من الطبيعي أن يقترح عليه والده أن يعمل في المحاماة لكن شبلي لم يكن يميل إلى هذا العمل ورغم ذلك اضطر إلى المثول لأمر أبيه مرغماً وبدأ في مطالعة كتب القانون وعندما حان وقت الامتحان لم يكن مستعداً استعداداً كافياً إلا أن أباه صمم على دفع الرسوم القضائية وحينئذ فكر أخوه مهدي حسن أن يدخل الامتحان تشجيعاً له وأرسل الرسوم كذلك وذهب كلاهما للامتحان وكانت المفاجأة هي نجاح أخيه مهدي حسن على الرغم من عدم استعداده للامتحان ورسوب شبلي الذي أصيب بصدمة عنيفة وقرر أن يجتاز امتحان المحاماة واستعد له جيداً بقراءة كتب القانون وحفظ جزئيات المواد القانونية ورتبها ووضع ملاحظاته عليها وفي العام التالي نجح في الامتحان ١٨٨٠م. وأصر والده على أن يستعد للعمل بالمحاماة إلا أنه واجه صعوبات عديدة في كل خطوة من العمل لصدقه وإيمانه فكان يقضى اليوم في صراع مع نفسه، لكن بعد ذهابه إلى «على كَرطه» أرسل إلى عمه خطاباً يعرب له فيه عن عدم رضاه بوظيفته الصغيرة الحالية ويفكر في الرجوع للمحاماة ثم بدأ العمل بالمحاماة في أعظم كَرطه ١٨٨١م وعزم على ألا يخرج من لسانه أو قلمه حرفاً يخالف الصدق والحق إلا أنه لم يستطع التعايش مع مبادئ المحاماة في المركز فأوضح لأبيه هذه الحقيقة وهي أن ورعه وتقواه لا يتماشيان مع مهنة المحاماة فأسند إليه مهمة مراقبة أعماله في مصانع النيلة وأدى شبلي هذه المهمة بنجاح (٢).

(١) المرجع السابق: ١٩٠-١١٠. (ديوان الصبابة لشهاب الدين بن العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر الشهرستاني حجة المغربي).

(٢) سيد سليمان الندوي: حياة شبلي: ١١١-١١٦.

## \* سفر شبلى إلى على كَرطه ولقاؤه بالسير سيد أحمد خان :

كانت حركة على كَرطه من أوسع الحركات الاجتماعية والثقافية فى ذلك العصر وكانت هذه الحركة تدعو إلى تزويد المسلمين بالعلم الحديث وقد تأثر المسلمون فى المراكز الشرقية للهند تأثراً واضحاً بهذه الحركة وأن الشيخ حبيب الله والد شبلى كان من أشد المؤيدين لها ونتيجة لذلك ألحق ابنه مهدي حسن فى التعليم الإنجليزى فى أبريل ١٨٧٦م وأرسله ليتعلم فى مدرسة كلية على كَرطه وظل هناك حتى عام ١٨٨١م ونجح فى هذه السنة فى امتحان القبول وفى أكتوبر ١٨٨١م ذهب الشيخ حبيب وشبلى إلى على كَرطه لزيارته<sup>(١)</sup> ونظم شبلى قصيدة باللغة العربية فى مدح السير سيد الذى أعجب بها عندما قرأها وأثنى على لغتها وأسلوبها ونشرها فى صحيفته «أخبار على كَرطه كزت» بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٨٨١م يقول مطلعها:-

- المجد يصحب علما حيثما يصل والعلم عن قـومنا لا زال يرتحل

وسوف نذكر هذه القصيدة كاملة فيما بعد .

## \* عمل شبلى فى كلية على كَرطه ١٨٨٣م:

وبعد عام ونصف من هذا اللقاء كانت كلية على كَرطه فى حاجة إلى مدرس للغات الشرقية فأرسل إليه مولانا فيض الحسن والمج عليه فجاء إلى على كَرطه وكان حاكم المديرية هناك آنذاك النواب محمد كريم وهو من محمد آباذ بأعظم كَرطه فأقام عنده وعن طريقه التقى شبلى بمولوى سمير الله خان فاختره لتدريس اللغة العربية والفارسية فى الكلية وقربه من السير سيد وتم تعيين شبلى مدرساً للغة العربية فى يناير ١٨٨٣م وبدأ عمله فى فبراير براتب قدره أربعون روبية شهرياً زادت إلى مائة روبية عندما صار أستاذاً للغة العربية فى الكلية. وكان له فى هذه الفترة أصدقاء عديدون منهم خواجه محمد يوسف وكيل الكلية وشاعر أردى تخلصه «قيس» وكان يلتقى بمولوى سمير الله خان من آن لآخر وكان صديقاً كبيراً له آباذى ويعرض عليه أشعاره الفارسية لإبداء الرأى فيها<sup>(٢)</sup>.

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٧ .

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٧ وسيد سليمان اندوى: المرجع السابق: ١٢١-١٢٤ - أغا

محمد باقر: تاريخ نظم ونشر اردو: ٢٠٤-٢٠٥ ومعين الدين عقيل: تحريك آزادى مين اردو كاحصه:

٢٩٧-٢٩٨ .

## \* علاقة شبلى بالسير سيد أحمد خان :

توطدت العلاقة بين شبلى والسير سيد أحمد خان عندما أراد شبلى الاطلاع على مكتبة السير سيد أحمد خان وساعده فى ذلك فأفسح له مكاناً مستقلاً فى داره، فكان شبلى يختلف إليه يومياً ثم يعود إلى المدينة ولا ينقضى يوم دون عقد لقاءات بينهما حيث يتداولان المسائل العقلية والقومية والدينية المختلفة، وقام شبلى ذات مرة بشرح كتاب الإشارات لابن سينا للسير سيد . يقول «مولوى عبد الحليم» (١) شرر « وهو صديق قديم لشبلى : «كنت أنزل فى ذلك الوقت ضيفاً على شبلى فى على كَرطه وكان السير سيد قد خصص لشبلى حجرة صغيرة داخل سور داره ومنفصلة عنها، وكان مكاناً هادئاً يركن السير سيد فيه إلى أمور البحث والتحقيق بانتظام وكان هو وشبلى يتناولان الطعام فيه ويظلان معا أوقاتاً طويلة فيبحثان معا بعمق وتمعن فى المسائل العقائدية والجدلية والتحقيق التاريخى ويطالعان كثيراً من كتب الفقه والتاريخ والسير وكان كل منهما يقدر الآخر وقد اعترف السير سيد بأنه لا يعزم أمراً دون مشورة شبلى، كما كان أول أشعار شبلى التى اشترك كلاهما فى نشرها اعترافاً بفضل السير سيد هو مثنوى «صبح اميد» أى صبح الأمل وصور فيه شبلى -بكلمات شاعرية مؤثرة، غفلة المسلمين وتخلفهم وحاول أن يوقظهم من غفلتهم وسباتهم العميق» (٢).

## \* أعمال شبلى الشعرية الأولى فى على كَرطه :

إلى جانب عمل شبلى بالتدريس فى كلية على كَرطه بدأ شبلى يهتم بقرض الشعر

(١) مولوى عبد الحليم شرر (١٢٧٦-١٢٤٢ هـ = ١٨٦٠ - ١٩٢٦).

مولوى عبد الحليم شرر، مؤرخ وأديب وكاتب مسرحى وصحفى وكاتب قصة مشهور، كان أول روائى يكتب الرواية التاريخية فى الأدب الأردى واستخدام لغة سهلة سلسة وطهر الرواية من الكلمات الفاحشة والسوقية والموضوعات التافهة. ولد فى لكتناو فى أسرة كريمة كانت على صلة قوية بملوك اوده ورحل أبوه حكيم تفضل حسين إلى متبايرج بكلكتنا وهناك بدأ يتلقى تعليمه على يد سيد على حيدر ومولوى مرزا محمد على فقرأ عليهم الفارسية والعربية كما تلقى علوم الحديث على يد المحدث الشهير مولوى محمد نذير حسين، ثم ظهرت موهبته الصحفية فكان يكتب الموضوعات ويرسلها إلى جريدة «اوده اخبار» ثم التقى بمنشى نول كشور الذى عينه ضمن هيئة تحرير الجريدة، وله مؤلفات عديدة منها «أبو بكر شبلى» و«جنيد البغدادى» فى السيرة، و«أيام عرب» و«بابك خرمى» روايات تاريخية، و«تاريخ هند» و«عصر قديم» فى التاريخ. وفى الشعر والمسرح «شهيد وفا» و«شب وصل» وغيرها. (رام بابو سكسينة: تاريخ ادب اردو: ٣٥٣٧/٥٢٧).

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ١٢٦-١٢٧.

ويكتب الرسائل الفارسية والأردية وينظم القصائد والغزليات الفارسية والأردية ويتجلى ذوقه الشعري جيداً في هذه الأشعار وإن كانت لا تحمل اتجاهها خاصاً بها بل كان ينظمها لشعوره بالملل والوحدة كما ذكر في خطاب له بتاريخ ١٨ يناير ١٨٨٤م وأرسل غزليتين بالأردية لمحمد سميع وغزلية فارسية لمولوى حميد الدين كما أرسل قصيدة «عيديه» لتهنئة مولوى محمد سميع الله بالعيد ونشرت في مجلة «كزت» وهي موجودة في الديوان، وفي تلك الأثناء غلبت عليه فكرة ترتيب ديوانه الفارسي وأرسل إلى أستاذه محمد فاروق يطلب منه مراجعة الشعر الفارسي قبل أن يطبعه.

وبزغت شهرة شبلى في الشعر في كلية على كَرطه ونظم في أبريل ١٨٨٤م قصيدة بقافية «حيران وفراوان» ورديف «چه كنم» وهي غزلية يرد فيها على غزلية الشاعر على<sup>(١)</sup> حزين وأرسلها شبلى إلى شاعرين فارسيين مشهورين للحكم عليها وهما: خواجه عزيز الدين مؤلف «قيصرنامه» والثاني «نير الدهلوى» تلميذ غالب فسلم كلاهما بتفوق شبلى وأطرى مولانا ذكاء الله على هذه الغزلية في تعقيبه على الطبعة الأولى من أشعاره الفارسية «مجموعة نظم فارسي» والتي نشرت في «على كَرطه كزت» في ٨ سبتمبر ١٨٩٣م ونتيجة هذه الشهرة صار شعر شبلى مادة ضرورية في برنامج جلسات كلية على كَرطه.

وكان لحركة على كَرطه تأثيرات مفيدة على شبلى أهمها الإحساس بفساد المسلمين فترك قصص الحب والغرام في شعره واتجه إلى المفهوم الواسع للحب مثل حب الوطن والقومية والدين وبدأ يتساءل كيف كان المسلمون وكيف أصبحوا؟ فكان هذا الإحساس هو موضوع أشعاره القومية. وفي نفس العام ١٨٨٣م نظم قصيدة يبشر فيها بمجيء العيد، ولكنه أضفى عليها مسحة حزينة استمطر فيها دموع المسلمين وظل هذا التأثير يتضاعف يوماً بعد يوم حتى سنة ١٨٨٥م فكتب مشنوى «صبح أميد» الذي شرح فيه القصة المؤلمة لتقدم المسلمين وتأخرهم وبشرهم فيه بطلوع صبح الأمل الجديد بنجاح حركة على كَرطه وطُبع مراراً ولاقى شهرة عريضة وحدث تغيير شامل في موضوع شعر

---

(١) الشيخ على حزين واحد من كبار الشعراء الإيرانيين المعروفين، قضى جزءاً كبيراً من حياته في الهند وبعد من شعراء السبك الهندي، واسمه الشيخ جمال الدين عبد المعالى محمد على وتخلصه حزين وابوه أبو طالب كان يقطن جيلان ويرجع نسب حزين إلى الشيخ زاهد الجيلانى. وقد ولد حزين في ٢٧ ربيع ١١٠٣ هـ / ١٦٩٢ م وتوفي في عام ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م. (ديوان حزين. نيشنل بيلشنك هاوس لميتد. كراچي. ١٩٧١ م ص: ١-٧).

شبلى وتأثر جميع الناس بأشعاره التى ألقاها فى اتحاد الكلية والمؤتمر التعليمى وندوة العلماء<sup>(١)</sup>.

### \* إحساس شبلى بأهمية التعليم الإنجليزى :

كانت الافكار والآراء الجديدة ومؤثرات العصر الحديث والمزج بين القديم والجديد جزءاً من المناخ الذى عاش فيه شبلى آنذاك، وكان حتى ذلك الوقت يسمع عن مساوئ التعليم الجديد ومحاسنه عن بعد، ثم سنحت إذ ذاك الفرصة كاملة لينفذ فيه بصيرته فايدته بتحفظ وأحس بأهمية التعليم الإنجليزى للمسلمين، ولقت شبلى أنظار أصدقائه وأحبائه وساهم فى بناء مدرسة للتعليم الإنجليزى فى أعظم كَرِه فى ٢٠ يونيو ١٨٨٣م وهى المدرسة القومية «نیشنل اسكول» وشاركه والده وأصدقاؤه فى بنائها وتوسعت تدريجياً فأصبحت مدرسة متوسطة فى عام ١٨٨٧م ثم مدرسة عليا فى ١٨٩٥م، وبجهود شبلى تم افتتاح مدرسة للتعليم الإنجليزى فى ندوة العلماء. وقد حاول ادخال اللغة الإنجليزية فى المقررات الدراسية فى دار العلوم عام ١٨٩٩م ففشل ثم أصر على طلبه فى عام ١٩٠٣م وتم الموافقة عليه عام ١٩٠٨م وكان من رأيه أن الفقيه الذى يعرف اللغة الإنجليزية يستطيع أن يخدم الإسلام أفضل عن طريق عرض قضاياها بوضوح على غير المسلمين<sup>(٢)</sup>.

### \* الذوق التاريخى لدى شبلى وظهور موهبة التأليف عنده :

لم يكن الذوق التاريخى قد اكتمل لدى شبلى قبل ذهابه إلى على كَرِه، لكن عندما وصل إلى كلية على كَرِه بدأ تذوقه التاريخى يتشكل وينضج لديه ويبدو أن هذا التذوق كان كامناً فى طبيعته، فعندما كان فى لاهور قام بقراءة كتاب «سنوات الإسلام» للدكتور لائتير G.W.LAITNER وكان عالماً مشهوراً فى العربية والفارسية ومؤسس الكلية الشرقية بلاهور ومديراً لها وقد ألفه عام ١٨٧٦م باللغة الأردية للطلبة الذين يدرسون اللغة العربية وهو تاريخ سياسى وعلمى مختصر للعرب والمسلمين وكان هذا أول كتاب -غالباً- يقرؤه شبلى فى التاريخ وسرُ كثيراً لمعرفة سير ملوك المسلمين وجهودهم العلمية، وعندما وصل شبلى إلى على كَرِه وقع نظره على الكتب النادرة فى تاريخ العرب وجغرافيتهم فى مكتبة السير سيد ومن هنا بدأ عهداً جديداً فى مطالعة

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ١٢٨-١٣٠.

(٢) المرجع السابق: ١٣٣-١٣٥.

الإسلامى كما بدأت لديه فكرة كتابة سير ملوك الإسلام باسم «سلسلة مشاهير حكام الإسلام».

وكانت موهبة التأليف موجودة من قبل عند شبلى وقد طبعت له فى بداية الأمر اول مؤلفاته باللغة العربية وهى إسكات المعتدى وبعض الرسائل فى الفقه الحنفى وبعض المناظرات الأخرى، لكن عندما وصل إلى على كَرطه تغير محور تأليفه واهتمامه يقول: «لقد تولدت الرغبة الأولى فى التأليف عندما اطلعت على الكتب التاريخية التى طبعت فى أوروبا وقد وجدتها فى مكان واحد ولم أرها من قبل» وكان هذا المكان هو مكتبة السير سيد فكان منهج الأوربيين فى ترتيب الأحداث واستنباط النتائج موجوداً أمام شبلى فى الترجمة الأردية لكتاب جين GIBBON «تاريخ اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية» كما اطلع على كتاب المستشرق الإنجليزى المعروف بامر PAMRE وحياة هارون الرشيد، وأشار إليهما مراراً فى كتابه «المأمون» (١).

### \* وقوف شبلى على التحقيقات العلمية الأوروبية والمطبوعات المصرية:

كانت كلية على كَرطه اول مكان يجتمع فيه أساتذة من الشرق والغرب تحت سقف واحد فآثر كل منهما وتأثر فى الآخر من خلال تبادل المعلومات والأفكار، لذا كانت الاطلاع على التحقيقات العلمية والأفكار الأوروبية من أعظم الفوائد التى جنى شبلى ثمارها بمجيئه إلى الكلية، ومن حسن حظه أن الكلية كان بها أستاذ وعالم إنجليزى هو توماس آرنولد (٢) T.ARNOLD فارتبطا معا برباط الصداقة والعلم فتآثر كل منهما بالآخر فعلمه شبلى اللغة العربية وعلمه آرنولد اللغة الفرنسية ومناهج البحث الحديث وقد توطدت علاقتهما وعندما أعد آرنولد العدة للسفر إلى إنجلترا عام ١٨٩٢م رافقه شبلى إلى بور سعيد ثم توجه آرنولد إلى إنجلترا وسافر شبلى إلى القسطنطينية ويقول

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ١٣٥-١٣٧.

(٢) T.ARNOLD: توماس آرنولد (١٨٦٤-١٩٣٠) عالم ومستشرق إنجليزى عمل فى كلية على كَرطه عشر سنوات وفى فبراير ١٨٩٨م ذهب إلى الكلية الحكومية فى لاهور وعمل استاذاً للفلسفة وكتب كتاباً فى اللغة العربية بعنوان «سوء السبيل فى معرفة المغرب والدخيل» وكان اقبال من أقرب تلاميذه فى لاهور وعاد إلى إنجلترا عام ١٩٠٤م وعمل هناك مساعد أمين مكتبة المكتب الهندى حتى عام ١٩٢٠ حيث عين استاذاً للغة العربية فى جامعة لندن حتى آخر حياته وفى سنة ١٩٣٠م زار الجامعة المصرية فى مصر وألقى محاضرة بعنوان «الفنون الجميلة عند المسلمين، وعندما عاد من هناك مات فجأة فى ٩ يونيو ١٩٣٠م ومن أعظم أعماله كتاب «الدعوة إلى الإسلام» (لندن: ١٨٩٦) وشارك فى دائرة المعارف الإسلامية (كالج ميكزى: فبراير ١٨٩٨م ص: ٧١).

شبلې عنه فى قصيدة «سفر روم» أى رحلة تركيا هذا المصرع (آرنولد أنكه رفيق است وهم استاذمرا) وقد درس آرنولد لشبلې اللغة الفرنسية من كتاب سيديو (\*) وتمدن اسلام» أى حضارة الإسلام ولا يزال هذا الكتاب موجوداً بدار المصنفين حتى اليوم<sup>(١)</sup>.

وكانت هناك وسيلة ثانية لشبلې للاطلاع على المؤلفات والمطبوعات الأوروبية غير كلية على كَرطه وهى مكتبة مولوى سيد على بلجرامى فى حيدر آباد وكان بلجرامى يعرف اللغة الفرنسية والألمانية إلى جانب الإنجليزية وله صلات مباشرة مع علماء أوروبا فكانت تأتى مؤلفاتهم إليه باستمرار حتى أصبحت مكتبته كنزاً زاخراً بعلومهم، وكانت بداية تعارفهما مع نشر كتاب «المأمون» فتوطدت العلاقة بينهما وأهدى البلجرامى كثير من المؤلفات الأوروبية إلى شبلې كما تلقى شبلې منه كتاب الفهرست لابن النديم بعد أن صحح البلجرامى الأسماء اليونانية وكتبها بالأحرف اللاتينية وقد اعتمد عليها فى كتابة موضوع باسم «التراجم»<sup>(٢)</sup> كما ساعده البلجرامى فى ترجمة بعض موضوعات المستشرقين الأوربيين فى الرسالة التى كتبها عن «مكتبة الاسكندرية» وقد أشار شبلې إليه عندما طبعها. وعندما ذاع صيت شبلې فى أوروبا أهداه تهارتن Tharton قاموس الكلمات العربية "Dozy" فى ١٦ أبريل ١٨٩٨ م.

وكانت المطبوعات العربية الحديثة تصل إلى الكلية من مصر ويطلع عليها شبلې، وكانت مصر فى هذه الفترة الزمنية أحسن حالاً من الهند فلم يكن الإنجليز يحكمونها حكماً كاملاً ولم يكن لهم فى أى نفوذ على الوسط العلمى هناك وقد تعاملت مصر مع الاقوام واللغات الأوروبية عن طريق اللغة الفرنسية والفرنسيين فى البداية عندما استولى عليها نابليون، ثم عن طريق الإنجليز الذين حلوا محل الفرنسيين فى السيطرة على مصر. وعلى كل حال فقد كانت كتب الادباء والصحف تأتى إلى شبلې مباشرة من مصر والشام وكان يطلب الكتب الجديدة التى تصدر عن النحو والصرف والبلاغة العربية

---

(٠) جان جاك سديو (١٧٧٧-١٨٣٢) SEDILLOT, J.J. مستشرق فرنسى «تضلع من العربية فى مدرسة اللغات الشرقية وتخصص فى الفلك عند العرب ومن أهم أعماله هونشر ما كتبه ابن يونس وأبو الوفاء فى العلوم الرياضية بتعليق وحواشى (باريس: ١٨٠٤م) وه جامع المبادئ والغايات فى علم الميقات لآبى على المراكشى وه نبذة فى الهندسة لابن الهيثم (١٨٣٤ م) وه مواد لتاريخ العلوم الرياضية والمقارنة عند اليونان والشرقيين». (نجيب العيققى: المستشرقون. ط٣ دار المعارف. القاهرة. ١٩٦٤ م الجزء الاول ص: ١٧٧-١٧٨).

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٨.

(٢) شبلې النعمانى: مقالات شبلې: ١١٢-١/٦.

وكتب الفلسفة والفلك الحديثة وعن طريقها اطلع شبلى على التحقيقات الأوروبية الحديثة، وكان شبلى أول من تعامل مع الصحف والمجلات العربية في الهند ونشرت له مقالات في مجلة الهلال المصرية وقد ذكر في إحدى رسائله أسماء المجلات العربية التي كانت تصل إليه مثل: «ثمرات الفنون» من تركيا، و«السلام» من طرابلس، والهلال والمؤيد والمنار والمقتطف من مصر<sup>(١)</sup>.

وواصل شبلى تدريسه في كلية على كَرطه وكون الجمعيات الادبية للعناية باللغة العربية والآداب الإسلامية وكان من آن لآخر ينظم قصائد مدح للأعمال القومية والقائمين بها مثل قصيدته في مدح خليفة سيد محمد محسن وزير إمارة بتيالة في ١٨٨٦م والقصيدة الثانية في مدح نواب إقبال الدولة وقار الأمراء في حيدرآباد عام ١٨٩٥م. وعندما أسس السير سيد المؤتمر التعليمي الإسلامي «محمد بن ايجو كيشنل كانفرس» وضع شبلى نفسه في خدمة هذا المؤتمر.

### \* مؤلفات شبلى الأولية:

كانت مواهب شبلى منذ أن جاء إلى كلية على كَرطه عام ١٨٨٣م محدودة داخل نطاق الشعر والمقالات والخطب، ثم بدأ يبحث عن الأسلوب الأمثل لخدمة الإسلام والمسلمين، وكان يرى الرعب يخيم على حياة المسلمين الذين يخيم على تاريخهم الظلام في ماضيه وحاضره، وفي نفس الوقت اتجه المؤلفون الأوروبيون إلى الاهتمام بتاريخ المسلمين لتشويهه والقضاء على فكرة اعتزاز المسلمون بتاريخهم، وفي سبيل ذلك أخذوا يقدحون في الإسلام وفي ملوكه بين الناس حتى ينفر المسلمين من قومهم ويضمحل تفكيرهم للأبد، وبهذه الحيلة الماكرة يكره المسلمون تاريخهم ومن ثم لا يرون أمامهم إلا ازدهار أوروبا ونهضتها، وقد اتبرى شبلى شارعا قلمه ليدافع عن المسلمين بعد أن أدرك مخططاتهم وحيلهم واتجه إلى تدوين عظمة الإسلام في الماضي وتخليد أعمال السلف الصالح وشجعه السير سيد على هذا العمل العظيم<sup>(٢)</sup>.

وكانت أولى مؤلفات شبلى في هذا الصدد «مسلمانون كى كَرشته تعليم<sup>(٣)</sup>» أى «تعليم المسلمين فى الماضى» وألفه عام ١٨٨٧م وقد لاقى هذا الكتاب شهرة عريضة فى

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ١٤٦-١٤٧.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٦٨.

(٣) شبلى النعمانى: مقالات شبلى ١/٣-٣٦.

أنحاء الهند، كما ارتفعت مكانة شبلى بين المؤلفين، ثم كتب شبلى سيرة «المأمون» الخليفة العباسى وكان ثانى كتاب فى السيرة الأردية الحديثة ونشر عام ١٨٨٧م وهو أول مؤلف مستقل لشبلى وأول حلقة فى سلسلة مشاهير حكام الإسلام. بعد ذلك ألف شبلى «سيرة النعمان» وانتهى منه فى ديسمبر ١٨٩٠م وطبع فى نهايته عام ١٨٩١م.

### \* أسفاره إلى رامپور وحيدرآباد وبهوبال :

وفى عام ١٨٨٨م سافر شبلى إلى إمارة رامپور ليشراف على الامتحانات التى كانت تعقد تحت رعاية الجنرال عظيم الدين خان سنوياً فى المدرسة العليا ويشترك فيها كثير من علماء الهند لإبداء آرائهم فى سير العملية التعليمية، وكان شبلى على رأس هؤلاء العلماء. وكان لشبلى علاقة قديمة برامپور كما ذكرنا من قبل وكانت المكتبة الحكومية فى رامپور من أهم معالم مدينة رامپور التى جذبت انتباه شبلى هناك فكانت فرصة للإطلاع على الكتب النادرة بها وطلب منه الجنرال عظيم الدين خان كتابه تقرير مفصل عن ترتيب وإصلاح المكتبة فظل هناك ثلاثة أيام اطلع فيها على الكتب وقدم تقريره فى ١٤ أكتوبر ١٨٨٨م ووضح فيه كتابة الفهارس وأرقام الكتب وكيفية حفظ الكتب النادرة، وفى عام ١٨٩١م أقيم مبنى جديد للمكتبة وتم الافتتاح الرسمى له فى ٣١ مارس ١٨٩٢م<sup>(١)</sup>.

وفى عام ١٨٩١م سافر شبلى إلى حيدرآباد لجمع التبرعات للكلية ضمن وفد السير سيد والتقى شبلى بالأخوين بلجرامى مولوى سيد على بلجرامى ونواب عماد الملك سيد حسين بلجرامى وكانا يقدران العلم والعلماء وتوثقت علاقة شبلى بهما وقد طلب الأخير خمسين نسخة من «المأمون» تقديراً لمؤلفات شبلى. يقول عبد الحليم شرر «لقد شاع عن شبلى أنه من كبار رفاق السير سيد» وقد أكرموا وفادتهم فى حيدرآباد وأنزلوا السير سيد ورفاقه فى دار الضيافة الحكومية وانهالت عليهم الدعوات واستقبلهم مير محبوب على خان وأمر بمضاعفة المساعدات الملكية من ألف إلى ألفين شهرياً وانعقدت جلسة مهيبه فى حديقة بشير باغ برئاسة نواب إقبال الدولة وقار الأمراء وألقى حالى قصيدة أردية وشبلى قصيدة فارسية بدأها بمقدمة وضح فيها أسباب هذا السفر الطويل وصور الوضع المتردى للمسلمين وبين أهداف الحركة التعليمية فى على كرتهد.

وعند عودة الوفد مر على بهوبال وأفلح الوزير محمد امتياز على باقناع شاهجهان

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ١٧٣-١٧٦.

بيكم بأهداف حركة على كَرطه ووافقت على لقائهم فى نهاية الامر ومنحت الكلية عشرة آلاف روبية من مالها الخاص وعشرة آلاف أخرى من مواطنيها وتوثقت العلاقات بين شبلى ونواب على حسن(\*) خان كما يبدو ذلك من الخطابات المتبادلة بينهما(١).

\* بداية مرض شبلى ورغبته فى السفر إلى كشمير والقسطنطينية ١٨٩٢م:

لم يكن مناخ على كَرطه يروق لشبلى ولا يتلاءم مع طبيعته وبصفة خاصة منزل السير سيد الذى كان يقيم فيه، حيث كان يقع فى أرض منخفضة تتجمع حولها المياه؛ لذا كان موبوءاً بالملاريا التى أصابت شبلى وبدأت أولى أعراضها عام ١٨٩٢م حيث أصيب بحمى شديدة وإرهاق كامل وتوارد على خاطره هذا البيت الشعرى لـ عرفى فى مدح كشمير:

– هر سوخته جانی که به کشمیر درآید      کَرمرغ کباب است که بابال وپراَید(٢)

وفكر شبلى فى الذهاب إلى كشمير للنقاهة بعد العلاج إلا أنه بعد أن استعاد صحته قرر أن يغير خطته ويسافر إلى تركيا والشام ومصر فى مايو ١٨٩٢م وعدل عن فكرة السفر إلى كشمير لفرصة أخرى.

وكان الهدف من هذه الرحلة الطويلة أن يطلع شبلى على الذخائر العلمية والأدبية التى تتركبها مكتبات القسطنطينية، فقد كانت مكتبات أعظم كَرطه وعلى كَرطه لاتطفى ظمأه إلى المعرفة فأراد العب من فيض مكتبات تركيا والشام ومصر ويروى ظمأه العلمى، وكان شبلى فى ذلك الوقت يُعد المادة العلمية لكتابة «الفاروق» ولم تكن الكتب فى مكتبات الهند تكفى لتأليفه لذا خرج للبحث عن ضالته فى تلك المكتبات كما أنه لم يعد هناك نماذج لعظمة ملوك المسلمين فى الماضى سوى النموذج التركى فدفعه ذلك إلى السير إلى ديار المحبوب التى كان قلبه يتوق إليها شوقاً ويتحرق إليها حينئذ(٣).

وقد رافقه فى هذه الرحلة توماس آرنولد الأستاذ بكلية على كَرطه وافترقا فى بور سعيد بمصر، فتوجه شبلى إلى الشام ومنها إلى تركيا، وسار آرنولد إلى إنجلترا وقد زار

(١) المرجع السابق: ١٨٢-١٨٧.

(\*) نواب على حسن خان ابن نواب صديق حسن خان وإلى رامپور وخليفته.

(٢) إن كل مكلوم الروح يدخل إلى كشمير، لو كان طائراً مشوباً لعصار بجناح وريش.

(٣) المرجع السابق: ١٨٨-١١٠.

شبلى المدارس والمتاحف والمساجد والمكتبات وقصور الأمراء والمقاهى والنوادى فى القسطنطينية وبيروت وبيت المقدس والقاهرة، وقد دون شبلى مشاهداته هذه فى كتاب بعنوان «سفر نامه روم وشام ومصر» وسوف أتناول هذه الرحلة بالتفصيل فى نهاية هذا الفصل.

### \* عودة شبلى للتأليف :

كان شبلى فى اثناء رحلته يفكر فى كتابة كتاب «سفر نامه» يصف فيه رحلته التى استغرقت نحو ستة أشهر، حيث بدأ رحلته فى آخر إبريل ١٨٩٢م ونهاها فى أول نوفمبر، ولهذا قام شبلى بترتيب هذا الكتاب يقول: «أكتب هذه الأيام» سفر نامه «وهو قاصر على الجوانب العلمية والاجتماعية فقط، وبالرغم من ذلك من يستطيع أن يقول إن هذا الكتاب لم يغرس غرساً جديداً بحب الأتراك فى قلوب المسلمين» ولهذا لم يغفر الإنجليز هذا الذنب لشبلى مطلقاً وسوف يتضح ذلك فيما بعد، وكانت جميع مؤلفات شبلى السابقة تُطبع فى كلية على كَرطه لكنهم لم يحبذوا طبع هذا الكتاب فطبعه الطبعة الاولى فى مطبعة مفيد عام باكراً عام ١٨٩٤م وكانت من أحدث المطابع آنذاك وكان هذا الكتاب بداية للخلافات التى نشأت بين شبلى والكلية.

بعد ذلك فكر شبلى فى جمع أشعاره الفارسية وطبعها تحت عنوان «كليات فارسى» وذلك عام ١٨٩٣م وطبعها فى مطبعة منشى رحمت الله رعد «نامى بريس» وحازت هذه الأشعار الشهرة والقبول بين أوساط المثقفين.

وفى الفترة ما بين عامى ١٨٩٢ و ١٨٩٨م كان شبلى قد حقق كثيراً من الموضوعات التاريخية وطبعت فى مجلات الهند المعروفة ويدور أغلبها حول موضوعات الحضارة الإسلامية فقام بجمع هذه الموضوعات ونشرها باسم «رسائل شبلى»<sup>(١)</sup>.

وعندما عاد شبلى من رحلته قام بترتيب المادة العملية التى جمعها لكتاب «الفاروق» وقد عانى فى سبيل إنجاز هذا الكتاب كثيراً من المصاعب، حيث عارضه كثير من أصدقائه وخاصة الشيعة ومع ذلك واصل عمله بدأب ونشر هذا الكتاب فى يناير ١٨٩٩م.

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٢٩، ٢٢٢، ٢٢٥، رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو:

## \* لقب شمس العلماء يناير ١٨٩٤ م:

كانت شهرة شبلى فى ذلك الوقت قد جابت أنحاء الهند وأرجاءها وصار واضحاً للعيان أن سلطان تركيا السلطان عبد الحميد قد كرم وحيد عصره عندما منحه «تمغه مجيدى» أى الوسام المجيدى، بينما لم تقدره الحكومة الإنجليزية حق قدره، وبعد عودة شبلى من رحلته بدأ الإنجليز ينظرون إليه بعين الشك ويعتقدون أنه يدعو للوحدة الإسلامية وكانه سفير لسلطان تركيا فى الهند وبدأ الإنجليز يشعرون بأهميته وكان السير سيد نفسه أول من لفت أنظار الحكومة الإنجليزية إلى أنها غفلت عن منحه وساما فى حين عرفت الحكومة التركية قدره ومنحته الوسام المجيدى وبناء على هذه التوصية أعلنت الحكومة الإنجليزية منح شبلى لقب «شمس العلماء» فى يناير ١٨٩٤ م وكانت المرة الأولى التى يتلقى فيها أستاذ فى كلية على كرتھ هذا اللقب الحكومى وأن شبلى كان أول (\*) شخص فى رفاق السير سيد يلقب بهذا اللقب. وكان لهذا اللقب وقع خاص فى عيون الناس وذلك لأن شبلى تلقى هذا اللقب فى هذه السن المبكرة حيث كان عمره يتراوح بين ٣٦, ٣٧ عاماً ولم يظفر به أحد من الزعماء والمعاصرين له فى هذه السن ولهذا الأسباب مجتمعة عُقدت الجلسات والاجتماعات الحاشدة لتهنئته وخطب فيها كبار القوم وأبرق إليه الأصدقاء لتهنئته من جميع أنحاء الهند، ونظم حالى قصيدة عربية بهذه المناسبة بعنوان «من الحبيب إلى الحبيب» يقول مطلعها:-

- يا وحيداً من الكرام فريدا .. وعزيزاً كمثل علق نفيس  
- أنت شمس الهدى ولست شمسا .. يعثرها الخنوس بعد الخنوس

وفى ١٧ فبراير ١٨٩٤ م تم الاحتفال بهذا اللقب احتفالاً رسمياً حيث حضره مندوب الحكومة الإنجليزية مستر «هونجتن» فسلم شبلى العمامة والعباءة الخضراء والوسام فى حفل مهيب حضره أساتذة كلية على كرتھ وطلبتها، وقام شبلى فشكر الحكومة الإنجليزية وحياتها على أنها حافظت على التقاليد الإسلامية فى منح هذه الألقاب للعلماء<sup>(١)</sup>.

وفى عام ١٨٩٥ م سافر شبلى إلى لاهور للمشاركة فى الجلسة السنوية لجمعية حماية

(\*) مُنح نذير أحمد الدهلوى هذا اللقب عام ١٨٩٧ م بينما لقب به الطاف حسين حالى فى عام ١٩١٣ م.

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٣٧-٢٣٨، ٢٥٣، ٢٥٧.

الإسلام « انجمن حمایت اسلام » وكان يشارك في جلساتها السنوية معظم سادة القوة وكبار المثقفين. وفي هذه السنة اختير شبلى عضواً في هيئة تدريس كلية الآداب بجامعة إله آباد وعضواً في الجامعة وكلف بإعداد منهج خاص باللغة الفارسية من قبل الجامعة وظلت الجامعة تُدرس هذا المنهج حتى عام ١٩٠٣ وكان شبلى يتلقى مائة روبية سنوياً نظيراً لها<sup>(١)</sup>.

\* اقتراح شبلى بنشر الكتب القديمة والسفر إلى حيدرآباد مرة ثانية ١٨٩٦م:

كانت الكتب العربية القديمة والنادرة تطبع وتنشر سنوياً في جميع الدول الأوروبية بجهود المستشرقين، وعندما رأى شبلى ذلك تمنى أن يضطلع مجموعة من العلماء<sup>(٢)</sup> بهذا العمل الجليل فيخرجوا أعمال أسلافهم من ظلام المكتبات وينشروها في العالم فيرتفع اسم الإسلام والمسلمين عالياً ويتجلى للعالم مدى التقدم الذى وصل إليه المسلمون في علومهم وفنونهم، وقد خامرته هذه الفكرة عندما كان في رحلته إلى تركيا والشام ومصر ورأى ذخيرة هائلة من الكتب القديمة والنادرة يقول في كتابه « سفر نامه »: « لقد أقيمت في أوروبا جمعيات وهيئات عديدة هدفها الاصلى جمع الكتب القديمة النادرة وطبعها ونشرها وعن طريق هذه الجمعيات تم طبع الكتب العربية القديمة والنادرة فصارت في متناول أيدينا بعد أن كانت صعبة المنال فطبعت على سبيل المثال كتاب « تاريخ الطبرى » في أجزاءه العديدة ونشرت نسخة كاملة منه لا تتوافر في تركيا ومصر لذا اقترح على وجوه القوم أن يقيموا هذه الجمعيات ويوفروا لها المال اللازم ويُعين فيها العلماء والكتاب العظام فيختاروا الكتب القيمة ويطلبونها من مصر وتركيا ويطبعونها<sup>(٣)</sup>.

وقد اتخذ هذا الاقتراح شكلاً عملياً فأقيمت إدارة باسم « دائرة المعارف الدكنية » بحيدرآباد وبذلت جهوداً عظيمة في جمع وطبع ونشر الكتب الدينية والفلسفية والادبية القديمة والنادرة مثل التاريخ الصغير للإمام البخارى ورسائل الفارابى وتطورت بجهود نواب عماد الملك وملا عبد القيوم وأنوار الله خان وطلبت دائرة المعارف من شبلى أن يعد لها برنامجاً بالكتب النادرة والهامة وأولويات طباعتها فقام باعداد هذا البرنامج

(١) المرجع السابق: ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) شبلى النعمانى: سفر نامه: ٩٨.

(٣) شبلى النعمانى: مقالات شبلى: ٤٥-٤٧.

فى نوفمبر ١٨٩٤م ركز فيه على الكتب الدينية ولا تزال هذه الإدارة تقوم بدورها الثقافى الهام فى الهند حتى الآن وطبعت أمهات الكتب فى مختلف فروع العلم والأدب، وأقامت حكومة حيدر آباد كذلك إدارة أخرى باسم «إحياء المعارف النعمانية» فقامت بجمع الكتب القديمة والنادرة من البلاد الإسلامية وقامت بتصحيحها وتحسينها ونشرها وركزت فى البداية على طبع الفقه الحنفى<sup>(١)</sup>.

وفى هذه الفترة كثرت النزاعات والصراخ داخل كلية على كرتهد أراد شبلى أن يسلك مسلكاً آخر بعيداً عن الكلية ومن حسن حظه أن نواب وقار الأمراء قد تقلد الوزارة فى حيدر آباد وأن مولوى سيد على بلجرامى كان من خاصة المتقربين إليه وكان بدوره على صداقة وطيدة بشبلى فاستدعاه إلى حيدر آباد وظل بها أربعة أسابيع تقريباً وتتوصية من النواب وقار الأمراء وافق مير محبوب على خان حاكم حيدر آباد على أن يمنحه راتباً شهرياً قدره مائة روبية على سبيل التكرم والاعتراف بعلمه ابتداء من ٣ ربيع الثانى ١٣١٤ هـ وشرط عليه أن تدخل جميع مؤلفاته القادمة ضمن سلسلة الكتب الآصفية التى كانت تؤلف فى ذلك الوقت وأقام له العلماء هناك حفلاً مهيباً لتكريمه ونظم شبلى قصيدة فارسية بهذه المناسبة حفظها أهل حيدر آباد وظلوا يرددونها حتى اليوم يقول مطلعها:-

- اى دكن اى جهان راسر وسودا باتست اى كه مجموعة صد ياس وتمنا باتست<sup>(٢)</sup>

وتصور بعض أعضاء الكلية أن شبلى يريد أن يترك الكلية بعد هذا السفر إلا أن هذا التصور كان خاطئاً وعاد شبلى للكلية وكان يعتقد أنه سوف يترقى فى منصبه بعد تاليف الفاروق إلا أن هذا التصور لم يتحقق إلا فى أواخر عام ١٩١٣م حيث قام نظام سير عثمان على خان بتوصية من نواب عماد الملك بإضافة مائتى روبية إلى مرتبة فصار ثلاثمائة روبية استخدمها شبلى فى تأسيس دار المصنفين<sup>(٣)</sup>.

\* الإنجليز يسيئون الظن بشبلى: (مرحلة الخلاف مع الإنجليز)

كانت فكرة الوحدة الإسلامية تخيم على أذهان الأوروبيين ويخشون تحقيقها فى

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٦٦-٢٦٩.

(٢) أيها الدكن يا من يتعلق العالم بك، يا من بحوزتك مئات الأمنيات والياس.

(٣) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٧٠-٢٧٨.

ذلك الوقت ويعتقدون أن السلطان عبد الحميد سلطان تركيا مركز هذه الدعوة وأن له نائباً عنه في كل دولة من دول العالم الإسلامي لتنفيذ هذه الفكرة وهدفها أن يتحد المسلمون في جميع أنحاء العالم ويستعدون للثورة على أوروبا، وبناء على هذا بدأت الدول الأوروبية تعبا رعاياها في تركيا ليستعدوا لهذه الثورة -وعندما عاد شبلى من تركيا بدأ الإنجليز ينظرون إليه بعين الشك على أنه عاد من تركيا سفيراً للسلطان عبد الحميد في الهند ويدعو إلى حركة الوحدة الإسلامية - وكان الوسام الذي منحه السلطان عبد الحميد لشبلى قد دعم شكوك الإنجليز تجاه شبلى وحاولوا أن يستميلوه إليهم فمنحوه لقب « شمس العلماء » لكن شبلى لم يتخضع بهذا اللقب كما اتخضع غيره من زعماء الهند وعلى رأسهم السير سيد أحمد خان - وكانت المعلومات قد انتشرت في تلك الأيام بكثرة عن تركيا والوحدة الإسلامية وقد ساعد الكتاب المسيحيون والأوروبيون غالباً على نشر المعلومات أو الوشائيات - إن شئنا الدقة في التعبير - وكان جانب كبير منها تميز بالتعصب ضد تركيا والإسلام، ولأول مرة يجد مسلمو الهند ثروة من المعلومات المباشرة عن تركيا في كتاب شبلى « سفرنامه » فاطلعوا على أخلاقهم وعاداتهم وحياتهم الاجتماعية والتطورات العلمية والفنية التي أحدثوها فكانت بداية حلقة جديدة من الروابط بين مسلمي الهند وتركيا. وفي تلك الأثناء انعقدت إحدى جلسات الكلية وأُنشد شبلى قصيدة أردية فيها هذا البيت :-

نوجوانو ايه حريفون كودكها ديناها - ابني قوت كوكيا قوم هيك جاكيسا<sup>(١)</sup>

فكانت كلمة « حريفون » أى الأعداء في هذا البيت تشير إلى الإنجليز الذين يجلسون في الجلسة وكان العارفون ببواطن الأمور يدركون أن هذا البيت درس للطلبة في الثورة على الإنجليز وقد ذاع هذا الأمر بين الإنجليز<sup>(٢)</sup>.

وقد أبدى شبلى رأيه السياسى فى جلسات واجتماعات اتحاد الكلية عدة مرات حيث كان يكره النظام الملكى ويدعو للنظام الجمهورى الذى تحتل فيه الشورى -مكان الصدارة، وفى تلك الأيام ظهر حزب « المؤتمر » فكان من الداعين إليه، ولم يكده يختفى هذا الصوت حتى ارتفع صوت « ندوة العلماء » فى أواخر ١٨٩٣م وصار من المعروف أن

(١) أيها الشباب علينا أن نظهر هذا الأمر للأعداء، فكيف جعلتم القوم يتحدون.

(٢) المرجع السابق: ٢٧٩.

حكم المولويه (الشيوخ) سيقوم في الهند وأن شبلى فى مقدمة الملبيين لهذا الصوت وكانت كل هذه الاسباب مجتمعة قد قوت شكوك الإنجليز فى شبلى وعلى الرغم من أن نواب محسن الملك - بعد أن صار عميداً للكلية بعد سيد محمود - سعى للقاء الحاكم الإنجليزى ليرفع شكوك الحكومة عن شبلى إلا أن الأخير قرر أن يترك الكلية. وظلت هذه الشكوك قائمة وفى يوليو ١٩١١م دعت الحكومة إلى المؤتمر الشرقى فى «شمله» وكان شبلى عضواً فى هذا المؤتمر الذى حضره السيد برن چيف الحاكم الإنجليزى لإقليم الولايات المتحدة فى الهند وكان يعرف الفارسية والأردية جيداً فسأل شبلى عن رأى الشرعى للمسلمين بالنسبة للحكومة الإنجليزىة؟ فقال شبلى إن المسلمين يقرأون كل أسبوع فى صلاة الجمعة «السلطان ظل الله فى الأرض» ففهم برن أن المقصود بذلك هو سلطان تركيا<sup>(١)</sup>.

وفى تلك الايام أرسلوا جاسوسا يتجسس عليه فسرق «الوسام المجيدى» الذى منحت له تركيا منه، وأشار عليه السير سيد فى كتابة موضوع عن الخلافة يرفض فيه خلافة تركيا من الناحية الدينية فكتب شبلى هذا الموضوع ونشر فى مجلة على كرتهد ولم يكتمل لانه كان متكلفاً وعلى غير رغبة شبلى. ويذكر سيد سليمان الندوى أنه عندما كان فى إنجلترا عام ١٩٢٠م عضواً فى وفد الخلافة سأل البروفيسير آرنولد عن هذا الموضوع فذكر له «انه أملى عليه وأنه لم يكتبه».

### \* مرحلة الخلاف والصراع مع السير سيد أحمد خان :

تعد العلاقة بين شبلى والسير سيد من النقاط الحساسة والمسائل الخلافية التى دار حولها النقاش والبحث قديماً وحديثاً، ومن النقاد والباحثين من جعل شبلى من رفاق السير سيد ومنهم من اعتبره معارضاً له وكل فريق منهما أبد آراءه بأقوال ثابتة وأدلة دامغة صادرة عن قلميها. إلا أن الباحث يرى أن المتتبع لحياة وأعمال شبلى والسير سيد يستطيع أن يجزم أن لكل منهما منهجه وطبيعته الخاصة به، وعلى الرغم من أن الظروف قد جمعتهم معاً فى كلية على كرتهد إلا أن شبلى ظل على رايه المخالف غالباً لرأى السير سيد فى المسائل التعليمية والدينية والسياسية وعندما اتسعت هوة الخلافات بينهما ترك شبلى كلية على كرتهد وساهم فى تأسيس «ندوة العلماء» وكان طابعها الفكرى هو التوفيق بين الاتجاه السلفى القديم والاتجاه العلمانى الحديث الذى قاده السير

(١) المرجع السابق: ٢٨٠-٢٨١.

سيد ورفاقه في حركة «على كَرطَه».

نعم لقد تأثر شبلي بالسير سيد عند لقائهما لأول مرة وفي أثناء إقامته في كلية على كَرطَه تأثر بالمنهج العقلي والحركة العلمية والآراء الجديدة في العلوم والفنون فظهر لديه الميل إلى التفكير العقلي إلا أنه وإن كان قد اتفق مع السير سيد في بعض الأفكار إلا أنه اختلف معه في المسائل الجوهرية التي لا تفيد فيها وسطية بل إنه حاول التبرأ من أفكار السير سيد الخاصة بالدين التي كانت تمثل في ضمير شبلي كفرةً صراحاً.

وفيما يلي سوف نعرض تطور هذه العلاقة بين شبلي والسير سيد ونتطرق للخلافات الدينية والسياسية بينهما :-

لا يمكن لأحد أن ينكر ما تركه السير سيد من أثر واضح وجلي على الأدب الأردني وهذا التأثير يشتمل على الموضوع وروح المعنى فقبل عصر السير سيد كانت دائرة الأدب الأردني - إذا استثنينا الشعر - محدودة بالتصوف والتاريخ والتذاكر والموضوعات الدينية ولم يكن هناك اهتمام بالعلوم الطبيعية فكان السير سيد أول أديب يؤسس مدرسة فكرية على أساس العقل والتطور المادي.

والتقى شبلي بالسير سيد وقبل العمل في كلية على كَرطَه استأذناً للعلوم العربية واستفاد كثيراً من مكتبة السير سيد وما بها من كتب نادرة وخاصة الكتب الأوروبية. يقول محمد إكرام: «لقد ترك شبلي» المولوية(\*) عندما جاء إلى على كَرطَه وتغيرت أفكاره رأساً على عقب واتسعت مداركه العقلية»<sup>(١)</sup> ويرى رام بابوسكينه «أن الجسور العلمية لعلى كَرطَه قد أثرت تأثيراً مفيداً في شبلي»<sup>(٢)</sup> وذلك لتعامله المباشر مع رفاق السير سيد وخاصة حالي والأساتذة الإنجليز وعلى رأسهم توماس آرنولد، لذا نرى أن «الجو العلمي» هو الذي أثر في شبلي وليس السير سيد كما يعتقد الناس.

وكان من الواضح في ظل الاختلاف والتناقض في طبائعهما أن تتسع هوة الخلاف يوماً بعد يوم بين شبلي والسير سيد الذي اتضح من الأحداث السالفة الذكر أن كلا منهما على النقيض في أفكاره السياسية والدينية والاجتماعية والتعليمية وكان شبلي يتحين الفرصة ليعلن تمرده علانية بعدم الارتباط بحركة السير سيد ولم يتطرق حالي إلى

(\*) المولوية: الطبقة الدينية التي لها اتجاه ديني متمت. (محمد إكرام: موج كوثر: ٢٢١).

(١) محمد إكرام: موج كوثر: ٢٢١.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ أدب اردو: ٤٦٨.

ذكر هذا الخلاف في كتابه «حيات جاويد» كما لم يذكره شبلى نفسه إلا أن هذا الخلاف يبدو جلياً من أوراق التاريخ. وبالرغم من فضائل السير سيد ومحاسنه إلا أنه كان به عيب فادح وهو أنه لا يستطيع أن يتحمل من رفاقه غير الموافقة ولا يتحمل منهم رأياً مخالفاً لرأيه، وقد أشار حالى إلى هذه العادة بقوله: «إن هذه العادة توجد في السير سيد فهو شخصية مستبدة لا شك في ذلك»<sup>(١)</sup> ونتيجة لهذا نشب خلاف حاد بينه وبين مولوى سمیع الله خان ساعده وصديقه الحميم كما ابتعد عنه خليفته سيد محمود ثم كان الخلاف بينه وبين شبلى. وكان أول نقد وجهه شبلى للسير سيد في كتابه الأول «مسلمانون كى كذشته تعليم» فعند الحديث عن التراجم يقول: «إن العرب تطوروا تطوراً لم يبلغوه الآن عندما ترجموا علوم العالم للغة العربية وقد انخدع مؤسسو المجتمع العلمى بعلى كَرطه بهذه الواقعة وفهموا منها أن قومنا سوف يتطور وتتقدم علومنا بعد أن نترجم علوم أوروبا وفنونها إلى لغتنا الأردية مثلما طور أسلافنا العلوم عن طريق التراجم وهذه فكرة خاطئة أولاً لأن هذا العمل كان يتطلب مئات الآلاف من الروبيات التى كانت متوفرة في العصر العباسى وغير متوفرة الآن، ثانياً أن العلوم كانت آنذاك محدودة وقد أحاط العرب بعلوم اليونان عندما ترجموا هذه الكتب ثالثاً: كانت اللغة العربية في ذلك الوقت لغة الحاكم فى البلاد الإسلامية أما الأردية فليست لغة الحاكم وقد اعترف السير سيد مؤسس «سينتفك سوسايتى» «المجتمع العلمى» فى كتاباته مراراً بخطئه»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الاعتراض البسيط لم يرق للسير سيد على الرغم من اعتذار شبلى له وقد ذكر حالى هذه الواقعة بالتفصيل فى «حيات جاويد»<sup>(٣)</sup>.

### \* الخلافات الدينية:

فى الوقت الذى كان فيه السير سيد مغرماً بالتأويل والخوض فى القضايا الدينية الحساسة نجد أن شبلى لم يجهد هذا النوع من التأويلات التى كثيراً ما تدفع الإنسان إلى الخطأ. يقول حالى فى مقالة له بعنوان «سر سيد اور مذهب» أى السير سيد والدين: «هناك تفسيرات كثيرة وتاويلات متعددة للسير سيد يتعجب لها المرء بمجرد أن يراها

(١) حالى: حيات جاويد: ١/ ٢٩٠ (نامى بريس كانبور).

(٢) شبلى النعمانى: (مقالات شبلى: ج٣) مسلمانون كى كذشته تعليم: ٣٥-٣٦.

(٣) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٨٦-٢٨٧.

ويقول كيف يتحمل عقل شخص مثل هذه التأويلات الكثيرة وكيف تبدر عن قلمه مثل هذه الأخطاء الشائعة<sup>(١)</sup>.

يقول شبلى « كان السير سيد يكتب ذات مرة رسالة عن «حقيقة الجان» وتوفر لنا فى ذلك الوقت كتاب «إعجاز القرآن» للإمام الباقلانى وقد ورد فيه أشعار للجن وأشعار للشعراء الجاهليين يذكرون فيها أن الجان أصدقاء لنا يأتون إلينا ويأكلون معنا فقال شبلى لقد زودتنا هذه الأشعار بمعلومات هامة إلا أن السير سيد فسر معنى الجان فى أشعار العرب بالدهقان أو إنسان الغابة لأنه ينكر وجود الجان، وخالفه شبلى الذى يؤمن بوجود مستقل للجن حسبما ذكر فى القرآن، يقول ابن تيمية: لا يمكن إنكار وجود الجان إلا أن صورتهم لا تتغير فيأتون ويترددون على الناس».

وكان السير سيد ينكر الأعمال الكبرى الخارقة للعادة وكتب فى تأويلها مقالات طويلة أما شبلى فقد كتب تعليقاً على هذا الكلام يقول فيه إن القرآن قد ورد فيه هذا النوع من الوقائع، بينما يرى أصحاب الفرقة الجديدة (يقصد السير سيد) أن هذا النوع من الأحداث الخارقة للعادة غير موجودة فى القرآن، ومن العدل أن نقول أن القرآن الكريم وجميع الكتب السماوية لا تنكر ذلك.

وكان هناك بينهما خلافات فى بعض القضايا الفقهية فمثلاً كان السير سيد يعتبر طريقة النصارى فى لى عنق الدجاجة حتى تموت حلال ويقول هذه طريقة أهل الكتاب الحالية فى الذبح وذبيحة أهل الكتاب حلال فى الإسلام وقد كتب السير سيد رسالة فى تأييد رايه هذا ولا شك أن طعام أهل الكتاب وذبائحه حلال ولكن بشرط ألا تكون من المحرمات فى الإسلام لكن الخنق أو الذبح بالخنق فهو طبقاً لرأى القرآن الكريم الخاص بالمنخنة حرام<sup>(٢)</sup>.

كان موضوع أكل المسلمين مع أهل الكتاب (الإنجليز) وبصفة خاصة طريقة الذبح من القضايا المثارة فى ذلك الوقت وقد تناولها كثير من المفكرين والفقهاء فقام سيد أحمد خان بكتابة مقالة عن الأكل مع الإنجليز ونشرها فى مجلة «انستى تيوت كزت على كرتهد» أى مجلة معهد على كرتهد عام ١٨٦٦ م ثم قام بنشرها فى رسالة صغيرة فى نفس العام بعنوان: «أحكام طعام أهل الكتاب» يقول فيها: «إن تناول الطعام مع

(١) حالى: حيات جاويد: ٢/٣٤٨.

(٢) على كرتهد ميكزبن: ١٣٤ (مايو: ١٨٩٨م).

الإنجليز وهم من أهل الكتاب أمر لم يحرمه الإسلام كما لم ينه عنه القرآن الكريم والأحاديث النبوية فقد جاء في القرآن الكريم أن طعام أهل الكتاب حل للمسلمين، وإذا كانت طريقة أهل الكتاب في الذبح هي لى عنق الدجاجة حتى تموت فإنه حلال لأن ذلك يندرج تحت طعام أهل الكتاب الذى أحله القرآن<sup>(١)</sup>.

وعندما أراد السير سيد أحمد خان أن يترجم تفسيره إلى اللغة العربية طلب من شبلى أن يقوم بالمراجعة لكنه رفض وتعلل له بكثرة أعماله فوقع اختياره على ابن خال شبلى مولوى حميد الدين وكان يدرس العربية فى الكلية لكنه رفض كذلك وعندما أصر السير سيد أن يعرف السبب قال له بوضوح لا يجب أن ارتكب هذا الذنب وهو التعاون على الإثم فى نشر هذا الباطل ولم يعلق شبلى على هذا الرأى وكأنه بذلك يعلن عن موافقته على ذلك .

ولم يكن السير سيد يعتقد بقبول الدعاء وكان يرى أن التوجه بالدعاء لقبوله يعد من قبيل العبث وكان ينشر حواراته مع نواب محسن الملك فى هذه المسألة إلى أن جاء أحد كبار الهندوس المثقفين وكان ذا نزعة صوفية ويعمل مديراً لمكتب بريد أعظم كرتيه فنشر رسالة قيمة رفض فيها موضوع « الدعاء والاستجابة » للسير سيد وقد ظن الناس أن مؤلفها شبلى لأسلوبها وقوة استدلالها ومما أكد هذا الشك أنها كتبت فى أعظم كرتيه وكاتبها يعرف شبلى .

ونشب خلاف بين شبلى والسير سيد عندما لم يتحمل شبلى آراء السير سيد فى الصحابة وخاصة الخلفاء الراشدين وقام بتأليف « الفاروق » ولم يحفل باعتراض السير سيد لهذا العمل . لقد كان علاج أمراض المسلمين فى نظر السير سيد هو أن يقلد المسلمون الإنجليز فى كل شىء عدا الدين أما علاج أمراض المسلمين فى رأى شبلى فيكمن فى العقائد الإسلامية الصحيحة والمحافظة على الاخلاق إلى جانب قبول الآراء النافعة من التعليم الحديث فقد قال فى إحدى الجلسات : « إذا كان تقدم الامم الأخرى يكون للأمام فإن تقدم المسلمين يكون للوراء للحاق بعصر الصحابة » وقد غضب السير سيد أحمد خان من هذه الخطبة وكان يعتقد أن هذه النصائح سوف تثنى المسلمين عن الطريق الذى يريد أن يمشوا فيه وكتب موضوعاً شديداً يعارضه فيه<sup>(٢)</sup>.

(١) سيد أحمد خان : انستى نيوت كرت على كرتيه : يناير ١٨٦٦م

(٢) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٢٨٩-٢٩٠ .

لقد كان السير سيد مؤمناً بأنه لكي ترتفع همم طلبة الكلية وتسمو أفكارهم فإن عليهم أن يختاروا طريقة الإنجليز وأسلوب حياتهم وتفكيرهم حتى تتولد فيهم روح القيادة، وكان شبلى من أشد المعارضين للسير سيد في هذه الفكرة وكتب إلى مولوى مسعود على الندوى «للاسف إننى اختلفت مع السير سيد فى هذا الامر الجوهرى فأنا أدقق فى أحوال المسلمين منذ ثلاثين عاماً ووجدت أن المانع الاصلى لتطور المسلمين هو ما يدعوهم إليه السير سيد » وعندما توفى السير سيد وقرر رفاقه أن يكتبوا موضوعات مختلفة فى حياته وأعماله اقترحوا على شبلى موضوعاً بعنوان « سر سيد اور مذهب » أى « السير سيد والدين » رفضه شبلى وقبل على مضض كتابة موضوع « سير سيد اور اردو لترطيجر»<sup>(١)</sup> وكتب حالى الموضوع الأول وكان هذا الموضوع خلاصة ما توصل إليه حالى فقد كان يكتب « حيات جاويد » فى تلك الأيام وقد نشر الموضوعات فى مجلة « على كرتھ ميگزين » فى مايو ١٨٩٨م .

وأصبحت مسألة كتابة سيرة السير سيد نفسها مسألة خلافية ، فقد كانت لدى السير سيد فى أواخر حياته رغبة شديدة لأن تكتب سيرته وكان يريد أن يقوم شبلى بهذا العمل ووسط كشييراً من الاصدقاء بينه وبين شبلى فكان شبلى يماطل ويتهرب بحجج مقبولة وبعد أن أعيت الحيل السير سيد فكر فى أن يستدعى شبلى ويعطيه بعض المذكرات لسيرته، وعندما لم تفلح هذه الحيلة كذلك وقع اختياره على حالى فبدأ يكتب سيرته فى عام ١٨٩٣م .

### \* الخلافات التعليمية :

كانت مسألة تطوير التعليم العربى وإصلاحه جانباً آخر من جوانب الاختلاف بين السير سيد وشبلى فقد كان السير سيد يريد أن يطبق التعليم الإنجليزى وفى نفس الوقت يقضى على التعليم العربى الذى يعده ضاراً على المسلمين ولهذا عارض بشدة نظام التعليم الشرقى فى البنجاب عام ١٨٨١م ، وفى عام ١٨٨٩م عارض فكرة إجراء الامتحانات فى العلوم الشرقية فى جامعة إله آباد عارض حركة تعليم اللغات المحلية بشدة وكان يرى أن هذه الفكرة سوف تضر بالتعليم الإنجليزى، فقد كان على كل حال لا

(١) شبلى النعمانى : مقالات شبلى : ٥٧/٢ - ٦٦ .

يحبذ التعليم العربى والعلوم الشرقية لانها فى نظره سوف تعوق تقدم المسلمين<sup>(١)</sup>. اما شبلى فكان على النقيض فيرى أن يبدأ باصلاح نظام التعليم العربى القديم ويطوره يقول فى «سفر نامه»: «إن مسألة فساد التعليم القديم من المسائل المثارة هذه الايام فى الهند ونحن نتالم ونتأسف لذلك، أما ما يظهره أنصار التعليم الحديث من ألم وشفقة على التعليم القديم فلم يكن من قبيل الحزن بقدر ما كان سخرية وشماتة، فمع أننى أفضل التعليم الحديث إلا أننى رغم ذلك أدافع دفاعاً مستميتاً عن التعليم القديم»<sup>(٢)</sup>.

ولهذا عندما تأسست ندوة العلماء كانت مطابقة تماماً لرغبات شبلى وأفكاره فأصبحت هدف حياته وكرس حياته وجهوده لها وترك كلية على كُرطه.

### ✽ الخلافات السياسية:

كانت الميول السياسية لكل من شبلى والسير سيد متباينة منذ البداية، فالسير سيد كان من أشد المؤيدين للحكومة الإنجليزية بينما شبلى كان من المعارضين لها ومن المؤيدين لحزب «المؤتمر»، وكان السير سيد يفضل النظام الملكى فى الحكم وكان يميل إلى الراديكالية بالرغم من أنه مسلم الديانة عربى الاصل، بينما كان شبلى يحبذ طريقة الخلفاء الراشدين فى اختيار الحاكم، وعندما تم عقد جلسة فى الكلية لبحث النظام الجمهورى والملكى فى الحكم أيد شبلى النظام الجمهورى واستدل على ذلك بأصول وقواعد اختيار الحاكم بأسلوب الخلفاء الراشدين وقد تأثر الطلاب بقوة بيان شبلى بينما عارضه السير سيد ولم يقتنع بذلك فكتب شبلى موضوعاً مختصراً للرد عليه ونشر فى مجلة «انستى نيوت كزت» فى ٢٨ يونيو ١٨٩٢م بعنوان «آسيا ونظام الحكم الإسلامى» ويبدو من هذه الوقائع اختلاف شبلى والسير سيد فى الميول والآراء السياسية ولهذا لم يكن شبلى يحبذ محاولات السير سيد لمعارضة «المؤتمر الوطنى» الذى كان شبلى يميل إلى مبادئه، وعلى الرغم من أن شبلى لم يقتحم مجال العمل السياسى علمياً إلا أنه ظل يحتفظ برأيه السياسى حتى آخر حياته. وأن الخلافات السياسية بين شبلى والسير سيد هى التى حدثت به أن يترك الكلية<sup>(٣)</sup>.

(١) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٢٩٢. وشبلى النعمانى: مسلمانون كى كذشته تعليم: ٣-٥.

(٢) شبلى النعمانى: سفر نامه: ٧٧.

(٣) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٩٤-٢٩٥.

## \* مشاركة شبلى فى حركة «ندوة العلماء» :

وفى ظل الظروف المتردية التى كان يمر بها المسلمون قامت كوكبة من علماء المسلمين بعقد العزم على الخروج بالمسلمين من محنتهم وقرروا تأسيس «ندوة العلماء» عام ١٣١١ هـ / ١٨٩٤م وكان الهدف الرئيسى من تأسيسها مراعاة مقتضيات العصر فى الاعتبار خاصة فى مناهج التعليم فى المدارس العربية ورفع الخلافات بين المسلمين فى الهند على اختلاف مذاهبهم وتضييق الخلافات فيما بينهم، وقد قام شبلى ومولوى عبد الحق بتفعيد قواعدها<sup>(١)</sup> وتم الإعلان عن أهداف ندوة العلماء فى سائر الهند والإعلان عن جلساتها القادمة فطراً على المسلمين حالة عارمة من الفرح والسعادة وتلاطمت أمواج الأمانى بعودة الحكم الإسلامى المفقود، وبدأ العلماء يتوافدون من جميع أنحاء الهند للمشاركة فى جلساتها، وكان شبلى أول الذين لبوا نداء الندوة وكان الألم يعترضه لتدهور أحوال هذه المدارس وجهلهم بضروريات العصر وكان هذا الإحساس يظهر فى كل مرة بطابع جديد فى مؤلفاته ومقالاته وخطبه.

وقد انعقدت الجلسة الأولى لندوة العلماء فى ١٥، ١٦، ١٧ شوال سنة ١٣١١ هـ / ٢٢، ٢٣، ٢٤ أبريل ١٨٩٢م فى مدرسة فيض عام بكانپور ورأس الجلسة مولانا لطف الله وقدم شبلى عدة مقترحات أهمها: إصلاح طريقة التعليم الحالية وأن يشارك مدراء المدارس الإسلامية فى جلسات الندوة وتكوين شبكة من المدارس لتنفيذ المنهج الإسلامى فى التعليم بها وترتبط بمدرسة ديونبد ومدرسة فيض عام والمدرسة الأحمدية بآره وغيرها<sup>(٢)</sup> وتوالت الاجتماعات وجلسات ندوة العلماء فانعقدت الجلسة الثانية فى لكتناو فى شوال ١٣١٢ هـ / أبريل ١٨٩٥م، والثالثة فى بانس بريلى فى شوال ١٣١٥ هـ / مارس ١٨٩٨م وشارك شبلى فيها جميعاً بآراء بناءة. وسوف نذكر جهود شبلى فى «ندوة العلماء» فيما بعد.

## \* إجازة لشبلى من الكلية وسفره إلى بهوبال ٩٧-١٨٩٨م:

ظل شبلى يعانى من آلام ألت بمعدته واستمر على تلقى العلاج، إلا أن مرضه وحاجته للراحة كانت أحد الأسباب التى جعلت شبلى يفكر فى الإجازة، أما السبب الثانى فهو خلافه مع السيد محمود سكرتير كلية على كرتهم، والسبب الثالث هو عدم

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٣٠٥-٣٠٨.

رضاه عن سياسة مستر<sup>(١)</sup> بوك الذى يتعامل بصلف وغرور فلم يوافق شبلى على سياسته التى كانت تهدف إلى تدريس وتلقين الطاعة وحب العبودية للحكومة والوفاء للكلية .

أخذ شبلى إجازة من ديسمبر ١٨٩٦ حتى نوفمبر ١٨٩٧م وذهب إلى أعظم كَرطه وفى ٢٧ يونيو ١٨٩٧م توفى أخوه مهدي حسن القاضى بأعظم كَرطه وحزن شبلى كثيراً لوفاته وعاد إلى على كَرطه فى نوفمبر ١٨٩٧م على أن يأخذ إجازة طويلة ليسرى عن نفسه، وفى عام ١٨٩٨م تولى نواب سيد على حسن خان صديق شبلى وزارة التعليم فى بهوبال وكان مهتماً بالتعليم العربى اهتماماً بالغاً فأقام خمس مدارس عربية فى مدينة بهوبال ولم تكن هناك نتيجة لهذه المدارس لعدم وجود إدارة للتعليم ولا قواعد لدخول الامتحانات ولم تكن بها مكتبة ولا مقررات دراسية ولا التزام بين المدرسين فقرر النواب إنشاء مجلس شورى للتعليم باسم «نظارة المعارف» واستدعى عالمين من خارج بهوبال ليقوما بإصلاح وتنظيم المدارس العربية كان شبلى أحدهما والثانى مولانا إبراهيم آروى الذى أقام مدرسة عربية فى آره هى «المدرسة الأحمدية»، وكتب شبلى لائحة تنظيمية للشئون الإدارية والتعليمية فى ١٣ بنداً تحتوى على قواعد مرتبات والامتحانات واقتراح بالمناهج وجدول تقسيم الحصص وقد تحسنت حالة المدارس هناك بعد تلك التنظيمات وظهرت نتائجها الملموسة<sup>(٢)</sup>.

**\* وفاة السير سيد أحمد خان عام ١٨٩٨م واستقالة شبلى من الكلية ومرضه :**

عاد شبلى إلى على كَرطه فى نهاية فبراير ١٨٩٨م وكان وقتاً حرجاً وحساساً بالنسبة لسياسة على كَرطه، وفجأة توفى السير سيد فى ٢٧ مارس ١٨٩٨م بعد مرض استمر عدة أيام فتوقفت جميع أعمال المعارضة وحزن شبلى لوفاة السير سيد على الرغم من الخلافات التى كانت بينهما ونستطيع أن نلمس ذلك من هذا الخطاب الذى كتبه باللغة العربية لنواب على حسن خان فى بهوبال، حيث يقول :- «تضعفت أركان الملة أعنى انتقل السيد أحمد خان بهادر إلى جوار رحمة ربه وذلك يوم الاحد ٢٧ مارس وتفرق

(١١) يوهان بوك (Yohan Bouke) ١٨٤٠-١٩٠٧م تولى رئاسة كلية على كَرطه من قبل الإنجليز عام ١٨٩٨ بعد وفاة السير سيد أحمد خان - وكان متعصباً ورافضاً لتدريس العلوم العربية والدينية (محمد إكرام: موج كوثر: ١١٧).

(٢) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٣١٧-٣٣٠.

شملنا إنى لا أقدر على أن اشتغل بشيء إلا بعد برهة من الزمان» (١).

ومن الملاحظ أن شبلى الذى مدح السير سيد قبل ذلك عدة مرات لم يقل بيتا شعريا واحداً فى رثائه ويرجع ذلك إلى أن الشعر الكاذب لم يكن من طبيعته وأن الظروف قد تغيرت.

وبعد وفاة السير سيد آلت مسئولية الكلية إلى مستر بوك وسيد محمود ابن السير سيد أحمد خان وسكرتير الكلية وكان الأخير يزداد سوءاً يوماً بعد يوم فأخذ شبلى إجازته من بداية مايو ١٨٩٨م ثم أرسل لهم استقالته وهكذا ودع على كَرطه بعد حياة حافلة بالعمل والجهد دامت ستة عشر عاماً وتوجه إلى أعظم كَرطه فى يونيو ١٨٩٨م، حيث ابتنى قصراً صغيراً فى حديقة أسرته وسماه «شبلى منزل» وقد صار بعد وفاته قبراً له ومقراً لدار المصنفين، وفى تلك الفترة قام بترتيب مكتبته الضخمة وأراد أن يكمل الجزء الناقص من كتابه «الفاروق».

كان من العسير أن يقيم شبلى فى أعظم كَرطه طوال العام فسافر إلى إله آباد فى سبتمبر ١٨٩٨م، ثم مرض فذهب إلى «لكناو» وأقام فى «گوله گنج» فى الندوة وتلقى العلاج هناك على يد الطبيب المشهور حكيم عبد العزيز وفكر أن يبعثه إلى مصحة للعلاج ففكر فى الذهاب إلى كشمير للاستجمام والعلاج وكان قد فكر فى ذلك منذ عدة سنوات كما مر بنا إلا أن هذه الفكرة وصلت إلى حيز التنفيذ هذا العام لتخلصه من أعباء العمل فى الكلية، ولهذا اتجه إلى كشمير فى فبراير ١٨٩٨م وهناك استرد صحته وانتهى فى ٥ يوليو من الجزء الثانى من «الفاروق» ثم عاد إلى موطنه فى ٣١ يوليو ١٨٩٨م ليباشر عمله فى «المدرسة القومية» كما كتب مقدمة «الفاروق» فى أعظم كَرطه فى ديسمبر ١٨٩٨ وأرسله للمطبعة فى ٨ فبراير ١٨٩٩م (٢). وفى هذه المرة اشتد عليه المرض حتى فكر فى كتابة وصيته وتصادف أن وصل إلى أعظم كَرطه طبيب ماهر هو الدكتور مصطفى خان وكانت تربطه صداقة مع أخى شبلى مولوى اسحاق فباشر علاجه حتى تحسنت صحته وبدأ يهتم بالتأليف وبأمور ندوة العلماء.

### \* مؤتمر الاستشراق بإيطاليا والرغبة فى السفر إلى إيران ١٨٩٩م:

بعد أن استرد شبلى صحته أراد أن يسافر إلى إيطاليا ليحضر جلسة مؤتمر الاستشراق

(١) شبلى: مكاتيب شبلى: ٢/٢٦١ (معارف أعظم كَرطه ١٩٢٧م).

(٢) المرجع السابق: ٣٣١-٣٣٨.

فى أوروبا الذى كان مقرراً له ان ينعقد تلك السنة فى إيطاليا وكان هذا المؤتمر يهتم بالبحث فى العلوم والفنون الإسلامية والشرقية وكان من حسن حظه ان توماس آرنولد كان سيشارك فى هذا المؤتمر من قبل حكومة البنجاب فاقترح على شبلى السفر وكتب إلى صديقيه نواب سيد على حسن خان ومولانا حبيب الله شروانى بهذه الرغبة إلا انه لم يستطع السفر بسبب مرضه . وفى تلك الايام اراد والى كابل الامير عبد الرحمن خان إنشاء إدارة للترجمة فى الهند لخدمة بلده وأراد أن يسند إدارتها لشبلى فرفض عرضه كما رفض اقتراح آخر من إحدى الإمارات بترجمة «مقدمة ابن خلدون»<sup>(١)</sup>.

وبرغم مرضه إلا انه ظل مهتماً بأمور الندوة فاقترح فى أغسطس ١٨٩٩م إدخال اللغة الإنجليزية ضمن المقررات الدراسية فى دار العلوم فعارضه العلماء الذين كانوا يعتبرون اللغة الإنجليزية جرماً فادحا وذنباً عظيماً ورفضوا الاقتراح مما أحزن شبلى وسوف يأتى تفصيل ذلك فيما بعد .

ثم اراد شبلى السفر إلى أى دولة خارجية للنزهة والاستجمام فقرر السفر إلى إيران واشترى تذكرة السفر بالباخرة إلى بندر عباس لكنه لم يستطع السفر هذه المرة بسبب مرضه فقرر البقاء فى موطنه أعظم كرتھ حيث قضى عام ١٩٠٠م بها بسبب المشاكل العائلية وكانت زوجته قد توفيت منذ خمس سنوات فنصحته طبيبه الدكتور مصطفى خان بالزواج الثانى واستقر الامر على الزواج من ابنة خال مولوى سميع الله خان على الرغم من رفض ابنه الوحيد حامد لهذا الزواج وعاش فترة فى اضطرابات عائلية ثم ما أن كاد يستريح من هذه الاضطرابات ويسترد صحته فإذا بوالده يمرض ويشهد به المرض وينشغل شبلى بتمريضه والبقاء بجواره حتى مات فى ١٢ فبراير ١٩٠٠م وتأثر شبلى وجميع الأسرة بفقدته ورثاه شبلى بمرثية طويلة فقد كان عائل الأسرة الوحيد فألّت قيادة الأسرة لشبلى أكبر اخوته وكان عليه أن يؤدى ديناً كبيراً على والده يقدر بنحو ثلاثين ألفاً<sup>(٢)</sup>. وقد انفرد سيد سليمان الندوى برواية هذا الدين الكبير الذى تركه والد شبلى له، وقد ساهم هذا الدين برسم خط حياة مأساوية لشبلى يسير عليه لآداء هذا الدين

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٣٣٩-٣٤١.

(٢) المرجع السابق: ٣٤٨-٣٤٩، ٣٥٣-٣٥٥.

الكبير مع أننا نتعجب من ذلك لأن سيد سليمان ذكر هذا الدين فجأة ودون مقدمات حتى ليندهش القارئ لسيرة شبلى من هذا «العنصر المفاجيء» الذى سيغير الأحداث فيما بعد على الرغم من أن والد شبلى وأسرته كانوا من الاقطاعيين وأعيان أعظم كَرت هـ ولهم مزارع شاسعة للنيلة وقصب السكر ومصانع لتصنيعها .

\* شكوك الإنجليز فى أهداف الندوة وإقامة شبلى فى حيدرآباد من ١٩٠١ حتى ١٩٠٥م:

فى الفترة التى كان شبلى غارقا فيها فى المشاكل العائلية جاء إلى الولايات المتحدة حاكم إنجليزى جديد هو «ماكدونال» فكان ينظر إلى المسلمين بعين الشك والريبة وكانت الندوة فى ذلك الوقت فى قمة ازدهارها وقوتها لكن لسوء الحظ نشبت نزاعات شخصية بين أكبر داعى للندوة فى لكناو محمد أطهر على كاكورى ونصرت على السند يلوى فاغتنم الأخير هذه الفرصة للقضاء عليه فوشى به عند الحاكم الإنجليزى فحاتم حوله الشكوك السياسية ونتيجة لهذا غادر كبار أعضاء الندوة الإقليم بل والهند البريطانية فذهب أطهر على إلى حيدرآباد ورحل مولانا سيد محمد على مدير الندوة إلى الحجاز عام ١٩٠١م وخلفه فى إدارتها مولانا عبد الحق حقانى الدهلوى، ورحل شبلى إلى حيدرآباد فى نهاية فبراير ١٩٠١م فنزل ضيفا على مولوى عزيز ميرزا<sup>(١)</sup> وفى اليوم الثانى علم مولوى سيد على بلجرامى بوصوله فجاء إليه بنفسه وأخذته منزله وتوافد عليه الناس ليعلنوا عن سعادتهم لمجيئه حيدرآباد وفى مارس انعقدت جلسة مهيبه اجتمع فيها نحو ألف وخمسمائة عالم لسماع خطبة شبلى وكان وزير العدل رئيسا للجلسة وخطب شبلى خطبة عصماء تحدث فيها عن علم الكلام بأسلوب علمى مهذب .

وكانت الحكومة فى حيدرآباد قد أقامت هيئة كبيرة للشعون الدينية ينطوى تحت رئاستها جميع المساجد والكنائس والاماكن الدينية والأوقاف فأراد نواب مدار المهام أن يسند إليه إدارة هذه الهيئة لكن شبلى رفض لأن راتب هذه الوظيفة ضعيل من جانب ولأن الاوضاع السياسية فى حيدرآباد كانت تمر بمنعطف دقيق وحساس . وفى تلك الفترة أقام سيد على بلجرامى إدارة للعلوم والفنون فى عهد نواب سر وقار الامراء بهادر وكان الهدف منها جمع ذخيرة من الكتب العلمية فى اللغة الأردية عن طريق التاليف

(١) حالى : مكتوبات حالى : ٤١/١ .

والترجمة والنشر ووقع اختياره على شبلى لتولى إدارة هذه الإدارة بمرتب قدره أربعمائة روبية شهريا<sup>(١)</sup>. وكان اختياراً موفقاً وقد نشر لشبلى عدة كتب ضمن هذه السلسلة وهى : الغزالي والكلام وعلم الكلام وسوانح مولانا روم .

وفى بداية عام ١٩٠٥م غادر شبلى حيدرآباد متوجهاً إلى لكناو وبدأ فى عمل آخر وبدأ شبلى يعمل فى تأليف « شعر العجم » وفى نهاية سبتمبر ١٩٠٦م بدأ إعداد أجزاء من كتابه « موازنة أنيس ودبير » للطبع فى مطبعة مفيد عام باكره ثم اتجه لتأليف « شعر العجم » وفى خلال رئاسة شبلى لإدارة الفنون والعلوم فى حيدرآباد تم تأليف وطباعة عدة كتب تحت رعايته مثل كتاب « الآلات » فى الميكانيكا وهو باللغة العربية وطبع كتاب « نظام اكبرى » فى حيدرآباد عام ١٩٠١م والجزء الثالث من كتاب « تاريخ الدكن » باكره عام ١٩٠٣م . وفى تلك الاثناء حاول نواب محسن الملك جاهداً أن يُخرج شبلى من هذا الصراع الذى تملكه بإعادته مرة أخرى إلى كلية على كَرت هـ إلا أن شبلى لم يوافق على هذا العرض وكان ما يشغل بال شبلى فى هذه الفترة هو سداد الديون المستحقة عليه حتى إنه فكر فى بيع مكتبته الخاصة<sup>(٢)</sup> .

#### • شبلى يكرس جهوده للندوة :

كان شبلى أسير للوظيفة الجديدة لذا لم يتمكن من حضور الجلسة السنوية للندوة فى كلكتا عام ١٩٠١م ولكنه أعرب فى رسالة له عن أنه سوف يتخلص من جميع ارتباطاته قريبا ويتفرغ لأعمال الندوة ويكرس جهوده لها وكان شبلى قد أظهر هذه الرغبة مرارا فى خطاباته الشخصية إلا أن هذه أول مرة يعلن فيها رغبته على الملا وقد خطت الندوة خطوة كبرى نحو التقدم فى العملية التعليمية حيث اضيفت فرقة رابعة للتعليم الابتدائى وتم فتح الفصل الاول من التعليم المتوسط فى شوال ١٤١٩هـ - فبراير ١٩٠٢م . وبعد شهر انعقدت الجلسة السنوية للندوة فى أمر تسار فى رجب ١٣٢٠هـ - أكتوبر ١٩٠٢م وقدم شبلى أفكاره على هيئة بكائية موزونة فى « تركيب بند »<sup>(٣)</sup> فارسى

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى : ٣٥٨ - ٣٦٢ .

(٢) المرجع السابق : ٣٨١ - ٣٨٥ .

(٣) « تركيب بند » هو نوع من القصائد يتكون من عدة مقطوعات متساوية تسمى القطعة منها « بند » وهى

متفقة فى الوزن ومختلفة فى القوافى ويوجد مصرع أو بيت شعر يردد فى نهاية كل بند

(الرازى : المعجم فى معايير اشعار المعجم : ٣٧٢) .

وللتركيب بند نوعان : الاول أن يكون لشطرى هذا البيت نفس القافية فإن جمعتهما يتكون مثنوى .

والثانى أن تكون جميع هذه الأبيات فى قافية واحدة فإذا جمعناها تتكون وحدة جديدة . =

وطبعها منشى رحمت الله رعد فى مطبعة نامى قبل الجلسة. يقول فى مطلعها :

اى كه پرسى چه كسانيم وجه سامان د اريم . . . آنچه باهيچ نيرزد بجهان آن د اريم (١)

كما كتب شبلى تقريراً كاملاً عن مسألة ختم النبوة « ليردبة على مزاعم مرزا غلام أحمد القاديانى (٢) »

وألقاها أمام الحاضرين فتأثروا بها كثيراً. وفى جلسة خاصة فى أمر تسار قام العلماء

= (مرزا قادر بخش صابر : كَلستان سخن . الجزء الأول . ٧٩).

وجرى العرف الا تزيد وحدات البند عن عشرة ولا ينقص عن خمسة وأن تكون الابيات فى كل قسم ثمانية أو عشرة . والترجيع بند والتركيب بند قريباً الشبه بالموشحات العربية التى اخترعها شعراء الأندلس فى أواخر القرن الثالث الهجرى، ثم ظهرت بعد ذلك فى المشرق العربى فى شعر ابن المعتز . وفيها تنقسم المنظومة إلى عدة أبيات فى كل واحد منها أشطر متفقه فى القافية يعقبها بيت يوافق فى قافية نظائرها فى المنظومة كلها . أو فى كل قسم أبيات ذات قوافى متفقه يفصلها بيتان ذات قافية واحدة وكذلك ضرباهما فى المنظومة كلها .

(عبد الوهاب عزام : أوزان الشعر وقوافيه فى العربية والفارسية والتركية .

مجلة الآداب . المجلد الأول . الجزء الثانى . ديسمبر ١٩٣٧ م ص : ٥٣ .)

(١) إلا أيها السائل من نحن وأى متاع لدينا، إننا نمتلك فى الدنيا ما لا يساوى شيئاً .

(٢) مرزا غلام أحمد القاديانى : مؤسس الفرقة « القاديانية » ولد فى البنجاب فى عام ١٨٣٧م فى قرية « قاديان » بجوردا سبور وبعد أن تلقى تعليمه الأولى بدأ يهتم بالأمور الدينية ويتناظر كثيراً مع مبشرى الكنيسة الاسكتلندية وكان يعيش فى حالة من الغياب عن الذات وفى هذه الحالة بدأ يتدرب على الكتابة بالأردية والفارسية والعربية ونشر « براهين حمدية » عام ١٨٨٠م، وكان به مسائل خلافية عديدة وفى عام ١٨٩١م إدعى أنه المسيح المنتظر والمهدى وبذلك فتح باب الخلاف بينه وبين المسلمين وافتى مولوى محمد حسين بتالوى بتكفيره كما عارضة القساوسة وأسس مجلة « ريو يواى ريلجينز » اى بحث فى الاديان عام ١٨٩٢م وعن طريقها بدأ فى نشر أفكاره ومعتقداته وتوفى فى ٢٦ مايو ١٩٠٨م فى لاهور ودفن فى قاديان .

(محمد إكرام : موج كوثر : ١٧٧ - ١٧٨) .

وتنتسب الطائفة القاديانية إلى مدينة قاديان بالهند، وأحياناً يطلق عليهم اسم « الأحمدية » لانتسابهم فى مذهبهم إلى رجل اسمه « غلام أحمد » أى عبد النبى عليه السلام .

وادعى غلام أحمد أنه المسيح الموعود، بمعنى أنه جاء بقوة وروح عيسى عليه السلام وادعى أيضاً أنه هو النبى الذى تنبأت بظهوره فى آخر الزمان أغلب الديانات العظيمة وأكد أن القرآن هو آخر كتاب تشريعى موحى به من الله تعالى وأن محمداً ﷺ آخر الانبياء أيضاً ليفسر القرآن وتعاليم الإسلام فى ضوء الوحي الإلهى بما يطابق العصر الحاضر، وليكون هو نفسه مثالا يبين الحياة الإسلامية . وللقاديانية رئيس دينى يلقبونه بأمير المؤمنين وخليفة المسيح الموعود والمهدى المعضود . وقد صادفت الدعوة القاديانية نجاحاً فى بعض جهات افريقية وأخذوا يبشرون بالإسلام فى أوروبا وأمريكا وآسيا وشيدوا بعض المساجد فى إنجلترا وقد قل نشاطهم الآن وضعفت حماستهم . (الشهرستانى : الملل والنحل : ٦٢/٢ - ٦٣) .

ببحث المقررات الدراسية وفي النهاية وافقوا على إصلاح المقررات الدراسية وقرروا بعض القواعد والاسس الجوهرية في هذا الموضوع وبذل شبلى جهوداً خارقة لتغيير مناهج الدراسة القديمة مثل: كتاب ملا جلال وشرح جامى وفصول اكبرى والكافية والمبيدى والشافية وغيرها واقترح بدلا منها كتباً جديدة.

وكانت الندوة في قمة تدهورها في تلك الايام حيث تنح مولانا سيد محمد على عن إدارتها وتولى الإدارة بعده مولانا مسيح الزمان خان شاهجها نبورى وانتقلت إدارة الندوة إلى شاهجان بور وفي نفس السنة أى في ١٩٠٣ م سلم إدارة الندوة ورعايتها إلى منشى محمد اطهر على حاكم كاكورى وعقدت الندوة اجتماعها السنوى في مدراس في عام يناير ١٩٠٤ م ورأس شبلى الجلسة الرابعة التى عقدت يوم ٦ يناير واقترح شبلى بناء إحدى قاعات دار العلوم من عائد تبرعات العلماء فقط ووافق على هذا الاقتراح ملا عبد القيوم حيدر آبادى وبناء على هذا انهالت تبرعات العلماء وكانت فرصة طيبة لتتقىء الاجواء بين العلماء وتم حسم موضوع المقررات الدراسية وورد اسم شبلى ضمن مسئولى الندوة وفي هذه السنة قرر شبلى أن يطبق المقررات الجديد فى دار العلوم ويقيم عدة أيام فى لكاناو ليطلع عن كشب على عيوب الندوة ودار العلوم وكيفية إصلاح هذه العيوب<sup>(١)</sup>.

#### • شبلى سكرتيراً لجمعية تطوير الأردية «انجمن ترقى اردو» يناير ١٩٠٣ م:

فى عام ١٨٦٦ م قاد السير سيد حركة لإقامة جامعة للغة المحلية عن طريق الجمعية الهندية الإنجليزية «برتش اندين ايسوسى ايشن» وكانت اللغة الأردية فى ذلك الوقت لغة حكومية فكان يبدو من هذا أن الجامعة المحلية تعنى جامعة اللغة الأردية وعندما فهم الهنود ذلك طالبوا بجامعة للغة الهندية أسوة بجامعة الأردية ونتيجة لهذا فشل هذا الاقتراح وبدأت محاولات من جانب الهنود فى إقليم بهار والأقاليم المتحدة لنشر اللغة الهندية فى المصالح الحكومية ونجحت فى بهار، مما حدا بالسير سيد أن ينشئ لجنة مركزية فى إلة آباد لحماية الأردية عام ١٨٧٢ م وردا على ذلك قام الهنود بالدعوة إلى نشر اللغة الهندية والأبجدية الديونا جرية أى السنسكرتية فى الإدارات الحكومية وجاء السير انطونى مكدونال فاصدر أمرا حكوميا فى ١٩٠٠ م يسمح باستعمال الحروف الناجرية فى الإدارات الحكومية فاصاب هذا الأمر المدافعين عن الأردية فى مقتل وقرر العلماء فى

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٣٨٦ - ٣٩٩.

نهاية ديسمبر ١٩٠٢ وأوئل يناير ١٩٠٣م عقد مؤتمر «مسلم ايجو كيشنل كانفرانس» أى المؤتمر التعليمى الإسلامى، جلسته فى دهلى وانبثقت منه لجان عديدة كان من بينها لجنة اللغة الأردية واسمها «انجمن ترقى اردو» أى «جمعية تطوير الأردية» وتم تعيين شبلى النعمانى سكرتيراً لها فقام باختيار كتب عربية وفارسية وإنجليزية جديدة بالترجمة ودعا العلماء والمفكرين للاشتراك فى هذا العمل القومى وعين المترجمين وانتشر نوع من الحماس الهادر للغة الأردية فى سائر أنحاء الهند وعندما اشتكى كتكابرشاد مدير تحرير جريدة «أخبار هندوستانى» بلكناو فى جريدته أن الجمعية تفصل أعمال الهنود فى الأردية على حدة قام شبلى سكرتير الجمعية وكذب هذا الزعم فى الصحف وأكد بالدلائل العلمية القاطعة تعارض هذه الفكرة مع قواعد الجمعية لأن أول جائزة تمنحها الجمعية لكتاب أردى كانت لمترجم هندى هونراين برشاد درما وهو خاص بالهندوس واسمه «بيغمبران هند» أى «رسل الهند» وفيه تذكرة لسروى كرشن جى وبوذا وهما أصل أصول الديانة الهندوسية.

وقد واصلت الجمعية نجاحها فى العام التالى ونشرت عددا من الكتب كما اهتمت بالمقررات الدراسية الأردية ومن هذه الكتب التى اعنتت بها الجمعية: ترجمة كتاب «التعليم» لهريرت سبنسر وترجمة «محاضرات موللر» وترجمة كتاب «الابطال» لكارلايل وكتاب إلهيات ونامه دانشوران ومعارف ابن قتيبة والقمر و«تاريخ الحضارة» لبكلر وسوانح عمرى أمير خسرو الدهلوى وقديم فارسى وسوانح عمرى ميرانيس وطريقة حكم الإنجليز وغيرها كما أبدى شبلى اهتمامه بترجمة المصطلحات العلمية فى العلوم ثم تركها شبلى فى عام ١٩٠٥م وذهب للتفرغ لندوة العلماء<sup>(١)</sup>.

\* شبلى مديرا لدار للعلوم من ١٩٠٥ حتى ١٩١٣:

ذكر اسم شبلى مديرا لدار العلوم لأول مرة فى ١٦ من ذى الحجة ١٣٢٠ هـ الموافق ١٦ مارس ١٩٠٣م فى شاهجهان پور عندما قدم مولانا غلام محمد فاضل هوشيارى هذا الاقتراح لمجلس الإدارة ووافق الأعضاء بالإجماع وطلبوا من شبلى أن يأتى إلى لكتناو وجاء شبلى وتسلم منصبه فى ١٥ من صفر ١٣٢٣ هـ الموافق أبريل ١٩٠٥م فكانت فرصة كبيرة لشبلى لإصلاح التعليم العربى وتطوير المناهج وتطبيق المقررات الدراسية الجديدة.

وقد قام شبلى بتنفيذ عدة اجراءات هى:

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٤٠١ - ٤٠٧.

## \* إدخال التعليم الإنجليزي :

كان شبلى يريد أن يلم العلماء بقدر من اللغة الإنجليزية ليحافظوا على وقارهم ومنزلتهم العلمية في العصر الحديث لكي يستطيعوا أداء فريضة نشر الإسلام وتبليغه في بلدهم والبلاد الأجنبية الأخرى إلا أن طلبه هذا رفض أولا فلم يبيس وقدمه مرة أخرى وتمت الموافقة عليه على الرغم من المعارضة الشديدة التي واجهها من كبار الأعضاء وعلى رأسهم العالم المستنير مولانا شروانى، فى حين هدد البعض الآخر بسحب الممتلكات التي أوقفوها للندوة إلا أن شبلى والأعضاء الآخرين الذين كانوا يؤمنون بأهمية التعليم الإنجليزي أصروا على رأيهم وتم تعيين أستاذ إنجليزي لتدريس اللغة الإنجليزية فى آخر ربيع الأول ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م؛ ونتيجة لذلك ظهرت جماعة من الطلاب الذين تعلموا اللغة الإنجليزية وأدوا خدمات جليلة منهم مولوى ضياء الحسن العلوى الذى تعلم فى دار العلوم ثم صار مفتشا على المدارس العربية ومولوى عبد البارى الندوى الذى ترجم العديد من كتب الفلسفة عن الإنجليزية، وكتب سيد سليمان الندوى «أرض القرآن» واستفاد من مؤلفات الأوربيين كثيرا وشارك فى مؤتمر الخلافة فى إنجلترا عام ١٩٢٠ م وغيره من الأمثلة الكثير<sup>(١)</sup>.

## \* التعليم الهندى والسنسكريتى :

قام شبلى بفتح فصل تعليمى لدراسة اللغة الهندية والسنسكريتية لأن تعلم هذه اللغات يمكن الطلاب من عقد المقارنات اللغوية مع اللغات الأردية وكانت رائجة آنذاك وأقبل كل من محمد حسين من أعظم كُرطه وسيد إمداد حسين من هو نسيارپور على تعليم هذه اللغات.

## \* اللغة العربية الحديثة :

كانت اللغة العربية التى تدرس فى الهند ويتحدث بها الناس ويكتبون بها الكتب والرسائل تعد لغة قديمة لا تفى بضروريات العصر الحديث حيث استحدثت آلاف الألفاظ الجديدة للأشياء الحديثة والتى بدونها لا يستطيع المرء أن يفهم الصحف والمجلات والكتب العربية الحديثة، وكان شبلى عندما عاد من رحلته فى مصر والشام قد أعد فهرسا للكلمات العربية الحديثة المستخدمة فى الحياة اليومية فى البلاد العربية وطبعه فى نهاية كتابه «سفرنامه» وكانت المجلات العربية كالمقطم واللواء والمنار والمؤيد وغيرها تاتى

(١) المرجع السابق: ٤١٢ و ٤١٥ - ٤٢٠.

إليه من مصر والشام فقرر أن يدخل اللغة العربية الحديثة وكان ذلك فى عام ١٩٠٨م وقد أدى هذا الإجراء إلى تكوين كوادرناجحة على معرفة تامة بمصطلحات هذه اللغة الحديثة واقترح شبلى على سيد سليمان الندوى إعداد قاموس للكلمات الحديثة فاعده فى عامين فساعد كثيرا من الطلاب فى المدارس العربية ودار العلوم فى حل كثير من صعوبات الكلمات والمصطلحات الحديثة.

### \* الاعتناء بالطلبة الموهوبين :

بمجرد أن وطئت أقدام شبلى دار العلوم جمع حوله الطلبة الموهوبين وأولاهم رعايته وكان على رأسهم : مولانا ضياء الحسن العلوى وجواد على خان وعبد السلام الندوى وكان للأخير موهبة فطرية فى الكتابة . فكان يسلم لهم الصحف والمجلات العربية ويطلب منهم تلخيص وترجمة بعض موضوعاتها .

وكان شبلى يهتم كذلك بتدريب الطلاب على الخطابة فى الموضوعات العلمية حيث يحدد لهم الموضوعات ويدربهم عليها بالتناوب ومنهم مولوى عبد البارى بهارى وقد خطب بنجاح فى جلسة الندوة فى بنارس فى أبريل عام ١٩٠٦م وسعد شبلى به والبسه عباءته .

### \* اختيار المدرسين المؤهلين :

كان شبلى يرى أن وجود المدرسين المؤهلين شرط هام لنجاح العملية التعليمية ولهذا يختارهم بنفسه لهذه المهمة الصعبة، فعين القاضى تلمذ حسين مدرسا للغة الإنجليزية وظل يعمل سنوات طويلة فى دار الترجمة بالجامعة العثمانية، واختار مولانا شير على مدرسا للفلسفة والعقليات وهو من أنبغ تلاميذ مولانا هدايت الله خان رامپورى ومفت عبد الله تونكى، والشيخ محمد طيب وكان بارعا فى الأدب والعقليات<sup>(١)</sup>.

### \* بدء الدراسة لمرحلة الدراسات العليا :

قام شبلى بفتح فصول خاصة للدراسات العليا فى علم الكلام وعلم الأدب وأعد لجنة كبيرة لإعداد المقررات الدراسية وأشرف عليها بنفسه ووضع لها اللمسات الأخيرة .

### \* حادثة قدم شبلى ١٧ مايو ١٩٠٧م :

فى هذه الأيام قرر شبلى أن يقيم عدة شهور فى أعظم كَرطه لينتهى من كتابه

(١) المرجع السابق : ٤٢١ - ٤٢٢ .

« شعر العجم » فذهب إلى أعظم كَرط هدى في نهاية مارس وبدأ في تأليف الجزء الأول من شعر العجم ، وفي ١٧ مايو أُلْم به حادث مؤلم عندما انطلقت إحدى الرصاصات وأصابته قدمه مما أدى إلى بترها . وقد وصف شبلى هذه الحادثة بالتفصيل فقال : « كنت قد جئت إلى بلدتي لحضور إحدى الجلسات والإقامة عدة شهور لتأليف « شعر العجم » وفي يوم ١٧ مايو كنت أعلق على ملحمة الشاهنامة وتوجهت إلى حجرة النساء وجلست على إحدى الأرائك وقدمى متدلية منها ثم امتدت يدي لبندقية تحت الأريكة وأعطيتها لأحدها (زوجة ابنه) وكانت مليئة بالرصاص فضغطت خطأ على الزناد فانطلق منها رصاصة حطمت عظام قدمي تماما لأن البندقية كانت على بعد شبر واحد من قدمي ولهذا انقطعت تماما عدا بعض العروق ولم أشعر وقتها بما حدث فدخل بعض الناس عندما سمعوا الصوت واستدعوا الطبيب فقرر أن يبتر قدمي حتى منتصف الساق» (١) .

وعندما وصل هذا الخبر الندوة عم الذعر وانتشر الاضطراب بين الطلبة فأرسلوا له البرقيات وسافر بعضهم لعيادته وعلى رأسهم سيد سليمان الندوى الذى كتب تفاصيل الحادث فى الصحف وفى مجلة الندوة، وبعد ذلك توجه شبلى إلى لكاناوأعد له الدكتور عبد الرحيم مرهما لكنه لم يقد، ثم سافر شبلى إلى بومباى ليحضر منها قدما صناعية من الخشب ليمشى عليها لكنها كانت ثقيلة، وعندما سافر إلى حيدرآباد للإشراف على إنشاء جامعتها كان نواب افسر الملك بهادر قائدا للجيش الأصفى فأمر بإعداد قدم أخرى بعناية فى المصنع الحكومى وقدمها لشبلى فكانت مريحة وخفيفة .

وقد انعكس هذا الحادث على الحياة الأدبية فى ذلك الوقت وقام الشعراء بنظم الرباعيات حوله وكان على رأسهم : حالى وسيد على حسن خان وخواجه عزيز الدين ومولوى اقبال أحمد سهيل وعبد السلام الندوى وسيد سليمان الندوى وقام الأخير بنظم قصيدة عربية يهنئه فيها بسلامته ونشرت فى « الندوة » فى سبتمبر ١٩٠٩م ويقول مطلعها :

---

(١) شبلى : باقيات شبلى : ١٩١ - ١٩٤ وشعر العجم : ٣/١ (طبعة معارف أعظم كَرط ه . ط . ١٣٣٩٠٣م) .

عاد الربيع لروضي بعد ما ذهباً وعمّر الله ربيعى بعد ما خربا  
وازيّنت الارض خضرا بعد ما يبست والبرق عاد سناه بعد ما احتجبا (١)

وقد قابل شبلى هذا الحادث والتعامل مع قدمه الصناعية بنوع من السخرية والفكاهة  
فى حديثه وأشعاره .

### \* بداية العلاقات بين الندوة والحكومة الإنجليزية :

كانت سنة ١٩٢٨ من أهم السنوات فى تاريخ الندوة وعمادة شبلى حيث تم إزالة  
الشكوك والظنون السياسية التى كانت تحوم حول الندوة وكان منشى محمد أظهر على  
ونواب محسن الملك بهادر ورئيس القضاة سيد شرف الدين قد بذلوا قصارى جهدهم  
لإزالة هذه الشكوك إلا أن هذه الجهود أتت ثمارها فى عهد عمادة شبلى للندوة فقد  
كان عبد المجيد خان وزير خارجية إمارة بتيالة فى ذلك الوقت له علاقات قوية وراسخة مع  
الإنجليز وكان من أنصار الندوة، فى نفس الوقت فتقابل مع شبلى ونجح فى التقريب بين  
الندوة والحكومة الإنجليزية وقام منشى حسين قدوائى المحامى وهو من أنصار الندوة  
بتوجيه نظر الحكومة لمساعدة ندوة العلماء ووجد لها نداء فى صحيف «اندين ديلى  
تيلكراف» بتاريخ ٨ أكتوبر ١٩٠٨م ووافقت الحكومة الإنجليزية على منح الندوة  
مساعدة شهرية قدرها خمسمائة روبية دون أى شروط وذلك فى ١٠ نوفمبر ١٩٠٨م  
كما وعدت الحكومة الندوة بأنها لن تتدخل فى مقررات المدرسة أو فى لوائحها وأن يتم  
إنفاق هذا المبلغ على الأدب العربى والإنجليزى والرياضيات وغيرها ما عدا التعليم  
الدينى، وبناء على هذا تم تعيين أساتذه لتعليم اللغة الإنجليزية والرياضيات (٢) وعُين  
سيد سليمان الندوى أستاذاً للأدب العربى الحديث، وقام شبلى بتطوير تدريس العلوم  
الدينية فى المدرسة لكى تواكب التطور الذى حدث فى العلوم الحديثة الأخرى فقام  
بجولة فى البنجاب وإقليم بهار وحصل على مساعدات قيمة لهذا الغرض .

وبعد ذلك شارك شبلى فى جلسات الندوة السنوية فى دهلى ١٩١٠ وفى لكانا  
١٩١٢م وقد قدم شبلى فيهما مقترحات قيمة وكانت جلسة لكانا من أنجح جلسات  
الندوة من الناحية المعنوية حيث رأسها سيد رشيد رضا مدير تحرير مجلة المنار المصرية  
وكان بينه وبين شبلى صداقة بدأت عندما نشر له رشيد رضا نقداً على كتاب جورجى

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٤٠١ - ٤٠٧ .

(٢) المرجع السابق: ٤٧٦ - ٤٧٨ .

\* معارضة شبلى واستقالته من رئاسة الندوة :

عندما سُلمت مقاليد تنظيم « ندوة العلماء » لشبلى عام ١٩٠٥م قُسمت أعمال الندوة إلى ثلاثة أقسام وتم تعيين رئيس لكل قسم وذلك لعدم وجود شخص يمكن الاعتماد عليه تماما في تسيير أمورها المتشعبة . فكان شبلى النعمانى مديرا لدار العلوم وإداراتها التعليمية، ومولانا حكيم سيد عبد الحى مديرا لإدارة المراسلات، ومنشى محمد احتشام على مديرا ماليا، فكان هذا النظام يفتقر إلى التجانس والوحدة لأن هذه الفروع الثلاثة لم تكن تلتقى فى فرع واحد، ونتيجة لهذا التفكك فقدت الندوة روح التعاون البناء حتى جاء وقت أساء الناس فيه الظن بالمسؤولين عن الندوة بل وبدأ كل واحد من المسؤولين ينظر لأعمال الآخر بعين الشك والريبة، ومع أن هذا التقسيم نظم الأعمال الإدارية للندوة إلا أنه لم يحقق الهدف الأساسى للندوة فلم يتم تنفيذ أهم الإصلاحات ولم تتحقق المطالب القومية والدينية فى حين انصرف باقى أعضاء ومديرى الندوة إلى أعمالهم الخاصة بينما كرس شبلى جهوده لخدمة الندوة والعمل على أن يحقق أهدافها وجعل حياته وقفها لها، ولهذا كان من الطبيعى أن يتدخل شبلى فى أعمال الندوة إلا أن أعضاء الندوة الآخرين اعتبروا هذا تدخلا سافرا من شبلى تجاوز فيه حدود واجباته المنوط بها وبناء على ذلك بدأت بذور الفرقة والشقاق وبدأ أعضاء الندوة ينظرون إلى شبلى بعين الحسد حتى تطور ذلك إلى نوع من المعارضة، وتركزت المعارضة على فكرة أن شبلى من أنصار حركة على كَرط هـ حيث قضى شطراً كبيراً من حياته حوالى ستة عشر عاما فى على كَرط هـ وأنه جاء إلى الندوة ليفسد هذه الحركة الدينية التى كانت تُعد على النقيض من حركة على كَرط هـ العلمانية، وطبقا لهذا الظن اهتزت صورة شبلى فى عيون العلماء والطلاب نتيجة هذه الفكرة الخاطئة مع أنه كان على خلاف شديد مع حركة على كَرط هـ وعارض كثيرا من آراء السير سيد السياسية والدينية<sup>(١)</sup> .

وقد اعترض العلماء على الأفكار والآراء الدينية التى وردت فى كتابى شبلى «الكلام» و«علم الكلام» كما اعتبروا رئاسته لمؤسسة تعليمية دينية غير لائق، ورفض عدد كبير منهما الإصلاح والتطوير الذى كان شبلى يريد أن يقوم به فى نظام التعليم

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٦٣٨ - ٦٣٩ .

بدار العلوم وبمرور الايام تزايد أعضاء الندوة المعارضين لشبلى، ولم ينتبه شبلى لذلك ولم يحفل بما يحكيه في الخفاء واستعد هؤلاء المعارضون جيّدا للخروج على شبلى وعقدوا جلسة عامة كانوا هم الاكثريّة وأنصار شبلى اقلية فتولوا مقاليد الامور في مجلس إدارة الندوة، ووقع خلاف بينه وبين نائبه مولانا خليل الرحمن اتخذ شكلا خفيا في البداية، ثم تحول إلى حرب علنية عندما قدم اقتراحا لمجلس الإدارة طالب فيه بإعفاء شبلى من منصبه كما رفض التصديق على موضوع «الوقف على الاولاد» ثم بدأت هوة الخلافات تتسع حتى طلبوا منه الشهادة كأنه مجرم فتأثر بهذا الإجراء وبدأ يستعد للانفصال عن الندوة إلا أن العقيد عبد الرحمن خان وزير خارجية إمارة بتياله عقد اجتماعا لمجلس الإدارة وتصلح الجميع وخيم السكون والهدوء على أركان الندوة بعض الوقت، وفي بداية عام ١٩١٣م ظهرت فتنة جديدة كان بطلها مولوى عبد الكريم الذى كتب موضوعا طويلا عن «الجهاد وفضله» ونشر في مجلة الندوة فى ديسمبر ١٩١٢م وكانت هناك حالة من الاضطراب بين المسلمين بسبب حرب طرابلس والبلقان، كما أن كلمة «جهاد» كانت تثير حساسية شديدة عند الإنجليز والمسلمين على السواء وكان هذا المقال دليلا على التهم السياسية<sup>(١)</sup> من جانب الإنجليز تجاه «الندوة».

ونسب البعض إلى شبلى سوء النية فى هذه الفتنة وعلى رأسهم وحيد الدين سليم مدير تحرير «مسلم كزت» حيث ساهم بشكل خاص فى نشر هذه الفتنة مع أن شبلى لم يكن له أدنى دخل فيما حدث.

وسئم شبلى من هذه الفتنة وقرر الاستقالة من إدارة دار العلوم فى يوليو ١٩١٣م أرسل للندوة استقالته من بومباى وتبعه فى ذلك مديرون آخرون مثل: مولوى سيد عبد الحى ومنشى احتشام على وقدم عدد من أعضاء مجلس الإدارة استقالته وانعقدت جلسة مجلس الإدارة فى ١٨ و ١٩ و ٢٠ يوليو ونُصب مولوى خليل الرحمن مديراً لدار العلوم ومنذ ذلك الوقت سُلمت مقاليد الامور فى الندوة للحكومة ونزل خبر استقالة شبلى كالصاعقة على الطلاب وأبرقوا له يطلبون منه العدول عن الإستقالة إلا أنه رفض أن يتولى المسئولية بشكل رسمى وقرر أن يكون عضوا عاديا فى الندوة.

ثم سافر شبلى إلى حيدرآباد فى منتصف أكتوبر ١٩١٣م بناء على رغبة نواب عماد الملك الذى كان يقوم بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الانجليزية باقتراح من شبلى فكانت

(١) المرجع السابق: ٦٤٠ - ٦٤٦.

فرصة للتشاور حول الترجمة وتقدم نواب عماد الدين بطلب زيادة مرتب شبلى إلى نواب مير عثمان على خان فوافق على إضافة مائتى روبية إلى راتب شبلى لمساعدته فى اعماله القومية، ووجد شبلى التشجيع والعناية فى حيدر آباد فقام بها ثلاثة اشهر انصرف كلية إلى تكميل المجلد الاول من «سيرة النبى» وعاد إلى لكانا فى ٨ ديسمبر ١٩١٣م<sup>(١)</sup>. وفى تلك الفترة حدث إضراب كبير بسبب منع الطلبة من المشاركة فى الندوات السياسية.

#### \* تأسيس مجلس إصلاح الندوة :

لم يياس شبلى من إصلاح الندوة فدعا أصدقاءه وتلاميذه بتقديم الاقتراحات لإصلاح الندوة وأرسل خطابات بهذا الصدد إلى كل من نواب سيد على حسن خان ومولانا أبى الكلام آزاد ومسعود على ندوى وسيد سليمان الندوى ونهيا الجميع لإصلاح الندوة، وعقد مجلس الإدارة ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ مارس وانتشر الخبر فى الجرائد وذاع فى أنحاء الهند واحتج بعض الأعضاء على فكرة الإصلاح إلا أن عدد الأعضاء الذين وافقوا على الإصلاح اقترب من ثلثى الأعضاء واتفق الجميع على تأسيس مجلس إصلاح الندوة فى أبريل ١٩١٣م واختير نواب سيد على حسن خان رئيسا للمجلس ومولوى نظام الدين حسن نائباً له وقبل كثير من أعيان المسلمين ورجالاتهم عضوية هذا المجلس وأقيمت فروع له فى مراكز وقرى الهند وعقدت الجلسات لتأييد المطالبة بالإصلاح وكتب شبلى مقالة قوية بعنوان: «اسرايك كآسبب كون تها» أى من كان السبب فى الإضراب ونشرت هذه المقالة فى صحيفة «همدرده» دهلى فى ١٦ أبريل ١٩١٤م.

وقام أبو الكلام آزاد وصحيفته «الهلل»<sup>(\*)</sup> بتبنى فكرة إصلاح الندوة بمقالاته النارية التى عمت فى جميع أنحاء الهند وتمت دعوة حكيم أجمل خان للمشاركة فى مجلس عرض الآراء فى ١٠ مايو ١٩١٤م وعقد المؤتمر الإصلاحي.

وقام المعارضون باستخدام آخر سلاح لهم لتعويق الحركة الإصلاحية فافتوا بتكفير شبلى وكان منزل مولانا عبد الحق حقانى مركزا للعلماء وأعضاء الندوة المعارضين

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٦٥٠ - ٦٥٣.

(٢) شبلى: مقالات شبلى: ١٢٨/٨.

(\*) صحيفة «الهلل» أسسها أبو الكلام آزاد عام ١٩١٣م، وقد استمرت فى الصدور عام ونصف من فبراير ١٩١٣م إلى أغسطس ١٩١٤م ثم أغلقها الإنجليز.

واتهموه ورموه بالكفر استنادا على بعض عبارات كتابيه «الكلام» و«علم الكلام» وأنه يقول «بقدم المادة وأن النبوة مكتسبة» وذاعت هذه الفتوى في جمع أنحاء الهند، فقام سيد عبد السلام صاحب المطبعة الفاروقية بدلهى بتقديم استفسار لشبلى يقول: هل تقول إن مادة العالم قديمة وإن النبوة مكتسبة؟ فرد عليه شبلى ردا مفصلا قال فيه: «أنا لا أعتقد أن مادة العالم قديمة لكننى موقن بأن جميع الصفات الإلهية قديمة، ولا أعتبر النبوة عملا مكتسبا بل هبة إلهية» وقد قام سيد عبد السلام بنشر هذا الرأى وأحمد هذه الفتنة<sup>(١)</sup>.

وقد انعقد المؤتمر على كل حال فى موعده المحدد برئاسة مولانا ثناء الله أمر تسرى وتمت الموافقة على عدة قرارات واقتراحات، وتم تكوين لجنة عامة للمؤتمر ضمت أبا الكلام آزاد ومحمد على وثناء الله أمر تسرى وخواجه غلام الثقلين وغيرهم.

\* وفاة مولوى محمد إسحق وعودة شبلى إلى اعظم كَرطه لإنجاز أعماله:

بعد وفاة الشيخ حبيب الله والد شبلى تحمل أخوه مولوى محمد إسحق جميع أمور الأسرة والمعاملات المالية الخاصة بها وكان محاميا ناجحا فى المحكمة العليا بإله آباد وكان على الهمة صائب الرأى ومن وجهاء القرية والذين يمثلون الرأى العام فى إله آباد إلى جانب مشاركته فى الأمور السياسية الأخرى، وقد وصل شبلى خبر مرض أخيه فى شهر يوليو ١٩١٤م فى الوقت الذى كان فيه منهمكا فى تكميل الجزء الأول من السيرة النبوية فتوجه إليه فوراً وكان المرض قد اشتد عليه ولم يتمكن الأطباء من تشخيص المرض وتوفى بعد خمسة عشر يوماً من المرض فى أغسطس ١٩١٤م ودفن بإله آباد وتأثر شبلى تأثراً بالغا بوفاة ورثاه بهذه المرثية:

وه برادرکه مرا یوسف کنعانى تها      وه که مجموعہ ہر خوبی انسانى تها

وه که کھر بہر کیلى، رحمت یزدانى      قوت دست ودل شبلى نعمانى تها<sup>(٢)</sup>

واشتد الألم بشبلى وألم به الحزن فقرّر أن يبقى فى اعظم كَرطه ليكمل أعماله الناقصة وعلى رأسها السيرة النبوية، وتأسيس دار المصنفين وتطوير مدرسة شبلى ومدرسة الإصلاح سراى مير.

(١) سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٦٥٨ - ٦٥٩.

(٢) سيد سليمان الندوى: حیات شبلى: ٦٧٠ - ٦٧٢.

- ذلك الاخ الذى كان لى بمثابة يوسف الكنعانى، وكان مجموعة من الصفات الإنسانية الطيبة.

- ذلك الاخ الذى كان رحمة الله للمنزل كله، وكان مساعدا قويا لقلب شبلى ويده.

## \* مرض شبلى ووفاته ١٨ نوفمبر ١٩١٤م:

مع أن شبلى كان قوى البنيان موفور الصحة فى شبابه إلا أن صحته تأثرت تأثرا بالغا بالمناخ فى أثناء إقامته فى على كَرت هـ فتدهورت صحته واعتل بدنه وبدأ يعانى من جميع أمراض المعدة كالإمساك والإسهال فلأزمه حتى آخر حياته واشتد به المرض بعد رحلة كشمير وبدأ يشكو الوهن، وكان المشى هو العلاج الناجع لمعدته لكنه حرم منه بعد حادثه بتر قدمه ومنذ ذلك الوقت كثرت شكواه من الأم المعدة، وضاعف مناخ لكتاوى من مرضه وكان يعالج من هذه الامراض على يد حكيم عبد الولى اللكتوى وحكيم أجمل خان ويفضل البقاء فى بومباى لطيب مناخها عدة اشهر فى السنة فى فصل الصيف للاستجمام، وفى عام ١٩١٢م لم يقو على كتابه خطاباته بنفسه وكتب فى إحدى خطاباته يقول: «الآن بدأ الإسهال يقل ولا اتوقع ان اعيش أكثر من سنة أو سنتين» ثم كتب فى ١٠ يونيو ١٩١٣م يقول: «حتى مناخ بومباى الآن لم يعد مجديا فالجو بادر نسبيا ولا أستطيع ان أحمله». وبالرغم من ضعفه هذا لم تصب قواه العقلية بأى خلل وكان عنده حماس دائم للأعمال العملية والدينية والقومية ولم يياس من إنجاز أعماله إلا أن قواه العقلية أصابها خلل بسيط بعد وفاة أخيه إسحاق وبدأ يياس من الحياة ويبحث عن خليفة له ثم سافر شبلى إلى بلدته «بندول» للاحتفال بعيد الأضحى وهناك عاوده مرض الإسهال والإمساك وفى ٧ نوفمبر استمر يعانى من البواسير وآلام المعدة لمدة ثلاثة أيام واستدعوا طبيب المركز لعلاجه لكنه لم يبرأ ونزف دماء كثيرة وتدهورت صحته بعد ذلك، وعندما وصل إلى حالة حرجة أبرقوا حكيم أجمل خان فى دهلى وحكيم عبد المولى فى لكتاوى فلم يستطع أن يأتى الأول بينما كان الثانى مريضا مرض الموت، عندئذ أرسل معالجه القديم فى لكتاوى بوصفات ودواء له مع أخيه حكيم عبد القوى لكنه وصل فى الوقت الذى كان شبلى يحتضر فيه.

وكان شبلى قبل أن يياس من مرضه قد جمع كل مسودات السيرة النبوية وأغلق عليها دولابا وأوصى أقرباءه وأصدقاءه بأن يسلموا هذه المسودات إلى سيد سليمان الندوى ومولوى حميد الدين فقط وكان حزينا لأنه لم يكمل السيرة. وفى مساء ١٥ نوفمبر أمسك شبلى بيد سيد سليمان الندوى وقال: «إن السيرة هدف حياتى فاترك كل الأعمال وأنجزها» واشتد مرضه واضطربت أعضاؤه ورفض تناول الدواء وفى صباح ١٧

نوفمبر أخذ يذكر سيد سليمان الندوي<sup>(١)</sup> ويقول: «السيرة السيرة، السيرة» ووصل الدكتور نعيم الأنصاري من بجنور. وقال إنها حالة ميثوسة وإن أعضاء جسمه توقفت عن العمل وفي الخامسة والنصف من صباح الأربعاء الموافق ٢٨ من ذى الحجة ١٣٣٢ هـ ١٨ من نوفمبر ١٩١٤م فاضت روحه ودفن في ركن من أركان منزله «شبلې منزل» في نفس المكان الذي دفنت فيه قدمه منذ ثمان سنوات. وشارك جميع المسلمين في أعظم كُرط هـ وما حولها في الصلاة عليه وأغلقت المصالح الحكومية والمدرسة الإسلامية وتأثر بفقده جميع مسلمي الهند وراثه الشعراء في جميع أنحاء الهند كما ظلت الصحف والمجلات تنشر مقالات عنه لعدة شهور. وفيما يلي نماذج من رثاء شبلې، حيث قام سيد سليمان الندوي برثاء أستاذه بمرثية أسماها «نوحه استاذ» قال فيها:

– أيتها القافلة الأخيرة لمتاع كرامة الأسلاف، وآسفاه فإن الأثر الذي قد بقي عنك قد اندثر أيضا.

– يا مساء الإقبال الماضي ويا نهاية عهد الأسلاف، ويا آخر شمعة في محفل الصحبة ويا علامة الذاهبين.

– يا برعم فصل المطر، ويا موج نسيم الصباح الباكر، ونغمة آخر السحر ويا طائر روضة الخريف.

– والذي كان عشق العلم والفن من أصل طبعه، والذي كان صفحة للقرطاس وعلامة للفخر القومي.

– والذي كان كل صوت يصدر من شفثيه كان نواح الأسلاف، وكل صيحة من صيحاته صوت سلسلة جرس القافلة.

(١) المرجع السابق: ٧٢١ – ٧٢٥.

(١) ان متاع عزت بيشين بجهلى كاروان  
– شام اقبال كدشته ا مقطعه عهد سلف ا  
– غنجه فصل بسون ا موج نسيم صبحدم  
– علم وفن كعشق تها جس كى طبيعت كاخمير  
– جس لب كى جو صداتهي نوحه اسلاف تهي  
آه وه بهي مب كيا باقى جوتها تيرانشان  
شمع يزوم صحبت آخر انشان رفنكان  
نغمة آخر سحر ا مرغ كلستان خزان  
صفحة قرطاس جس كافخر قومي كانشان  
جس كى هر فرياد صورت درات كاروان

- والذي كل رأى من آرائه رزينا وفيه علاجا للامة الحرة، وكل قراراته حارسة للحياة القومية .

- والذي يكمن فى كل قول من أقواله روح آذان بلال، والذي فى كل عرق من عروقة لهيب حرقة الالم .

- والذي فى كل مصرع من شعره تكمن حرقة نار الجراح، والذي فى كل فقره ( من نشره ) مرهما للالم العميق .

- والذي يكمن فى سلاسة قلمه نهر الفرات، والذي كان كل ذيل صفحة من صفحاته مثيرا لحسد بحر عمان .

- يا مزين جسد الشعر وذا العقل الراجح، ويا من كانت أصابعه الخمسة مركبا بمشابة طائرة للمعاني .

- لقد افترق عنا للأبد، فيا للخسارة لقد نهبت القافلة الآن<sup>(١)</sup> .

ويرثى خان بهادر مولوى رضا على شبلى بمرثية عنوانها (وداع شبلى) يقول فيها:

- إن الدماء تتقطر من ناحية قصتنا، آه لوفاة شبلى ذا البيان السلس .

- نحن ضحايا خنجر الزمان، إنك لن تظفر من دكاننا إلا بمتاع الالم .

- والمسلمون جالسون فى ماتم شبلى، وصارت دنيانا مسودة كوجه الكفر

---

جس كى هر تجویز قومی زندکي کي باسبان	جس کى هو رات رزين آزاد ملت کاعلاج
جس کي رک رک مين نهين سوز درد کي جنکارين	جس کي اکا اکبات نهی روح بلالی کي آذان
جس هر فقره مين مخفی مراهم درد نها	جس هو مصرع مين سوز آتش زخم دروي
جس هر صفحه کادامن رشک دريان عمان	جس خامه کي روانی مير نهان رود فرات
مركب پرواز معني جس کي بانگيون انکيان	- بيکر آرات سخن جس کادماغ نکته ور
آه از وفات شبلى شپوبيان ما	- خون من جکد زناصبه داستان ما
غير از متاع درد مخواه ازد مخواه ازد کان ما	- ماخستگان خنجر جور زمانه ايم
جوروي کفر سيه شد جهان ما	- اسلاميات به ماتم شبلى نشته اند
کوررفتنش برفت اثر داستان ما	- زين بزم آن مؤرخ بالغ نظر کنشت

آب همیشه [ ] وه آه ا هم س جهر، کيا

وان ناکامی همارا قافله اب لـ کيا

( سيد سليمان ندوی : حیات شبلى : ۸۴۳ - ۸۴۴ ) .

- لقد رحل عن هذا المحفل ذلك المؤرخ الأريب، والذي برحيله ذهب عنا أثر قصتنا  
 - ولم يبق ربيع حديقة الصدق والصفاء، وصار موطنًا تحت ظلم خريف روضتنا  
 - أين ذهب ذلك الخضر مبارك الخطى، فكيف تتعرف قافلتنا على المنزل الآن  
 - أين رحل العالم بمحفل الغزل، وهكذا صار مجلس أنسنا بلا مصباح.  
 - إن إيران تغبط همدنا، على الفارسية السلسلة التي تتعطر من شفتيه.  
 - مائة حيف فقد رحل عنا ذلك الأديب الأريب، ولم يبق ذلك الأديب الذي كانت  
 أعماله لذه لغمنا وحلوقنا<sup>(١)</sup>.

### \* زوجاته وأولاده :

تزوج شبلى مرتين، الزواج الأول من أسرته وقرينه بندول وأنجبت له عدة أولاد مات بعضهم فى حياة شبلى وبقي له بنتان : الأولى : فاطمة والثانية : رابعة وقد تعلمتا تعليما جيدا وتوفيت السيدة رابعة فى عام ١٩٠٤م، وهناك عدة رسائل فاطمة التى كان شبلى يحبها كثيرا وقد توفيت عام ١٩٠٩م.

ولم يكن لشبلى أولاد ذكور سوى حامد النعمانى وقد ولد عام ١٨٨٠م ونال الليسانس من على كَرط هـ ووصل إلى منصب حاكم المحافظة فى الحكومة حتى تقاعد على المعاش وتوفى فى ٢٠ مارس ١٩٤٢م ودفن بجوار والده فى «شبلى منزل» وتوفيت زوجة شبلى الأولى عام ١٨٩٥م وظل دون زواج خمسة أعوام ثم تزوج زوجته الثانية عام ١٩٠١م فأنجبت له ابنتين وابنا ماتوا ثلاثتهم فى طفولتهم ثم ماتت زوجته عام ١٩٠٥م وعاش بعدها عشر سنوات ولم يتزوج<sup>(٢)</sup>.

- (١) آن نوبهار كلشن صدق و صفا نماند  
 - آن خضر پد خجسته كجارت ظاهراست  
 - آن نكته دان بزم تفزل كجاشتاقت  
 - از قند بارسى كه زلبهاش مي جكيد  
 شد بائيمال جور خزان كلستان ما  
 بامنزل آشنانه شود كاروان ما  
 شد بچراغ مجلس عشرت نشان ما  
 ايران به ركشديور زهند ستان ما

صدحيف آن اديب اريب ازميان به رفت

وحشت نه ماند لذت كام ودهان ما

(١) سيد سليمان ندوى: حيات شبلى: ٨٤٣ - ٨٤٤).

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٧٢٦ - ٧٢٧.

## ثانيا : مؤلفاته

### مؤلفات شبلى النثرية :

ترك لنا شبلى النعمانى فى الفترة ما بين ١٨٧٨ و ١٩١٣م ثروة فكرية وأدبية ضخمة تنوعت موضوعاتها واللغات التى كتبت بها مثل: السير والتراجم والفلسفة والكلام والأدب والرحلات والتاريخ والتعليم والرسائل والمقالات والشعر إلى جانب مقالاته فى المجلات والصحف وتضم موضوعات سياسية واجتماعية واقتصادية وأدبية شتى .

وكتب شبلى هذه المؤلفات بثلاث لغات هى : الأردية والفارسية والعربية . وتم ترجمة كتابيه « الجزية » و« كتب خانة إسكندرية » أى « مكتبة الإسكندرية » إلى اللغة الإنجليزية .

ويمكن لنا تقسيم مؤلفات شبلى من حيث الموضوعات إلى ما يلى :-

- ١ - السيرة والتراجم : المأمون والفراروق وسيرة النعمان وسيرة النبي ( جزآن ) وسوانح مولانا روم .
- ٢ - فلسفة وكلام : الكلام وعلم الكلام والغزالي .
- ٣ - أدب : شعر المعجم .
- ٤ - رحلات : سفر نامه .
- ٥ - تاريخ : مضامين عالمكبير .
- ٦ - تعليم : مسلمانون كى كذشته تعليم .
- ٧ - رسائل : مكاتيب شبلى .
- ٨ - مقالات : رسائل شبلى ( مقالات شبلى ) .
- ٩ - شعر أردى : مجموعة كلام أردو - مثنوى صبح أميد .
- ١٠ - شعر فارسى : ديوان شبلى ( كلييات فارسى ) .
- ١١ - نقد : الانتقاد على كتاب « تاريخ التمدن الإسلامى » لجورجى زيدان وموازنة أنيس ودبير .
- ١٢ - فقه : الجزية .

وسوف نستثنى من هذا التقسيم رسالتيه « ظل الغمام فى مسألة القراءة خلف الإمام » و« إسكات المعتدى على إنصاف المقتدى » وهما ذواتا طابع دينى كتبهما شبلى فى بداية شبابه يدافع فيهما عن الفقه الحنفى ويغلب عليهما الشكل المذهبى أسلوبيا ولغة، والرسالة الأولى كتبها باللغة الأردية وتقع فى أربعين صفحة وطبعت عام ١٢٩٢هـ فى مطبعة نظامى فى كانپور. والرسالة الثانية كتبها باللغة العربية وتقع فى أربع وعشرين صفحة وطبعت عام ١٢٩٨هـ فى مطبعة نظامى أيضا على نفقة عمه الشيخ مجيب الله.

وفيما يلى أتناول هذه المؤلفات مع مراعاة الترتيب الزمنى فى التأليف لكى نتعرف على التطور الفكرى والعقلى عند شبلى النعمانى :

### (١) مسلمانون كى كذشته تعليم :- أى (تعليم المسلمين فى الماضى)

وهو أول كتاب منهجى يقوم شبلى بتأليفه عام ١٨٨٧م وبدأت فكرة هذا الكتاب عندما دعاه منشى امتياز على أبو منشى احتشام على رئيس كاكورى لحضور وقائع المؤتمر التعليمى الذى عقد فى لكانوا، فطلب منه السير سيد كتابة موضوع عن التعليم الإسلامى فاختر له شبلى عنوان: « مسلمانون كى كذشته تعليم » وكتب شبلى هذا الموضوع القيم وألقاه فى جلسة المؤتمر التعليمى الإسلامى التى أقيمت فى قيصرباغ بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٨٨٧م وقد ذاع صيت شبلى منذ ذلك اليوم فى أنحاء الهند على أنه كاتب موهوب يمتلك ناصية قلمه جيدا، وقد بين شبلى فى هذا الموضوع طريقة التعليم عند المسلمين وأسماء المدارس الإسلامية وخصائصها وأحوالها وكان أول موضوع من نوعه يتطرق إليه كاتب أردى لهذا طبع فى رسالة منفصلة وجعلها شبلى أولى مؤلفاته<sup>(١)</sup>.

يقول عبدالحليم شرر: « اتجه شبلى الآن إلى العمل بالتحقيق والنقد الأدبى بتوجيه من السير سيد وكانت « مسلمانون كى كذشته تعليم » أولى نماذجه وقد نالت إعجاب المسلمين. ويمكن لنا تلخيص أهم الأفكار التى وردت فى كتاب « مسلمانون كى كذشته تعليم » التى منحتة قيمة علمية وتاريخية فيما يلى :

١ - فضل القرآن الكريم على أسلوب اللغة العربية والفقه والفرائض وعلم الكلام وعلم الحديث والنحو وعلم الدراية.

(١) شبلى : مقالات شبلى : ١/٣ - ٣٦ .

٢ - الاستفسار عن بداية التأليف والتدوين والاهتمام بعلوم القرآن والبيان وماذا استفاد المسلمون من غيرهم من الأمم والشعوب وحركة الترجمة ولماذا كان معظم المترجمين للفلسفة اليونانية مسيحيين .

٣ - دراسة عهد المنصور العباسي وعهد هارون الرشيد وعهد المأمون الرشيد المتوكل بالله ولماذا لم تنقل كتب العلوم الأخرى غير الفلسفة والطب وأخطاء الترجمة ولماذا استعمل المسلمون غيرهم لعملية الترجمة .

٤ - بداية المدارس والمدرسة النظامية ببغداد وعهد صلاح الدين ونور الدين وازدهار المدارس في عهد الجراكسة ومدرسة ابن الناصر والمدارس في الهند والمدرسة الحربية والمدارس الإسلامية في أوروبا والتعليم القديم ومنهج التعليم ومجالس المناظرة وغياب طريقة الإملاء والتأثير الديني للمدارس .

٥ - أسباب الانحطاط وتأثير تطورات الحكم والسياسة على التعليم قديماً وحديثاً .

(٢) المأمون :

وهذا الكتاب هو سيرة المأمون الخليفة العباسي وأول سير شبلي وثاني سيرة (١٠) كتبت في الأردية طبقاً للأسلوب الحديث في كتابة السير ونشر عام ١٨٨٧م وهو أول حلقة في سلسلة مشاهير حكام الإسلام التي عزم شبلي على أن يكتبها، وأرخ فيه للدولة العباسية وقد لاقى هذا الكتاب شهرة عريضة يقول شبلي: «لقد نفذت طبعته الأولى في ثلاثة أشهر وطبع مرة ثانية» (١)، يقول عبدالحليم شرر «المأمون ثاني كتب شبلي وقد لاقى استحساناً وقبولاً وكان هذا الكتاب حجر الزاوية في حياة شبلي العلمية حيث تأكدت بعده أهميته ككاتب عظيم صاحب أسلوب». وقد خامرت شبلي فكرة تأليف هذا الكتاب للرد على سموم المستشرق «بامر» وافتراءاته في الكتاب الذي كتبه عن «هارون الرشيد» وسوف أعرض هذا الكتاب بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الثاني.

(\*) يعد الطاف حسين حالي (١٨٣٧-١٩١٤) صاحب أول سيرة كتبت في اللغة الأردية وهي سيرة

«حيات سعدى» ونشرت عام ١٨٨٦م.

(١) شبلي: المأمون: المقدمة ١ - ٢ .

### (٣) سيرة النعمان :

هذا الكتاب هو سيرة الإمام أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي وكتبه شبلي لما يحمله من اهتمام وتأييد للفقهاء الحنفي والإمام أبي حنيفة . وقد أنجز الجزء الأول منه في ديسمبر عام ١٨٨٩م وانتهى من الجزء الثاني في ديسمبر ١٨٩٠م وطبع في نهاية ١٨٩١م من قبل كلية علي كُرط هـ وتداولته الأيدي في أول ١٨٩٢م ونفذت طبعته الأولى سريعا وطبع طبعه ثانية وكان شبلي يريد أن ينتشر هذا الكتاب في كل مكان يقول : « يجب أن يصل هذا الكتاب إلى قرى ونجوع اعظم كُرطه ويكون دافعا للعمال والتجار على المزيد من القراءة والاطلاع على الفقه الحنفي » . وسأتناول هذا الكتاب بالتفصيل فيما بعد .

### (٤) سفر نامه :-

ويدخل كتاب « سفر نامه » ضمن كتب أدب الرحلات حيث دون فيه شبلي مشاهداته وملاحظاته في أثناء رحلته إلى تركيا ومصر والشام، وكان شبلي قد قرر أن يكتب هذا الكتاب يذكر فيه مشاهداته في الرحلة ليطلع عليها المسلمون في الهند لكنه عدل عن هذه الفكرة لأسباب سياسية ذكرها في مقدمة الكتاب يقول في خطاب لأخيه مولوى اسحق في ٢٤ أكتوبر ١٨٩٢م « هناك إصرار عام على كتابه « سفر نامه » وبدأت الطلبات تنهال عليّ من جميع أنحاء الهند لكن ليس عندي الرغبة الآن لكتابته لعدة أسباب » ولم يوضح شبلي لنا هذه الأسباب لكنه ذكر سببا واحدا في مقدمة « سفر نامه » وهو « أن هذا النوع من الكتب يجب أن تذكر فيه معلومات كافية عن حالة الدولة وطريقة الحكم وقواعد العدالة وحالة التجارة والطرز المعمارية وغيرها من الأمور وهي غير متوفرة في « سفر نامه » إلا أن به معلومات قيمة عن الحالة الاجتماعية والعلمية وإن كانت مختصرة»<sup>(١)</sup>.

وكان شبلي يعتقد أن الناس لن يفتنوا به « سفر نامه » كثيرا وكان يخشى من عدم شهرته خاصة أن كلية علي كُرط هـ لم توافق على طبعه في مطبعتها كما حدث بالنسبة لمؤلفاته السابقة فطبعة الطبعة الأولى في مطبعة مفيد عام ١٨٩٤م وكان هذا الكتاب بداية الخلاف بين شبلي والكلية كما سنذكر فيما بعد .

(١) شبلي : سفر نامه : ٢ .

## (٥) كليات فارسی :-

«كليات فارسی» هو عبارة عن مجموعة أشعار شبلى الفارسية، وكان شبلى قد قرر أن يجمع أشعاره التى نظمها باللغة الفارسية وكان يعرضها على أستاذه محمد فاروق ليقوم بإصلاحها ومراجعتها قبل أن يطبعها، وكان يجمع أشعاره هذه فى مذكرة ثم يعطيها لمجلد ليجلدها وقد فقدت هذه المجموعة، وقيل: إن شاعرا مغمورا فى حيدرآباد قد سطا عليها وانخرط بها مع الشعراء وكان شاعرا شابا من غازى پور اسمه أبو القاسم عرشى ومات فى شبابه. وفى عام ١٨٨٧م أرسل له شخص ما نصف هذه التذكرة تقريبا وكان شبلى قد جاء إلى على كَرط هـ وفاضت قريحته بأشعار جميلة وبصفة خاصة تلك القصائد التى نظمها فى رحلة تركيا، وإذا كان حالى هو الذى وضع أساس الشعر الأردى الحديث إلا أنه لا شك أن شبلى قد اهتم بنظم الشعر الفارسى فى الهند ومنحه الأفكار الجديدة والشعور القومى والعواطف الدينية بقوة ورصانة إلى جانب جمال اللغة وصحة التعبيرات الأدبية فأصبح كماء الحياة للقومية الإسلامية فى الهند<sup>(١)</sup>.

ثم قرر شبلى أن يجمع كل قصائده الفارسية ويطبعها وعرض هذه الفكرة على صديقه نواب سيد على حسن خان فاستحسن هذه الفكرة وأرسل له القصائد التى عنده ويطبعها عام ١٨٩٣م فى مطبعة منشى رحمت الله رعد «نامى بريس» وكانت أشهر المطابع آنذاك وحازت هذه الأشعار على شهرة فائقة بين المثقفين.

## (٦) رسائل شبلى (كتب خانة اسكندرية) أى مكتبة الإسكندرية

فى الفترة ما بين ١٨٩٢ و ١٨٩٨م حقق شبلى كثيرا من الموضوعات التاريخية والنقدية ونشرها فى مجلات الهند المشهورة وكان أغلبها يدور حول موضوعات الحضارة الإسلامية، وفيها أزال الغبار الذى ران على مرآة الإسلام بفعل التعصب الأوروبى الأعمى ويحاول أن يحيى صورة قديمة من صور العهد الذهبى للمسلمين وكانت قد غابت عن الأنظار حينما من الدهر فمثلا: حاول الأوروبيون فى كتاباتهم أن يتهموا المسلمين بحرق مكتبة الإسكندرية عندما فتحوا مصر فى عهد سيدنا عمر وأن المسلمين قوم جهلة متوحشون لأنهم أحرقوا المكتبة اليونانية الشهيرة التى أقيمت هناك فى عهد البطالمة وحرمت الإنسانية من الكنوز القديمة.

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٢٢٣-٢٢٤.

لهذا قام شبلى فى عام ١٨٩٢ م بكتابة موضوع « كتب خانة اسكندرية »<sup>(١)</sup> اى مكتبة الاسكندرية لينفى هذه التهمة عن المسلمين واثبت انها احرقت قبل مجيء المسلمين بقرون وانها لم يكن لها وجود عندما تم فتح مصر ونشر هذا الموضوع كملحق مع بعض موضوعات المستشرقين الاوروبيين وكان هذا الموضوع جامعا ومدللا عليه بالبراهين والادلة فلم يجد المعارضون بدا من قبوله وترجم إلى لغات أخرى ونتيجة لذلك كتب كتاب أوروبا المسيحيون أنفسهم موضوعات قيمة فى نفي هذه التهمة وترجم أكثرها ونشر فى مجلة « الندوة » بلكناو و « معارف أعظم كَر ط ه » بحيدرآباد.

ولقد استفاد شبلى النعمانى فى منهجه العلمى بالمنهج الغربى ونحوته العلمية ولكن لم ينس لحظة أن المستشرقين أو المؤرخين المسيحيين من أوروبا والبلدان العربية يضمرون فى نفوسهم الحقد والعداء والعصبية ضد الإسلام والمسلمين فعنى برد اتهاماتهم الكاذبة وافتراءاتهم المختلفة فى أسلوب علمى رصين كشف النقاب عن القلوب السوداء للكتاب المسيحيين من الغرب بأن المسلمين احرقوا مكتبة الاسكندرية . ومقالته هذه تعتبر من أروع ماكتبه .

لقد درس شبلى فى هذه المقالة كتب المؤلفين الغربيين من ألمانيا وفرنسا وإنجلترا حول الموضوع وقام فى كتابه- لأول مرة- بمحاولة تطبيق مبادئ « الرواية والدراية » بدقة كبيرة وزاد المقال من بهاء أسلوبه العلمى الرصين وتنسيق الدلائل والبراهين ونشره الشعرى الممتع . وقد كتب هذا الموضوع فى عام ١٨٩٢ م باللغة الأردية وتمت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية وقد رد فيه افتراء الغرب بأن العرب احرقوا مكتبة الإسكندرية فى عهد عمر بن الخطاب عندما فتحوا الإسكندرية واثبت بدلائل وبراهين واضحة أن المسيحيين هم الذين احرقوا هذه المكتبة وفى مقدمتهم أحبارهم ورهبانهم، ولما دخلها المسلمون لم يكن فيها أثر للمكتبة وكان هذا الموضوع علميا دقيقا شاملا لدرجة أن أوروبا اضطرت إلى تبرئه ساحة المسلمين من هذه التهمة .

يبدأ شبلى مقالته « كتب خانة اسكندرية » بالحديث عن انتشار روايات خاطئة فى أوروبا عن الإسلام والمسلمين « فمنذ عصر الحروب الصليبية وحتى الآن ظهرت فى أوروبا

(١) شبلى : مقالات شبلى : ٦/ ١١٣ - ١٥١ .

روايات عجيبة وخاطئة فيما يتعلق بالمسلمين وكانت هذه الروايات هامة وضرورية للأحداث الحالية، فإن الروايات الخاطئة والمتعصبة التي لا أساس لها من الصحة انتشرت في أوربا آنذاك عن المسلمين ودينهم وقوميتهم وحضارتهم ذاع صيتها في كل مكان حتى صارت مضرباً للأمثال وأخذت تتردد على السنة القاصي والداني، وعندما بدأ عصر التأليف والتاريخ بدأت هذه الروايات تستعمل بكثرة في كتب التاريخ والقصص بل في الفلسفة أيضاً لدرجة أن كبار مؤرخي أوربا سلموا بها فصارت عارا عليهم لأنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث، ثم جاء من بعدهم مؤرخون لم يسلموا بهذه الروايات الخاطئة مثل: جين وكارلائل وهكنز ورينان وسيديو حيث أنكروها بوضوح إلا أن هذه الأخطاء لم تقل قوتها حتى الآن في المؤلفات العامة<sup>(١)</sup>

وبعد هذه المقدمة التي مهد بها شبلي موضوعه تناول حادثة بعينها وهي رواية إحراق مكتبة الإسكندرية وهي واقعة مشهورة جدا في أوربا ولا تخلو منها قصة أو رواية أو حكاية أو كتاب في التاريخ أو الأدب ناهيك عن الفلسفة والمنطق.

يقول شبلي ولكن الأمر الجدير بالذكر هنا هو لماذا كل هذه المواساة الخاصة والاحتفاء بمكتبة الإسكندرية من جانب أوربا ١٩ خاصة وأنه من المسلم به أنها لاتتعلق بالمسيحيين من قريب أو من بعيد لأن الذي أقامها ملوك مصر الوثنيون قبل المسيح بزمن طويل، وربما يقول قائل إن هذا الأمر من قبيل الاهتمام الأوربي بشكل عام ولكن في هذه الحالة ما سبب تخصيص الإسكندرية هنا؟ وهناك دول أخرى عديدة احترقت ودمرت فيها مكتبات كبيرة وضخمة فإين كان حماس أوربا وحميتها ولماذا لم يذكر أحد حادثة تخريب الإسكندر لمكتبات إيران وقيام المسيحيين أنفسهم في إسبانيا بالقضاء على جميع الآثار العلمية للمسلمين ودمروا مئات الآلاف من الكتب فمن ذا الذي أقام ماتما لفقدها ومن ثم لماذا هذا الاهتمام الخاص بمكتبة الإسكندرية ١٩

والحقيقة أن المسيحيين هم أنفسهم الذين أحرقوا هذه المكتبة وكان في مقدمتهم أibarهم ورهبانهم وكان هذا العمل باعثا على فخرهم آنذاك لكن عندما خطت الحضارة خطوات وثابة نحو المدينة والرقى أرادت أوربا أن تتخلص من هذه التهمة التي لصقت بها فتفتت ذهنها عن إصاق هذه التهمة بقوم آخرين وعندما فتح المسلمون مصر والإسكندرية لم يكن لهذه المكتبة المذكورة أى أثر ولهذا فقد نسب المسيحيون

(١) شبلي: مقالات شبلي (كتب خانة اسكندرية) : ١١٣/٦ - ١١٤.

المتعصبون إحراق مكتبة الإسكندرية إلى الفاتحين المسلمين ولأن أوروبا كانت في ذلك الوقت تموج بالتعصب ولم يكن لديها أى نوع من التطور العلمى، لهذا لم يحفلوا بالبحث والتدقيق وانتشرت هذه الرواية فى كل أوروبا بسرعة واهتم الأوروبيون بهذه المكتبة اهتماما مريباً وكأنها مكتبتهم الخاصة وسرعان ما صدق العامة هذه الرواية واستفادوا من هذه الشهرة العامة للرواية فى أن أحدا لن يستطيع أن ينسب هذه التهمة للمسيحيين لانه وكما يبدو ظاهراً: من البديهي أن أى قوم لا يمكن أن يحرقوا تراثهم بأنفسهم»<sup>(١)</sup>

ولأن شبلى يصدر فى آرائه عن روح علمية موضوعية فإنه لم ينس أن يشير إلى المؤرخين الأوربيين الذين أنكروا هذه الحادثة وعلى رأسهم جين Gibbon المؤرخ الإنجليزى الشهير الذى ذكر رفضه لهذه الواقعة فى كتابه: «تاريخ اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية».

### "The history of decline fall of the Roman Empire"

عند ذكر فتح المسلمين للإسكندرية ثم جاء من بعده سيديو ورينان وغيرهم من مؤرخى أوروبا المنصفين فرفضوا هذه الواقعة.

ثم يقوم شبلى بتحديد أصل هذه الرواية الخاطئة قبل الخوض فى نقدها وردها فيقول:

«قبل أن نخوض فى رواية إحراق مكتبة الإسكندرية يجب أن نعرف كيف اشتهرت هذه القصة فى أوروبا؟ وعن طريق من ذاع صيتها لقد ذاع صيت هذه الواقعة فى أوروبا عن طريق أبى الفرج<sup>(٢)</sup> وكتابه «تاريخ مختصر الدول» ولهذا الكتاب نسخ مختلفة وجميعها غير كاملة وبعض أحداث هذا الكتاب يزيد عن الأصل السريانى وهذا الأمر

(١) شبلى: مقالات شبلى: ١١٥/٦-١١٧٤.

(٢) ولد أبو الفرج فى مدينة ميلتن سنة ١٢٢٦ م لآب يهودى كان طبيبا اسمه اهرن الملطى واعتنق أبوه المسيحية ولهذا بدأ أبى الفرج فى تعليم الدين المسيحى حتى وصل إلى مرتبة عالية فيه علاوة على إتقانه للفتن العربية والسريانية وبسبب نبوغه وعلمه تم تعيينه قسيسا وهو فى الواحد والعشرين من عمره وقد كتب أبو الفرج كتاباً مبسطاً فى التاريخ باللغة السريانية اعتمد فيه على مصادر عربية وفارسية وسريانية ويونانية ثم كتب ملخصاً لهذا الكتاب باللغة العربية وسماه «مختصر الدول وقام» بوكاك poccke الأستاذ بجامعة اكسفورد بطبع هذا الكتاب عام ١٩٢٢ م مع ترجمته إلى اللغة اللاتينية.

(انظر: مقدمة «مختصر الدول» نشر الآب انطون صالحانى اليسوعى ص: ٣-٥).

يدعو إلى الشك في أن هذه الأحداث قد أضافها أبو الفرج من عنده أو أضافها شخص آخر.

وخلاصة القول أن واقعة إحراق مكتبة الإسكندرية ذكرت في هذا الكتاب لأول مرة ثم انتشرت هذه الرواية في جميع أوروبا عن طريق الترجمة اللاتينية «لمختصر الدول» وقد وصلت هذه الرواية عن أبي الفرج إلى أوروبا في زمان كانت أوربا فيه غارقة في الجهل والتعصب ولهذا فإنهم كانوا يقبلون جميع هذا النوع من الروايات الخاصة بالمسلمين سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة»<sup>(١)</sup>

وقبل أن ينقد شبلى هذه الرواية أثر أن ينقل الرواية بتمامها دون حذف في جملها حتى لا يخل هذا الحذف بالسياق العام للرواية فيقول: «هذه ترجمة حرفية لهذه الرواية كما جاءت بعبارة «أبو الفرج»: - روى أن يحيى النحوى (John philoponus) كان إسكندرانيا يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبيين، ثم رجع عما يعتقد النصارى في التثليث واجتمع إليه الأساقفة بمصر وسألوه الرجوع عما هو عليه فلم يرجع فأسقطوه عن منزلته وعاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية ودخل على عمرو فآكرمه وفتن به فلازمه وكان لا يفارقه ثم قال له يحيى يوما إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة بها فأما مالك به انتفاع فلا أعترضك فيه وما لانفع لكم به فنحن أولى به فقال له عمرو:

ما الذى يحتاج إليه قال: كتب الحكمة فى الخزانة الملكية فقال له عمرو لا يمكننى أن آمر فيها بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكتب إلى عمرو عرفه قول يحيى فورد عليه كتاب عمر يقول فيه «وأما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها فشرع عمرو بن العاص فى تفرقتها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقدها وقد استنفذت فى مدة ستة أشهر»<sup>(٢)</sup> ويعلق شبلى على هذه الرواية فيقول: «إننا لانستطيع أن نقبل هذه الرواية دون بحث أو تحقيق وقد كان جين Gibbon أول من تناول هذه الرواية بعين البحث والتحقيق فيقول: «إننى أميل إلى رفض أصل هذه الرواية

(١) شبلى: مقالات شبلى: ١١٨/٦ - ١٢٠.

(٢) أبى الفرج (ابن العبرى): تاريخ مختصر الدول: ١٧٥ - ١٧٦.

ونتايجها<sup>(١)</sup>. وقد بنى جبن رفضه على عدة أسباب أحدها أن أبا الفرج ولد بعد هذه الواقعة بخمسمائة عام ولم يذكر مؤرخ غيره هذه الرواية حتى أن المؤرخين المسيحيين أنفسهم لم يذكروا هذه الرواية فكيف إذن يمكن أن نعتبر شهادة أبا الفرج شهادة موثوقا بها.

وبعد أن استقر بنا الأمر على أن أصل هذه الواقعة مأخوذ عن كتب التاريخ العربية فقط يسهل علينا الفصل في هذا البحث لأننا (أى مسلمى الهند) أحق بمعرفة المؤلفات العربية من الأوربيين و«صاحب البيت أدري بما فيه». فالأوربيون الذين يشبتون هذه الواقعة يذكرون في سندهم عبد اللطيف البغدادى والمقرىزى وحاجى خليفة ويقولون إن هؤلاء المؤرخين ثقات ولا يمكن رفض آرائهم «وبقدر ما رأيت وقرأت فإن الأوربيين دائماً يذكرون هؤلاء المؤرخين ولنوجه اهتمامنا الآن إلى أصول التاريخ لتحقيق هذه الرواية وسوف نرى فى النهاية مدى استخدام المؤرخين الأوربيين للتدليس والخداع فى اعتمادهم على هؤلاء المؤرخين العرب.

وينتهز شبلى الفرصة هنا ليعرض منهجه الذى سار عليه فى هذا البحث وفى غيره من البحوث والمؤلفات الأخرى فيقول: «هناك طريقتان لإثبات الوقائع التاريخية هما: الرواية والدراية وسوف استعملهما هنا فى هذا البحث لمعرفة هل كانت شهادتهم فى هذه الواقعة كافية لثبوتها أولاً؟ فالمؤرخون الأوربيون يذكرون أسماء عبد اللطيف البغدادى والمقرىزى وحاجى خليفة مرارا بشكل خادع لتأييد آرائهم فى إلصاق تهمة الحريق بالمسلمين، أما الذين يرفضون هذه الواقعة لا يعتبرون شهادة هؤلاء المؤرخين ذات قيمة وإن هدفنا فى هذا البحث كشف اللثام عن خداع المؤرخين الأوربيين لأن البحث ليس محدودا بكون عبد اللطيف وغيره من الثقات أولاً؟ والأولى بالتحقيق فى هذا البحث هو هل أدلى عبد اللطيف وغيره من المؤرخين برايه فى هذا البحث أولاً؟<sup>(٢)</sup>

وبعد ذلك يبدأ شبلى فى عرض آراء هؤلاء المؤرخين الذين اعتمد عليهم مؤرخو أوربا فى هذه الواقعة فيقول: «لنبداً بما قاله المقرىزى وتاريخه المطبوع فى مصر أمامى فهو

---

(1)Gibbon (Edward) :The history of Decline and fall of the Roman Empire: first Edition. London. 1897.

(٢) شبلى: مقالات شبلى: ١٢١/٦ - ١٢٥

عند بيان عمود السوارى فى الإسكندرية وتحت عنوان «عمود السوارى»<sup>(١)</sup> ينقل عبارة عبد اللطيف البغدادى حرفاً بحرف وقد ورد ذكر مكتبة الإسكندرية فى وصف عبد اللطيف عرضاً وبشكل ضمنى ولأن المقرئى نقل عبارة عبد اللطيف حرفاً بحرف فإنه نقل أيضاً ما يتعلق بالمكتبة وبناء على هذا فإن هذه العبارة منقولة عن عبد اللطيف البغدادى وليست شهادة خاصة بالمقرئى لأن المقرئى تحدث عن فتح الإسكندرية فى كتابه بالتفصيل ولم يذكر أى كلمة عن المكتبة ويتضح من هذا أنه لا يعد ضمن فهرس الأحداث التاريخية للواقعة المذكورة.

أما حاجى خليفة الذى يعتمد عليه كثير من المؤرخين الأوربيين فإنه لم يشر إلى هذا الموضوع وأن هذا الأمر يضعف من مزاعمهم ولهذا فإننا نذكر هنا عبارة حاجى خليفة فى كتابه «كشف الظنون» يقول «فكانت العرب فى صدر الإسلام لاتعنى بشيء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها وبصناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم لحاجة الناس طراً إليها وذلك منهم صونا لقواعد الإسلام وعقائد أهله عن تطرق الخلل من علوم الأوائل قبل الرسوخ والأحكام حتى يروى أنهم أحرقوا ما وجدوا من الكتب فى فتوحات البلاد»<sup>(٢)</sup>

يقول شبلى تعليقا على هذا الرأى: «فى هذه العبارة لا يذكر حتى كلمة الإسكندرية بل ذكر إحراق الكتب بشكل عام كما أنه يظهر من كلمة «يروى» أنها إحدى الروايات العامة كما لا يبدو من أسلوب العبارة أن هذه الواقعة سلم بها. فحاجى خليفة يذكر أيضاً غيرها من الروايات العامة المعروفة لدى الناس مثل أن نابليون عندما جاء إلى مصر نطق بكلمة التوحيد فى الجامع الأزهر وصلى مع الجماعة وهذا النوع من الروايات العامة يتم روايته بطريقة ضعيفة، وخلاصة القول أن واقعة إحراق مكتبة الإسكندرية المنسوبة لحاجى خليفة تشير التعجب وعلامة الاستفهام على جراءة المؤرخين الأوربيين فى هذا الأمر»<sup>(٣)</sup>

وكان الاعتماد الأخير لدى الأوربيين فى الحقيقة على عبد اللطيف البغدادى الذى ألف كتاباً فى تاريخ مصر اسمه «كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث

(١) المقرئى: خطط المقرئى: ١٥١/١.

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون: ٢١/١.

(٣) شبلى: مقالات شبلى: ١٢٥/٦ - ١٢٧.

المعاينة بأرض مصر، وقد ألفه في عام ٦٠٣ هـ وموضوعه قاصر على الوقائع التي شاهدها عبد اللطيف في مصر بنفسه فيكتب عن عمود السوارى «ورأيت أيضاً حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حولها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف وعمود السارى عليه قبه هو حاملها ورأى أنه الرواق الذى كان يدرس فيه أرسطو طاليس وأنه دار العلم التى بناها الإسكندر حين بنى مدينته وفيها خزانة الكتب التى حرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضى الله عنه» (١)

ويستطيع أى شخص أن يعلم من هذه العبارة أن رأى عبد اللطيف كله تحت قول «رأيت» و«رأى» ولا يبدو منه باى حال أنه ذو حيثية تاريخية أو من المسلمات. يقول المؤرخ الالماني كريل Carel بعد أن نقل قول عبد اللطيف: «يبدو من هذا الوصف أنه على سبيل التذكرة فقط ولا يهدف إلى أى أمر خاص فهو يذكر أى واقعة بل يردد قولاً مشهوراً كان يقوله الرحالة فى هذا العصر وهو من قبيل هذا النوع من الأقوال المخالفة للعقل وغير الموثوق به». بالإضافة إلى هذا فقد وقع عبد اللطيف فى عدة أخطاء بالصدفة وهو يذكر الأحداث فلم يكن هذا المقام رواق أرسطو ولم يدرس أرسطو به مطلقاً. وبهذا نكون قد قمنا ببحث دقيق عن هؤلاء المؤرخين العرب الذى يزعم مؤرخو الغرب أنهم ذكروا رواية إحراق مكتبة الإسكندرية وفندناها جيداً واتضح فى النهاية زيف أقاويلهم وفساد منطقهم. (٢)

وفى نهاية البحث يذكر شبلى أكثر من ثلاثين كتاباً خاصاً بتاريخ مصر والإسكندرية لكنها لم تذكر هذه الواقعة على الإطلاق ومنها هذه الكتب التى تناولت فتح الإسكندرية بشكل خاص مثل: تاريخ الطبرى وفتوح البلدان للبلاذرى وحسن المحاضر للسيوطى وخطط المقرئى وجميعها لم يذكر حتى المكتبة.

ويتعرض شبلى لهذه القضية الهامة مرة أخرى فى كتاب «الانتقاد على التمدن الإسلامى لجورجى زيدان الذى كتبه باللغة العربية رداً على اتهامات جورجى زيدان وافتراءاته على المسلمين وخلفاء الدولتين الأموية والعباسية فيتناول مسألة «حريق مكتبة الاسكندرية» ويفند أخطاء جورجى زيدان فى نسب الإحراق إلى المسلمين فيقول: «جاء فى تاريخ مختصر الدول لأبى الفرج (ثم نقل رواية الإحراق برمتها) ثم يقول:

(١) عبد اللطيف البغدادى: الإفادة والاعتبار: ٢٨.

(٢) شبلى: مقالات شبلى ٦/١٢٨-١٢٩.

« لاننازع المؤلف في أن ابا الفرج مسبق في ذكر هذه الرواية بالقفطى والبغدادى ولكن ماذا ينفعه ذلك فإن البغدادى وهو أقدمهما من القرن السادس للهجرة وذكر الرواية من غير إسناد ومن غير إحاطة على كتاب تعود المؤلف من صباه بقبول مختلفات أهل الكتاب وأوهامهم فسبب ذلك أنه يزن التاريخ الإسلامى بميزان غير ميزاننا ولذلك يصغى إلى كل صوت ويستمع لكل قائل ولا يعرف أن هذا الفن له أصول ومبادئ وقواعد ومالم تكن الرواية مطابقة لهذه الأصول اليقينية لا يلتفت إليها أصلا، منها أن الناقل للرواية لا بد أن يكون شهد الواقعة فإن لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها حتى تتصل الرواية إلى من شهدها بنفسه ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم ومنها ألا تكون الرواية تخالف الدراية ومجارى الاحوال ولذلك اهتم مؤرخو الإسلام قبل كل شىء بضبط أسماء الرجال والبحث عن سيرهم واحوالهم وديانتهم ومحلهم من الصدق فدونوا كتب أسماء الرجال وكابدوا في ذلك محنة يضيق عنها النطاق البشرى فعملوا كتباً غير محصورة منها «الكامل» لابن عدى و«الثقات» لابن حبان (١) وتهذيب الكمال للمزى وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد وابن عبد البر و«البر والابن الاثير» وتهذيب الاسماء للنووى وميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان لابن حجر. فأول شىء يهمنا فى هذا البحث أن نرى هل ذكر القفطى والبغدادى هذه الرواية فى سنده وذكر مصدر الرواية وأسماء روايتها أم لا وأنت تعلم أن البغدادى والقفطى من رجال القرن السادس والسابع فأى عبرة برواية تتعلق بالقرن الاول يذكر أنها من غير سند ولارواية ولا إحالة على كتاب. أما كتب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها أثر ولا عين. (٢)

وهكذا رأينا كيف استطاع شبلى بالدلائل العقلية وبالرجوع إلى النصوص الاصلية التى اعتمد عليها مؤرخو أوربا كشف زيف ادعاءاتهم وإزالة التهمة عن كاهل المسلمين، وعندما ترجمت هذه المقالة إلى اللغة الإنجليزية واطلع عليها الباحثون بدأوا ينتبهون إلى أخطائهم وظهر من بينهم من دافع عن المسلمين فى هذه القضية وعلى رأسهم المؤرخ الفرد بتلر BUTLER فى كتابه " ARAB Conquest to Egypt " (٣) فيقول بعد أن

(١) شبلى: الانتقاد على التمدن الإسلامى: ٥٤ و ٦٥.

(٢) شبلى: الانتقاد على التمدن: ٦٦ - ٦٧.

(3) BUTLER: ARAB Conquest to Egypt -Oxford. 1902. p.401-406.

أورد رواية أبي الفرج : « هذه القصة كما جاءت فى اللغة العربية وقد كتب أبو الفرج ما كتبه فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ولم يذكر المورد الذى نقل عنه قصته، ثم نقل عنه أبو الفدا فى أوائل القرن الرابع عشر ثم المقرئى بعد ذلك . حقا قد ذكر عبد اللطيف إحراق مكتبة الاسكندرية بأمر عمرو لكنه لم يفصل فى ذكر ذلك ويلوح أنه روى ذلك الخبر مصدقا، وهكذا يدل على أن تلك القصة كانت متداولة فى أيامه ولكن لم يرد لها ذكر مكتوب قبل ماضى خمسة قرون ونصف قرن على فتح الإسكندرية ويمنع من تصديقها إغفال كل الكتاب لذكرها من حنا النيقوسى إلى أبى صالح . ولعل قائلا يقول أنها ظلت تلك القرون تتناقلها الألسن إن هذه القصة وإن كانت متداولة لا يمكن أن يكون دليلا على شىء كما أنه لا يمكن أن ينقضى شيئا، ولكن الشك الذى يحيط بتلك القصة يجعلها غير وثيقة فى الدلالة ولا كافية بذاتها فى البرهان» (١)

وبعد أن قام بتلر بنقده رواية «أبو الفرج» جمع أدلة نقده فقال : «لعلنا لانكون مخطئين إذا نحن أجمعنا فيما يلى أدلة حجتنا فإن قصدنا أن نبين حقيقة أمر مكتبة الإسكندرية ومقدار نصيب قصة إحراق العرب لها من الصحة أو الكذب وهى كما يلى :-

(١) إن قصة احراق العرب لها لم تظهر إلا بعد نيف وخمسمائة عام من وقت الحادثة التى نذكرها .

(٢) إننا فحصنا القصة وحللنا ما جاء فيها فالفينا سخافات مستبعده ينكرها العقل .

(٣) إن الرجل الذى تذكر القصة أنه كان أكبر عامل فيها مات قبل غزوة العرب بزمان طويل .

(٤) إن القصة قد تشير إلى واحدة من مكتبتين : الأولى مكتبة المتحف وهذه ضاعت فى الحريق الكبير الذى أحدثه قيصر، وإن لم تتلف عن ذلك كان ضياعها فيما بعد فى وقت لا يقل عن أربعمائة عام قبل فتح العرب، وأما الثانية وهى مكتبة السرابيوم فإما أن تكون قد نقلت من المعبد قبل عام ٣٩١م وإما أن تكون قد هلكت أو تفرقت كتبها وضاعت، فتكون على أى حال قد اختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن .

(١) الفرد بتلر : فتح العرب لمصر : عربيه محمد فريد أبو حديد - مكتبة مديبولي - ١٩٩٠م ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٥) إن كتاب القرنين الخامس والسادس لا يذكرون شيئاً عن وجودها وكذلك كتاب أوائل القرن السابع .

(٦) إن هذه المكتبة لو كانت لاتزال باقية عندما عقد (قيرس) صلحه مع العرب على تسليم الإسكندرية لكان من المؤكد أن تنقل كتبها وقد ابيح ذلك فى شرط الصلح الذى يسمح بنقل المتاع والأموال فى مدة الهدنة التى بين عقد الصلح ودخول العرب فى المدينة وقدر ذلك أحد عشر شهرا .

(٧) لو صح أن هذه المكتبة قد نقلت أو لو كان العرب قد أتلفوها حقيقة لما اغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم كان قريب العهد من الفتح مثل يوحنا النيقوسى ولما مر على ذلك بغير أن يكتب حرفاً عنه .

ثم يقول بتلر ولا يمكن أن يبقى شك فى الأمر بعد ذلك فإن الأدلة قاطعة وهى تبرر ماذهب إليه «جين» من عدم تصديقها ولا بد لنا أن نقول أن رواية أبى الفرج لاتعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس فى التاريخ»<sup>(١)</sup> .

وبعد كتاب بتلر ظهرت دراسات عديدة تناولت موضوع مكتبة الإسكندرية أهمها الدراسة التى كتبها محمد أحمد حسين بعنوان «مكتبة الاسكندرية»<sup>(٢)</sup> وكتاب PARsoms "Alexandrian Library"<sup>(٣)</sup> وقد نشر الأول عام ١٩٤٣م فى مصر والثانى فى لندن عام ١٩٥٢م . ويصدران فى رأيهما عن المؤرخين السابقين عليهم وجميعهم لم يبعد كثيراً عن رأى شبلى النعمانى .

وفى سنة ١٨٩٢م أيضاً نشر شبلى فى المجلة العلمية الشهيرة «حُسن» بحيدرآباد الدكن موضوعاً بعنوان «إسلامى كتب خانى»<sup>(٤)</sup> أى «تاريخ المكتبات الإسلامية» وقد بين للعالم مقدار ماحوته من كنوز علمية وفنية، وفى سنة ١٨٩٤م ألقى على عاتقه مسئولية رئاسة تحرير «مجلة كلية على كَرط ه» فكتب شبلى فيها موضوعات عديدة

(١) المرجع السابق ص: ٤٤٠ - ٤٤١ .

(٢) محمد أحمد حسين: مكتبة الاسكندرية: مطبعة الاعتماد . الطبعة الاولى . القاهرة ١٩٤٣ ص: ٦٩ - ٧٤ .

(3) PARsoms (Edward): the Alexandrian Library. London first Published 1952. p.122-127.

(٤) شبلى: المرجع السابق: ١٥٢/٦ - ١٧٥ .

منها «اسلامى حكومتين اورشفاخانى»<sup>(١)</sup> «اى الحكومات الإسلامية ودور الشفاء» وطبع فى المجلة عدد يوليو ١٨٩٥ م.

ثم كتب شبلى موضوع «الجزية»<sup>(٢)</sup> للرد على اتهام المسلمين بفرض الضرائب الظالمة على الرعايا غير المسلمين وقد خيم الذهول والدهشة من هذا التحقيق على الأوساط العلمية. وترجم السير سيد هذا الموضوع إلى الإنجليزية وقام شبلى بترجمته إلى اللغة العربية ونشرت اقتباسات وتلخيصات له فى الكتب والمجلات المشهورة فى مصر وبصفة خاصة مجلة الهلال.<sup>(٣)</sup>

وفى عام ١٨٩٦ م كتب شبلى موضوعا سياسيا هو «مسألة آرمينيا»<sup>(٤)</sup> نشر فى صحبة «آزاد» بكانوا فى ٢١ فبراير. وبعد ذلك كتب «حقوق الذميين»<sup>(٥)</sup> ونشر فى مجلة على كَرط ه ميگزين عددى مارس وأبريل ١٨٩٦ م. ثم قام شبلى بجمع أهم الموضوعات ونشرها عام ١٨٩٧ م باسم «رسائل شبلى».

وبعد وفاة شبلى قامت دار المصنفين بأعظم كَرط ه - التى أسسها شبلى - بجمع شتات مقالاته من الصحف والمجلات وهى: معارف أعظم كَرط ه، و«دكن ريبور» و«انستيتيوت كزت» و«تهذيب الاخلاق» و«الندوة» و«مسلم كزت» وقاموا بطبعها فى ثمانية مجلدات مستقلة مبوبة حسب الموضوعات تحت عنوان «مقالات شبلى» وهى على النحو التالى:-

١- المجلد الأول ويحتوى على الموضوعات الدينية ونشر عام ١٩٣٠ م ويضم ستة عشر مقالا.

٢- المجلد الثانى ويحتوى على الموضوعات التاريخية ونشر عام ١٩٣١ م ويضم عشرة مقالات.

٣- المجلد الثالث ويحتوى على الموضوعات العلمية ونشر عام ١٩٣٢ م ويضم أحد عشر مقالا.

(١) شبلى: المرجع السابق: ١٧٦/٦ - ١٩٣.

(٢) المرجع السابق: ٢٢٧/٦ - ٢٣٨.

(٣) مجلة الهلال. العدد الثانى. السنة الثالثة ١٥٠ سبتمبر ١٨٩٤ م ص: ٧٩ - ٨٠.

(٤) المرجع السابق: ١٨٥/٨ - ١٨٩.

(٥) المرجع السابق: ١٨٨/١ - ٢٢٦.

٤- المجلد الرابع يحتوى على الموضوعات الادبية ونشر عام ١٩٣٤ ويضم سبعة عشر مقالا .

٥- المجلد الخامس ويحتوى على الموضوعات النقدية ونشر عام ١٩٣٦ ويضم تسعة مقالات .

٦- المجلد السادس ويحتوى على الموضوعات التعليمية ونشر عام ١٩٣٧ ويضم ثمانية مقالات .

٧- المجلد السابع ويحتوى على الموضوعات القومية ونشر عام ١٩٣٨ ويضم اثني عشر مقالا .

٨- المجلد الثامن ويحتوى على الموضوعات السياسية ونشر عام ١٩٣٨ ويضم ستة وأربعين مقالا .

(٧) الجزية :-

كما مر بنا فقد كتب شبلى موضوع الجزية فى أول الامر على هيئة رسالة طبعها ضمن «رسائل شبلى» ثم قام بترجمتها إلى اللغة العربية ونشرها على هيئة كتاب فى مطبعة مفيد عام باكراً عام ١٣١٢ هـ وقد قسم شبلى هذا الكتاب إلى محاور ثلاثة هى :- المحور الاول : فى تحقيق لفظ الجزية والفحص عن مادته وصيغته وأثبت أن «اللفظ فارسى محض وأن أصله «كزيت» وأن الجزية إنما هى تعريب له واستشهد فى ذلك بورود هذا اللفظ كثيراً فى كلام شعرائهم على زنته الأصلية» . (١)

والمحور الثانى «فى تحقيق أن الجزية متى كان حدوثها ومن أسسها أولاً» وتوصل إلى أن «أول من سن الجزية فيما علمنا كسرى أنو شروان وهو الذى رتب أصولها وجعلها طبقات» ثم أورد شبلى نصوصاً من تاريخ الطبرى و«الأخبار الطوال» وأبياتاً شعرية من شاهنامه الفردوسى ليؤكد بها هذه الفكرة وأن «الشريعة الإسلامية ليست بأول واضع لها» (٢)

(١) شبلى : الجزية : ٤ .

(٢) المرجع السابق : ٦ - ٧ .

أما المحور الثالث فكان في تحقيق الغرض الذي كان سببا لاختيارها في الإسلام «فاكد أن المسلمين فرضوا الجزية على أهل الذمة في مقابل الدفاع عنهم والمنعة وهذا ما أكده خالد بن الوليد في رسالة له إلى صلويابن نسطونا حينما دخل العراق وأوغل فيها هذا نصه «إني عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة ما منعناكم ولنا الجزية وإلا فلا» (١)

وقد قام السير سيد بترجمته إلى اللغة الإنجليزية عام ١٨٩٤م ونشره في كلية على كَرط هـ واهتمت الأوساط العلمية به آنذاك وطبعت الصحف المصرية والشامية مقتطفات منه كما نقل عنه جورجى زيدان في كتابه «تاريخ التمدن الإسلامى» يقول: «ويرى صديقنا العلامة الهندى الشهير الشيخ شبلى النعمانى أن لفظ الجزية فارسى الأصل وأنه فى الفارسية «كزيت» (٢)

#### (٨) الفاروق:-

«الفاروق» سيرة حياة الخليفة الثانى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وهو من أعظم الشخصيات فى تاريخ الإسلام ويعد هذا الكتاب أروع ماكتب شبلى على الإطلاق حيث واجه بسببه صعوبات ومنازعات عديدة. أولا: تجشم شبلى مشاق السفر وصعابه وسافر إلى تركيا والشام ومصر وقضى بها شهورا للبحث فى مكتباتها عن المادة العلمية الكافية لتأليف هذا الكتاب الذى يعد الأول من نوعه باللغة الأردية فى شبه القارة الهندية حيث لم تكن مكتبات الهند تضم معلومات كافية عنه. (٣) ثانيا: اختلف أهل الرأى فى على كَرط هـ حوله لأن «الفاروق» سوف يحدث شقاقا وخلافا بين السنة والشيعه فقد كان نواب عماد الملك سيد حسين بلجرامى من أكبر أنصار الكلية فى ذلك الوقت وكان شيعيا فاعتقد السير سيد أن هذا الكتاب سيكون سببا فى نفوره من الكلية وفى قطع عونه المادى والمعنوى لها وقرروا فى على كَرط هـ أن يترك شبلى هذا العمل لصالح الكلية إلا أن شبلى أبى ذلك وصمم على تأليفه فى النهاية ولم يحفل باعتراض السير سيد له. يقول فى مقدمة الفاروق: «وقررت أن أبدأ فى هذا العمل بحسم وبطريقة

(١) المرجع السابق: ١٠

(٢) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى: ١٦٩/١.

(٣) مهدى افادى: افادات مهدى: معارف أعظم كَرط هـ. ط ٣. ١٩٣٩م ص: ١٦.

منظمة فى ١٨ أغسطس ١٨٩٤ وقد ظلت مهام الوظيفة والعوائق الطارئة من آن لآخر عقبه فتوقف العمل عدة مرات لشهور قليلة لكن سلسلة العمل لم تتوقف قط حتى اجتزت هذه المرحلة اليوم بعد أربع سنوات كاملة واستراح القلم والمسافر لايام قليلة» (١).

وانتهى شبلى من تأليف الجزء الأول من سيرة الفاروق بعد ثلاث سنوات وسلمه لمطبعة «نامى بريس» فى كانپور فى يونيو ١٨٩٧م واكمل الجزء الثانى فى كشمير فى ٥ يوليو ١٨٩٨م. وسوف اتناول هذا الكتاب بالتفصيل فيما بعد فهو موضوع بحثنا.

### (٩) الغزالى:

هذا الكتاب هو سيرة الإمام أبو حامد الغزالى وأول كتاب لشبلى عندما كان يعمل مديرا لإدارة الفنون والعلوم بحيدر آباد وقد ظلت فكرة هذا الكتاب تختمر فى رأس شبلى منذ فترة طويلة وكانت البداية عندما اقترح السير سيد أن يكتب «الغزالى» بدلا من «الفاروق» إلا أنه لم يفكر فى هذا الأمر إلا بعد أن انتهى من الفاروق حيث توجه ناحية سيرة الإمام الغزالى والفلسفة وعلم الكلام يقول شبلى فى خطاب لمولانا شروانى بتاريخ ١٠ يوليو ١٨٩٩ م: «إن حياة الإمام الغزالى فيها بحث كامل عن علم الكلام لأنه هو الذى أوجد علم الكلام الحديث— إن الجزء الأول من حياة الغزالى فى حاجة إلى مراجعة وضبط لكننى سوف انتهى منه على أكمل وجه والمصدر الرئيسى لى فى فلسفته هو كتابه «تهافت الفلاسفة» الذى رد به على ابن رشد. ويبدو من رسائل شبلى أن هذا الموضوع هو أكبر الموضوعات التى كانت تشغل بال شبلى فى ذلك الوقت وحاتت له الفرصة عندما وصل إلى حيدر آباد حيث أطلع فى مكنتباتها على كتب حديثة فى هذا الموضوع أحدهما لمؤلف فرنسى والآخر لمؤلف المانى وقد أشار إليهما فى مقدمة الغزالى. وطبع هذا الكتاب فى ٢٢ فبراير ١٩٠٢ فى مطبعة نامى كانپور لصاحبها منشى محمد رحمت رعد ونشر فى أغسطس ١٩٠٢ فى طبعة فاخرة، وتخاطفته الأيدى وسوف أعرض هذا الكتاب بالتفصيل فى الباب الثانى.

(١) شبلى : الفاروق : المقدمة ١-٢.

## (١٠) علم الكلام :

كتب شبلى «علم الكلام» بعد الغزالي وقد تواردت فكرته الأولى عند شبلى فى أثناء إقامته فى على كَرط هـ عندما كتب موضوعا باسم «المعتزلة والاعتزال» فى مجلة «تهذيب الاخلاق» عام ١٨٩٥م، ثم فكر فى أن يكتب كتابا بعنوان «علم الكلام» وانتهى من تأليفه فى ١٨ مارس ١٩٠٢م وكان شبلى مريضا فى ذلك الوقت فأمله على أحد تلاميذه وهو مستلق على سريره ولهذا كان مختصرا جدا وقد اعترف شبلى بذلك حيث يقول : «كتبت كتابا مختصرا جدا فى علم الكلام وهو فى الحقيقة أول كتاب غير مكتمل فى مؤلفاتي». وتحدث شبلى فى هذا الكتاب عن نشأة علم الكلام عند المسلمين والتطورات التى واكبت عهوده المختلفة وقدم تفصيلا دقيقا للتغيرات التى حدثت له، كما قدم نقدا كاملا لجميع أنواع علم الكلام وقد مهد شبلى لهذا العلم فقال : «لقد حاول المسلمون محاولات مستميتة فى كل عصر لإنقاذ الدين من المخاطر التى تحيط به من كل جانب، وفى أيام الدولة العباسية عندما تمت ترجمة علوم اليونان وفارس إلى اللغة العربية انتشرت المناظرات والمباحثات الفكرية بين جميع الاقوام وواجه الإسلام خطرا فادحا عندما وقف المجوس والمسيحيون واليهود والزنادقة ينادون به من كل مكان فارادوا الانتقام بأقلامهم لما حل بهم من سيف الإسلام فانبروا ينتقدون العقائد وأركان الإسلام بحرية وجراة حتى تزعزت عقائد المسلمين من ضعيفى العقيدة والإيمان عندئذ هب علماء المسلمين وتعلموا أصول الفلسفة واستعملوا نفس سلاح المعارضين للإسلام فكانت مآثر تلك المعارك الكلامية هى التى عرفت فيما بعد باسم علم الكلام فى الوقت الحاضر» (١).

ثم يتطرق شبلى بعد ذلك إلى المؤلفات التى كتبت فى هذا العلم فيقول : «الفت كتب عديدة فى العربية فى سيرة المتكلمين وعن علم الكلام وأولها كتاب العلامة المرزبانى «أخبار المتكلمين» وهو من أعظم مؤرخى القرن الرابع الهجرى وقد أثنى عليه ابن النديم، ثم كتبت بعده كتب عديدة منها «مقالات الإسلاميين» لأبى الحسن الأشعري و«الملل والنحل» لأبى المظفر طاهر بن محمد الأسفرائينى، و«الفصل فى الملل والنحل» لابن حزم. ثم أشار شبلى إلى الكتب التى رجع إليها مثل «تأويلات القرآن» للإمام أبى منصور الماتريدى ومؤلفات الإمام الغزالي جميعا مثل : «تهافت الفلاسفة»

(١) شبلى : علم الكلام : ٢ - ٣ .

والتفرقة بين الإسلام والزندقة، و«مشكاة الأنوار»، و«المنقذ من الضلال»، وغيرها<sup>(١)</sup> وأرسله شبلي للمطبعة في ٢١ أبريل ١٩٠٢م ونشر في مارس ١٩٠٣م.

### (١١) الكلام :-

يُعد هذا الكتاب في حقيقة الأمر تنمة لموضوع علم الكلام الذي بدأه شبلي في القسم الأول وسماه «علم الكلام» وكان بحثا في نشأة هذا العلم وتطوره عند المسلمين وركز فيه شبلي على علم الكلام القديم. أما في هذا القسم الذي سماه شبلي «الكلام» فيتحدث عن علم الكلام الحديث ويقارن فيه بين عقائد الإسلام والحقائق الفلسفية.

وكان شبلي في ذلك الوقت في حاجة إلى معلومات عن الفلسفة الحديثة وآراء فلاسفة أوروبا في موضوع الروح وواجب الوجود، وفي تلك الاثناء كان المؤلف المصري فريد وجدي قد انتهى من كتابة رسائله المعروفة باسم «الإسلام في عصر العلم» فاطلع عليها شبلي وأفاد منها كثيرا. وقد بدأ شبلي حديثه عن «علم الكلام الحديث وطريقة تدوينه ورأى الإمام الغزالي في الكتب المتداولة وأنها لا توضح الحقيقة ثم تحدث عن العلوم الحديثة والدين وبيّن أسباب ترجيح الإسلام على الأديان الأخرى، ثم تناول موضوع «العقل والدين» وتطرق إلى قضية «وجود الله» وطرق الاستدلال على «وجود الله» وقارن بين استدلال أرسطو وأبي علي سينا واستدلال المتكلمين على وجود الله ومنهج القرآن في الاستدلال، ثم تناول بالبحث أمر الملاحدة والمعارضين لوجود الله ودلائلهم ثم الرد عليهم والاستدلال بالتوحيد في الصفات والعبادات، ويبحث موضوع النبوة بالتفصيل فذكر رأى الجاحظ في النبوة وحقيقتها عند الأشاعرة والاعتراض على النبوة في موضوع خرق العادة والمعجزات وآراء الفقهاء في حقيقتها مثل رأى أبي علي سينا والإمام الرازي والغزالي وشاه ولي الله الدهلوي<sup>(٢)</sup> وانتهى شبلي من تأليفه عام ١٩٠٣م وطبع ونشر في مطبعة نامي كانبور عام ١٩٠٤م.

### (١٢) سوانح مولانا روم :-

هذا الكتاب هو سيرة مولانا جلال الدين الرومي القطب الصوفي الكبير حيث تناول فيه شبلي حياته ومؤلفاته وآراءه في التصوف والمسائل الكلامية. ويعد هذا الكتاب اتجاها فكريا جديدا في حياة شبلي فقد كان شبلي في مؤلفاته السابقة يميل إلى التحقيق

(١) المرجع السابق : ٥ - ٦ .

(٢) شبلي : الكلام : ١٣٠ - ١٣٧ .

التاريخي والسير ثم الفلسفة وعلم الكلام ويغلب عليها جميعا الجانب الظاهري فلم يكن شبلي يميل إلى التصوف والتفكير الباطني حيث كان موضوع التصوف غريبا عليه لكنه بدأ يهتم بهذا الجانب عندما شرع في تأليف كتابه «الغزالي» وتطرق إلى التصوف في حياة الغزالي وعندما قرأ شبلي مثنوى جلال الدين الرومي أعلن أن المثنوى المعنوي أفضل مجموعات علم الكلام ونشر هذا الرأي في مجلة الندوة في أكتوبر ١٩٠٦ م. «ويرى مولانا شرواني أن الإمام الغزالي هو الذي أوصل شبلي إلى عتبة مولانا الرومي. بينما يرى سيد سليمان الندوي أن اختيار شبلي لموضوع سوانح مولانا روم يتعلق بإقامته في حيدرآباد التي كانت منبعاً للتصوف ووحدة الوجود وكانت هذه الموضوعات متداولة في تلك الفترة»<sup>(١)</sup> والباحث يتفق مع سيد سليمان الندوي في رأيه هذا.

وقد انتهى شبلي من «سوانح مولانا روم» عام ١٩٠٤ م وأرسله إلى مطبعة منشى رحمت الله رعد وطبع في أغسطس ١٩٠٦ م وسوف أتناول هذا الكتاب بالتفصيل في الباب الثاني.

### (١٣) موازنة أنيس ودبير :-

على غرار «الموازنة بين البحتري وأبي تمام» للآمدي المتوفى سنة ٣٠٠ هـ وازن شبلي بين ببر على أنيس (١٨٠٢ - ١٨٧٤ م) وسلامت على دببير (١٨٠٣ - ١٨٧٥ م) وهما أعظم شاعرين من شعراء المراثي في الشعر الأردى وخاصة في رثاء الحسين وأهل البيت، وقد اشتهر هذا الفن الشعرى بداية في الشعر الفارسي ثم انتقل إلى الشعر الأردى فوصل إلى قمة ازدهاره على يد هذين الشاعرين. وحاول شبلي في هذا الكتاب إثبات تفوق أنيس في فن المراثية على دببير فقد ورث الأول موهبة الشعر حيث نشأ في أسرة شاعرية فأجداده ضاحك ومير حسن وأبوه خالق وأخوه مؤنس وولده نفيس جميعاً كانوا شعراء، وقد اشتهر أنيس بنقاء التعبيرات الأردية الشائعة والقدرة على الوصف وخاصة وصف الشعور الإنساني ومظاهر الطبيعة فكان ينظم الشعر وكأنه يشاهد بعينه ما يصف وترك لنا مائة ألف بيت في المراثي أعظمها وصف واقعة كربلاء التي نظمها في قالب قصصي في حوالي خمسة آلاف بيت، أما دببير فيبدو من أسلوبه التكلف واختيار الألفاظ الرنانة وترك لنا مجلدين كبيرين في المراثي.

وقد أعاب شبلي على دببير استخدام الكلمات الرنانة والمبالغة والتعقيد والاهتمام

(١) سيد سليمان الندوي : حيات شبلي : ٣٧٧.

بالخيال ووصف الاحداث خلافا للفظرة، كما أنه لا يصور العواطف الإنسانية تصويراً صحيحاً وأكثر من استخدام المحسنات البديعية واللفظية، بينما تميزت مراثى أنيس بالنضج الفني والاهتمام بالجانب الدرامى فيها إلى جانب الفصاحة والبلاغة<sup>(١)</sup>.

ويرى سيد عابد أن «تميز شبلى لأنيس جعله يختار أفضل النماذج من مراثيه ليستشهد بها فى حين أنه كان يستشهد بمراثى عادية لدبير، مع أن مراثى دبير فيها نفس المحاسن التى توجد فى مراثى أنيس والعيوب التى فى مراثى دبير لا تخلو منها مراثى أنيس وأن النقاد القدماء والمحدثين أكدوا بالدلائل القاطعة والدامغة أنه ليس هناك من سبب لترجيح أنيس على دبير فلكل منهما ميدانه ولكل منهما أسلوبه المنفصل ولا يمكن أن تقام عليهما دراسة مقارنة مفيدة لكونهما ينظمان المراثى ١١ خاصة وأن كل منهما تربى فى بيئة مختلفة واتبع مذهباً منفصلاً ويرتبط كل واحد بمدرسة أدبية»<sup>(٢)</sup> ونشر الكتاب فى مطبعة مفيد عام ١٩٠٦.

#### (١٤) مضامين عالمكبير :-

ظهرت فكرة هذا الكتاب الهام أثناء وجود شبلى فى بومباى عندما التقى بمحمد على أحد تلاميذ شبلى فى على كَرط هـ وكان يعمل فى ذلك الوقت فى بلدة «برودة» فأصر على أن يصطحب شبلى معه إلى «برودة» ويقوم فى منزله وفى تلك الأثناء اقترح على شبلى كتابة موضوع مفصل للرد على ما اتهم به الملك المغولى أورنكزيب عالمكبير فوافق شبلى وكتب العدد الأول من سلسلة المقالات الخاصة بعالمكبير بعد عودته فى ٥ ديسمبر ١٩٠٦م ونشر فى مجلة الندوة فى نفس الشهر وانتهت هذه السلسلة بعد ستة مقالات فى مارس ١٩٠٨م. وأراد محمد على أن يترجم هذه المقالات إلى الإنجليزية وبدأ العمل بالفعل فى يونيو ١٩٠٨م ولكنه لم يستطع أن يكمله، «وقام الدكتور سيد محمود بترجمتها إلى الإنجليزية فى لندن عام ١٩١٠م عندما كان يعد رسالة الدكتوراه هناك ونشر على هيئة كتاب»<sup>(٣)</sup>.

#### (١٥) شعر العجم :-

شعر العجم تاريخ للشعر الفارسى ويقع فى خمسة مجلدات وبدأ شبلى فى تأليفه

(١) شبلى : موازنة أنيس ودبير : ٣ و ١٢ .

(٢) المرجع السابق : ٦١ .

(٣) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٤٥٤ .

عام ١٩٠٦م بعد أن انتهى من تأليف «موازنة أنيس ودبير»، ونشر المجلد الأول عام ١٩٠٨م والثاني عام ١٩٠٩م والثالث في عام ١٩١٠م والرابع في عام ١٩١٢م ولم يكتمل المجلد الخامس فظهر بعد وفاته في عام ١٩١٨م.

وشعر العجم في مجمله مقسم إلى ثلاثة أدوار هي : القدماء والمتوسطون والمتأخرون، فيبدأ الدور الأول من حنظلة الباذغيسى وينتهي بنظامي، ويبدأ العهد الثاني من كمال إسماعيل حتى جامي، بينما يبدأ الدور الثالث والآخر بفغانى وينتهي بأبي طالب كليم والذي صار الشعر بعده عبارته عن الغاز وأحاج، والجزء الرابع خصصه شبلى لبحث عام في الشعر ويعد هذا الجزء روح الكتاب<sup>(١)</sup>.

وقد حرص شبلى في مقدمة الجزء الأول على ذكر المراجع والمصادر التي رجع إليها في تأليف هذا الكتاب مثل : لباب الالباب لمحمد عوفى «وجهار مقالة» لنظامي عروضي السمرقندى، وتذكرة دولتشاه السمرقندى وتاريخ آل غزنين للبيهقى، ومى خانه لعبد النبى فخر الزمانى، وتذكرة الشعراء لميرزا طاهر نصير آبادى، ومرآة الخيال لشيرخان لودهى، ورياض الشعراء لواله الداغستانى، ومجمع النفائس لحان آرزو، ومجمع الفصحى لهدايت قلى خان<sup>(٢)</sup> وغيرها من المصادر. وقد تعرض شبلى في الجزء الأول إلى ماهية الشعر واهتمام أوروبا باللغة الفارسية. وقام فخر داعى بترجمة «شعر العجم» إلى اللغة الفارسية، ويعد هذا الكتاب من المصادر الهامة فى دراسة الأدب الفارسى وقد استفاد منه جميع دارسى الأدب الفارسى وخاصة المستشرقين.

### (١٦) الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامى لجورجى زيدان(\*) :-

هذا الكتاب نقد لكتاب تاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان صاحب مجلة «الهلل» المصرية وهو أديب ومؤرخ مسيحي سورى عاش فى مصر واشتهر بكتابة

(١) شبلى : شعر العجم : ٣/١ - ٤ .

(٢) المرجع السابق : ٤/١ - ٦ .

(\*) جورجى زيدان (١٢٧٨ - ١٣٣٢ هـ - ١٨٦١ - ١٩١٤ م).

جورجى بن حبيب زيدان منشئ مجلة (الهلل) بمصر وصاحب التصانيف الكثيرة، ولد وتعلم ببيروت، ورحل إلى مصر، فأصدر مجلة الهلال (اثنين وعشرين عاما) وتوفى بالقاهرة. له من الكتب : تاريخ مصر الحديث جزآن، وتاريخ التمدن الإسلامى خمسة أجزاء، وتاريخ العرب قبل الإسلام، وتاريخ الماسونية العام، وتراجم مشاهير الشرق جزآن، وتاريخ آداب العربية، وآداب اللغة العربية، والتاريخ العام وغيرها. (الاعلام : ١١٧/٢).

الموضوعات فى التاريخ الإسلامى والعلوم العربية وله عدة روايات تاريخية، وكان «تاريخ التمدن الإسلامى» أشهر كتبه وكتبه باللغة العربية فى خمسة أجزاء وقد لاقى هذا الكتاب انتشاراً واسعاً لدى المستشرقين فترجمه مرجليوث إلى الإنجليزية وترجمة أحد أدباء الهند إلى الأردية، «وقد صدر الجزء الأول من الترجمة الأردنية مطبوعاً على الحجر فى «أمر تسار» بقلم الشيخ محمد غلام صاحب جريدة وكيل الهندية الشهيرة»<sup>(١)</sup> وكانت تربط شبلى بجورجى زيدان روابط قديمة عن طريق المراسلة ونشر له جورجى زيدان مقالات فى مجلة «الهلل» وكان شبلى يتحين الفرصة لكشف اللثام عن حقيقة هذا الكتاب وذكر خداع جورجى زيدان ودهائه إلا أنه لم يجد الفرصة لذلك. وفى عام ١٩١١م حدثت عدة أحداث دفعت شبلى لكتابة موضوع مفصل نقد فيه كتاب التمدن الإسلامى بعنف شديد، وكان أول هذه الأحداث هو اقتراح الدكتور «يوسف هارويز» بكلية على كُرطه أن يقرر جزء من هذا الكتاب العربى ضمن امتحان درجة المولوية وثانيها ترجمة مرجليوث هذا الكتاب باللغة الإنجليزية، وفى نهاية عام ١٩١١م كتب شبلى نقداً قاسياً لهذا الكتاب وكشف زيف ادعاءاته خاصة عن سيدنا عمر وعن حريق مكتبة الإسكندرية والجزية وغيرها.

وكتب شبلى هذا الكتاب باللغة العربية وتتضح خصائص أسلوبه فى العربية بجلاء فى هذا الكتاب يقول فى بداية كتابه: «إن الدهر دار العجائب ومن إحدى عجائبه أن رجلاً من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الإسلام كتاباً يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة فى النقل وتعمد الكذب ما يفوق الحد ويتجاوز النهاية وينشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الإسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشاراً فى العرب والعجم ومع ذلك لا يتفطن أحد لدسائسه... فإنه أصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب ودسياسة يتطلع بها على إحساس الأمة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك أحد ولم ينبض لأحد عرق ووجد الجو صافياً أرخى العنان وتمادى فى الغى وأسرف فى النكايه بالعرب عموماً وخلفاء بنى أمية خصوصاً وكان يمتنعى عن النهوض إلى كشف دسائسه اشتغالى بأمر ندوة العلماء، لكن لما عم البلاء وتوسع الحرق وتفاقم الشر لم أطق الصبر فاختلست من أوقانى أياماً وتصديت للكشف

(١) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى : ٣/٤ .

عن عوار هذا التأليف الإبانة عما فيه من أنواع الإفك والزور وأصناف التجريف والتدليس<sup>(١)</sup>. وقد طبع شبلى هذا الكتاب أول مرة بنفسه فى إحدى مطابع لكناو فى يناير ١٩١٢م، ثم أرسله لرشيد رضا صاحب المنار فنشره فى مصر وكان له دور كبير فى إماطة الأخطاء التى نسبها جورجى للتاريخ الإسلامى.

### (١٧) السيرة النبوية :

السيرة النبوية هى آخر مؤلفات شبلى وأعظمها على الإطلاق، كتبها فى آخر أيامه بعد أن نضج تفكيره وسما أسلوبه، لكن القدر لم يمهله حتى ينتهى من كتابتها فمات ولم يخرج منها إلا جزأين وكان قد أوصى تلميذه سيد سليمان الندوى بتكميلها فوصل بها إلى ثمانية أجزاء وحقق ما كان يصبو إليه شبلى فصارت حقا «دائرة للمعارف النبوية».

فى بداية حياته فى على كثره كتب شبلى رسالة مختصرة باللغة العربية فى السيرة النبوية باسم «بدء الإسلام» وأدرجت ضمن المقررات الدراسية فى كلية على كثره فكانت هذه الرسالة مجرد تصورات أولية لعمله العظيم الذى أنجزه فيما بعد وهو السيرة النبوية، وظلت فكرة «السيرة النبوية» حلما يراوده وظلت هذه الفكرة راسخة فى عقله وضميره حتى بدأ فى تحقيق هذا الحلم وشرع فى تأليفها أثناء إقامته فى حيدرآباد فى ٢٨ ربيع الأول ١٣٢١ هـ / ٥ يونيو ١٩٠٣م وسجل أحداث السيرة حتى وقائع عام ٣ هـ وكانت الحاجة ماسة لتأليف كتاب فى السيرة النبوية لأن زيادة إقبال المسلمين على التعليم الجديد وانتشاره بسرعة يزيد من جهل المسلمين بالأمور الدينية وكان لابد من هذا العمل لتبصير المسلمين بالإسلام القدوة وأحسن شبلى بهذه الضرورة عام ١٩٠٦م عندما ألف مرجليوث أستاذ اللغة العربية بجامعة أكسفورد كتابا باللغة الإنجليزية فى السيرة اسمه (محمد) عام ١٩٠٥م ورجع فيه إلى العديد من الأحاديث النبوية وكان مليئا بالافتراءات الكاذبة وشوه أحداث السيرة التى يمكن أن يتأثر بها المسلمون الذين يتعلمون بالتعليم الإنجليزى الحديث خاصة فى غياب كتاب عن السيرة باللغة الأردية

(١) شبلى : الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامى : ١ - ٢ . (طبعة الهند)

وفى تلك الاثناء ظهرت مشكلة ارتداد المسلمين إلى الهندوسية والمسيحية وبدأ شبلى يتخذ التدابير للحيولة دون ارتدادهم فكانت هذه الاحداث مجتمعة قد قوت من عزيمته شبلى على تأليف السيرة النبوية وأعلن عن نيته هذه فى يناير ١٩١٢م فى مجلة الندوة حيث قال : «إن تأليف السيرة النبوية امر ملح وضرورى فى قوم يزداد فيهم التعليم الجديد يوما بعد يوم وسوف يتقلد هؤلاء المتعلمون الجدد مقاليد أمور المسلمين يوما من الايام، وعندما يرغبون الرجوع إلى حياة الرسول فإنهم لن يجدوا كتابا موثوقا به باللغة الأردنية فيضطرون حينئذ إلى الرجوع للكتب الإنجليزية المليئة بالاطغى والتعصب الأعمى، وقد شعرت بأهمية هذا منذ فترة لكنى لم أجرؤ على الكتابة فيه لانه امر صعب وأى خطأ بسيط يُعد جرما عظيما إلا اننى أترك كل الاعمال الآن وأبدأ فى تأليف السيرة النبوية لإحساسى بأهمية هذا العمل»<sup>(١)</sup>.

وتقدم شبلى باقتراح تكوين مجلس باسم «مجلس تأليف السيرة النبوية» ويتكون من كبار الكتاب ووجهاء القوم للتبرع بالاموال والاعمال الخاصة بهذا العمل الموسوعى الضخم الذى لا يضطلع به إلا المؤسسات والهيئات الكبرى، فيقوم أعضاء هذا المجلس بالحصول على الكتب النادرة والكتب الإنجليزية التى تم تأليفها فى السيرة فيقوم جماعة منهم بترجمة خلاصة هذه الكتب إلى الأردية وتقوم أخرى بمهمة البحث فى الروايات المتعددة ونقدها بينما تقوم جماعة ثالثة بكتابة المسودات .

وقام هذا الفريق الكامل بمساعدة شبلى وعلى رأسهم سيد سليمان الندوى وانتهى شبلى من كتابة الجزء الأول فى أكتوبر ١٩١٣م وبدأ شبلى عمله فى الجزء الثانى ولم يكدهم اسبوع على هذا العزم حتى وصله خبر اشتداد المرض بأخيه فى إله آباد فترك بمباى وتوجه فورا إليه لكنه توفى فى ٥ أغسطس ١٩١٤م وعاد شبلى حزينا إلى منزله بأعظم كُرط هوكتب فى ١٦ أكتوبر ١٩١٤م يقول : «والسفاه ! لم أستطع أن أكمل السيرة ولا يبدو أننى سوف أستطيع إنجاز هذا العمل»<sup>(٢)</sup>، وكان صادقا فى ظنه ورحل عنا وأكمل تلميذه سيد سليمان الندوى هذا العمل العظيم .

(١) شبلى : مقالات شبلى : ٣٢/٨ .

(٢) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٧٠٧ و٧١٥ و٧٢٠ .

## شبلى النعمانى شاعرا

كان شبلى شاعرا مرهف الحس، واسع التجربة، غزير الثقافة على دراية كافية بمفهوم الشعر ومهمة الشاعر فى المجتمع لذا نُجده يبتعد عن المدح وبصفة خاصة مدح الامراء الذى كان آفة خطيرة فى الشعر الآسيوى وإن مدح رجلا مدحه لصفات فيه، وقد برع شبلى فى نظم الشعر بالاردية والفارسية والعربية. ومع بداية القرن العشرين حدث تنوع فى الافكار والموضوعات الشعرية وبدأ الشعر يتجة اتجاها جديدا ليعايش مشاكل الناس ويضرب على أوتار مشاعرهم وأحاسيسهم ويشاركهم فى هموم حياتهم اليومية، لذا نظم الشعراء موضوعات جديدة وتناولوا فى شعرهم موضوعات سياسية واجتماعية وقومية إلى جانب الغزل. وظهرت حركات أدبية حديثة تدعو إلى التمرد على أشكال الشعر وموضوعاته القديمة. وكان حالى رائدا للشعر الحديث فى تلك الفترة فتأثر منه شبلى وخاصة فى نظم الموضوعات السياسية والقومية.

وقد مر الشعر الأردى آنذاك بأهم منعطف له فى العصر الحديث وذلك عندما أقامت جمعية البنجاب «انجمن پنجاب» ندوات شعرية جديدة فى عام ١٨٧٤م، ويصف الطاف حسين حالى هذه الندوات الشعرية بقوله :-

«فى لاهور حقق محمد حسين آزاد رغبته القديمة حينما أقام فى عام ١٨٧٤م ندوات شعرية جديدة من نوعها للهند بإيعاز من كرنل هالرايد مدير عام التعليم فى البنجاب وفيها يختار الشعراء موضوعا ما لينظموا الشعر حوله ويظهرون آراءهم بالطريقة التى يريدونها شعرا بدلا من تحديد مصرع معين من بيت شعر يلتزم الشاعر قافيته ووزنه فى شعره»<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من أن شبلى لم يشارك فى هذه الندوات الشعرية إلا أنه تأثر بها فى شعره شكلا وموضوعا وقامت بينه وبين حالى رائد الشعر الأردى الحديث آنذاك روابط قوية لم يلبث بعدها أن اعترف حالى بشاعرية شبلى وقوة بأسه.

(١) محمد إسماعيل بانى پتى : كليات نثر حالى : ١ / ٣٤٠.

وقد جادت قريحه شبلى النعمانى بالشعر الجيد وتنوعت موضوعاته وأشكاله، فمن ناحية المضمون نجد شبلى يتناول موضوعات اجتماعية وسياسية وتعليمية ودينية وقومية. ومن ناحية الشكل نظم شبلى فى قوالب شعرية متعددة كالغزل والقصيدة والمثنوى والقطعة والتركيب بند والترجيع بند.

ونظم شبلى شعره بلغات ثلاثة هى : الأردية والفارسية والعربية وأجاد فيها جميعا وإن كان قد تفوق فى نظم الشعر الفارسى حتى عده كثير من نقاد الأدب الفارسى فى عداد فحول شعراء الفارسية وهذا ما يشعر به قارئ شعره لأول وهلة وقد نسج شبلى شعره على منوال شعر حافظ الشيرازى وسعدى الشيرازى وجلال الدين الرومى. والحقيقة أن شبلى يعد قارئاً جيداً للشعر الفارسى فى مختلف عصوره منذ نشأته وحتى شعراء عصره وقد نجح فى استيعاب معانيه الجميلة وأخيلته المحلقة فكان كالنحلة التى تجمع الرحيق من جميع الأزهار والورود على اختلاف ألوانها وتباين رائحتها ثم يعيد تقديمه عملاً صافياً لذة للشاربين.

وقد أرخ شبلى النعمانى لتاريخ الشعر الفارسى فى كتابه «شعر العجم» الذى يقع فى خمسة مجلدات ولا يزال هذا الكتاب حتى الآن عمدة المصادر فى تاريخ الشعر الفارسى. وفيما يلى سنتحدث عن شبلى الشاعر وأهم موضوعاته :-

### \* أولاً: الشعر الفارسى:

استحوذ الشعر الفارسى على جانب كبير من اهتمام شبلى فى نظم الشعر، وعلى الرغم من أن اللغة الأردية كانت لغته الأصلية إلا أن شبلى أولى اللغة الفارسية - لغته الثقافية - أهمية كبرى فى نظم أروع قصائده وبيان أهم موضوعاته الشعرية وأجاد فى هذا الاتجاه بدرجة قد تفوق أشعاره الأدبية. وقد تخلص شبلى فى بداية نظم أشعاره الفارسية بـ «تسليم» ورتب أشعاره الفارسية بنفسه ونشرها فى مجموعتين هما: «دسته كل» «أى باقة ورد» و «بوى كل» «أى شذا وردة».

وكانت موضوعات العشق والغزل هى الوجه الثانى لشعر شبلى، وجاءت أغلب أشعار شبلى فى الغزل باللغة الفارسية - وهذا الشعر يحتاج إلى دراسة منفصلة لنقده وتحليله، ومع ذلك يمكن أن نقول إن شبلى كان واقفاً على واردات الجمال ونزعات العشق بشكل كامل.

يقول حالي بعد أن قرأ مجموعة شعره الفارسية «دسته كل»: «هاهو ذا الغزل، كالشراب المعتق الذي ينتشى من سكره عين الساقى أيضاً، إننا من الممكن أن نجد في غزليات حافظ التي تحتوى على موضوعات الرندية والزندقة والمجون كلمات أكثر جاذبية، أما من ناحية الاخيلة فإن هذه الغزليات (غزليات شبلى) أكثر منها قوة وقد كنت أريد أن أطبع أعمالى الفارسية شعرا ونثرا وأنشرها لكن بعد رؤيتى لـ «دسته كل» سقطت غزلياتى من نظرى».

ونستطيع أن نستخلص من رأى حالى - وهو شاعر وناقد كبير - أن أشعار شبلى الفارسية فى الغزل تتسم بالرقه والعدوية، وأن إخلاص شبلى وعقليته الفكرية قد ساهم فى تفوقه كشاعر غزل، وكان لقاء شبلى بعطية بيكّم محرّكا له على نظم الشعر العذب والغزليات المؤثرة وزيادة عامل الحرفة فى أشعاره، وكانت بيئة بومباى الخلاصة فرصة جيدة لشبلى لكى ينظم الشعر ويصف شبلى هذه البيئة الساحرة بقصيدة على غرار قصائد حافظ الشيرازى فى الغزل<sup>(١)</sup> يقول:-

\* لقد عرفت من ذوق طبع شبلى فى أول يوم، أنه خسر إيمانه فى معاقل فتن مدينة بومباى.

\* أتى لى أن أصف القوافل الكثيرة لحسان آذر، وجميلات الشام وإيران.

\* فتصدق على بومباى بكل متاع قديم وجديد، ولو من جمال تاج خسرو وكبرى جمشيد المنمق.

\* وقد أصبح من الصعب للسالك المضى فى الطريق، بسبب كثرة الحسان فى كل مكان.

ويقول فى غزليه فارسية أخرى تمتزج فيها معانى العشق بالفلسفة:

که در آشوب گناه بمبئیء در باز ایمان را  
بیان آذری را دلبران شام وایران را  
طراز مسند جمشید و فرتاج خسرو را  
گزشتن از سرره مشکل افشاد است رهرو را

(١) زدوق طبع شبلى من در اول روز دانستم  
بیان این جاکه هو سوکاروان در کاروان بینی  
نثار بمبئیء کن هر متاع کهنه ونورا  
به هر سوزا هجوم دلبران شوخ بى پروا

(محمد واصل عثمانى: شبلى ادیبون کی نظر مین. صفیه اکید ط. مى. کراچی. ۱۹۶۸ م ص: ۵۷)

\* أنا من ألزمت نفسي بالصمت طويلا، فمن ذا الذى يدرى ماذا جنيت من المساومة خلف هذه الستارة؟

\* إن هذا الهيكل البديع الذى أود أن أظهره لأحبائى، قد تمتعت أيضاً بتذوقى قدرهاً منه.

\* إن المجلس لم يسترح بعد من أثر شرابه ليلة البارحة، وملات الإبريق على كتفى بخمر أشد إسكاراً.

\* وأريد أن تسرى الروح فى جسد الفكر بانفاسى مرة أخرى، فانا ذلك الذى قد استجديت الفيض من أنفاس عيسى.

\* لقد كان المجلس يبحث عن دقائق الحكمة فى الشريعة، فأملت عليه قدراً من نسخة روح القدس.

\* ذلك الحبيب عارف الأسرار الذى لم يستطع أحد أن يجعله يسفر عن وجهه، قد فككت عقدة من قيد عباة بفتونى.

\* ما أكثر ما عبرت ذلك الطريق محملاً بالجواهر، فملات صحارى المعانى جميعها بلآلىء الياقوت (١)

- ونظم شبلى قصيدة فى مدح الدكن وعلماء حيدرآباد وذلك فى أول زيارة له إلى حيدرآباد ضمن الوفد الرسمى لكلية على كَرطه الذى رأسه السير سيد أحمد خان عام ١٩٨٧ م بهدف التعريف بأهداف حركة على كَرطه الثقافية وجمع التبرعات للكلية وحث الأمراء والمثقفين على تأييدها المادى والمعنوى.

وقد أنشد شبلى هذه القصيدة فى افتتاح الجلسة الرسمية وتأثر بها جميع الحاضرين

كس چه د اند كه درين پرده چه سودا كردم  
لختى از ذوق خودش نيزتماشا كردم  
بياده تندتر از دوش به مينا كردم  
من كه دريوزه فيض ازدم عيسى كردم  
لختى از نسخه روح القدس املا كردم  
كسره از بند قبائش به فنون واكردم  
دشت معنى همه برلولوى لاله كردم

(١) من كه يك چند زدم مهر خموشى برب  
پيكرى تازه كه خواهم به عزيزان بنمود  
- محفل ازباده د وشينه نيا سوده هنوز  
بباز خواهم كه دم درتن انديشه روان  
- همنشين نكته حكمت ز شريعت مى جست  
- شاهد راز كه كس پرده زرويش نكرفت  
- بسكه هربار كه هربار كذشتم زين راه

(شبلى: الفاروق: ٢١/١)

ثم طبعت بعد ذلك فى كتيب وحفظها الناس ولا يزالون يرددونها حتى اليوم وتمتاز هذه القصيدة بالصدق وعدم المبالغة وقوة العاطفة والاهتمام بجماليات القصيدة وتناغم عناصر الجمال والعشق والموسيقى فيها، وقد نظم كثير من الشعراء قصائد على غرارها فى قالب «تركيب بند» وتتكون من بندين البند الأول رديفه «باتست» والبند الثانى رديفه «دكن» وهى (١) :-

- \* يادكن يامن يتعلق العالم بك، يامن بحوزتك مئآت الأمنيات واليأس .
- \* أنت التى تثيرين مائة صورة من كل حجاب، ومئآت من السرور المتجلى بسببك .
- \* أنت مغرمة ( زاهدة ) بالصدق والصفاء، وأنت الحبيب صاحب الدلال الأخاذ .
- \* أنت القيثارة الساحرة ولك مئآت الألحان والأنغام الجميلة، أنت كلوحة ارژننگ ومئات الأشكال الجميلة بسببك .
- \* أنت ذكرى لجاه الديلم والسلاجقة، وأساس ثروة بغداد وبخارى منوط بك .
- \* تحملين قصص جميع المحبين، وعندك أخبار قوافل يثرب والبطحاء .
- \* وفيك كثير من أبناء العرب والعجم، وسجل الإسلام مملوء بك
- \* إن سجل الأمة فى حالة تمزق وتشردم، ومع هذا فإن الأوراق المبعثرة منه قد جمعت فى مكان واحد بسببك .
- \* ومع أنه لم يتبق الآن أى أثر من تلك الحمارة، إلا أن الجرعات القليلة المتبقية من تلك الزجاجة والمينا بسببك .
- \* وبالرغم من أن تلك الروضة اليانعة ذهبت بسبب هجوم الخريف، فإن العبق النفاذ من تلك الوردة الجميلة بسببك .

که مجموعه صد یاس وتمنا باتست  
ای که صد جلوه گری هائی تماشا باتست  
شاهد استی که دلآویز اداها باتست  
لوح ارژننگی وصد بیکرزیمباباتست  
مایه دولت بغداد وبخار باتست  
خیراز قافله یثرب وبطحا باتست  
یعنی آن دفتر اسلام جزا باتست  
آن ورق های پراکنده بیک جا باتست  
جرعه چند ازان شیشه ومینا باتست  
بازهم بوئی خوش زآن گل رعنا باتست

(١) ای دکن ای که جهان را سرو سودا باتست  
ای که صد نقش زهر پرده برا نکیخته  
زاهد استی که سر صدق و صفا هست ترا  
ساز ذیرننگی وصد نغمه رنگین داری  
یادگار حشم دیلم و سلجوق استی  
دامستان های عزیزان همه از برداری  
آن پراکنده ترو عرب و نسل عجم  
گرچه شیرازه، امت همه ابتر شده است  
گرچه زان میکرده اکنون اثری نیست بجائی  
گرچه آن تازه چمن رفت بتاراج خزان

\* وإن حرارة المجلس في تلك الخمارة كلها بسبب حماسك، وفي كنفك مصر وغرناطة  
وبغداد.

\* أيا أركان الدكن يا عظماء ذوى الرتب العالية، يامن أنتم كالشمع المضيء لإيوان  
الدكن.

\* فالיום لكل شعره لى لسان، لكى أمدح به كرم أعيان الدكن.

\* وأنا مقيد فى كرمكم من الرأس حتى القدم، ويمكن اعتبارى من جملة أسرى الدكن.

\* كل هذه الكرم والطف مع غريب مثلى، ما الذى أستطيع أن أفعله لو لم أكن عبداً  
لإحسان الدكن.

\* كنا من سعة اخلاقهم الحميدة، الرومى والشامى من ضيوف الدكن.

\* جعلت قلبى مرتبط برائحة الخلق، وإلا لا يمكن أن تخدعنى زهرة ريحان الدكن.

\* فليحفظ الله عاصمة الدولة والدين، ولتكن خضراء يانعة من فيض سليمان الدكن.

\* مير محبوب على خان نظام آصف جاه، ملك وقيصر وخاقان الدكن

\* ونواب وقار الأمراء فله مائة درجة، الذى يرفع شأن الدكن من شرفه وجاهه مائة  
مرة.

\* إنهم زعماء المجالس وسادة الوطن. وفضلهم هو زينة إيوان الدكن.

\* لقد صرنا جميعاً محفل طرب بالمتاع والحشم، وشبلى من بين الناس الذين يقبلون  
أذيالهم.

نتواند كه فریبد كل ریحان دكن  
سیزو خرم بود از فیض سلیمان دكن  
تاجدار دكن وقیصر و خاقان دكن  
آن كه صد پایه فزود از شرفش شان دكن  
كه بود از دم شان زینت ایوان دكن  
شبلى خسته هم از حاشیه بوسان باشد  
مصر و غرناطه و بغداد در آغوش تو هست  
ای همه شمع فروزند ه ایوان دكن  
په سپاس آوری منت اعیان دكن  
می توان خواندم از جمله اسیران دكن  
چه کنم گرنشوم بنده احسان دكن  
كه بود رومی و شامی همه مهمان دكن  
(محمد واصل عثمان: شبلى ادیبون) نظرمین: ۱۱۷-۱۸۰ و سید سلیمان ندوی: حیات شبلى (۲۷۵)

= بوئى خلق است كه دل من پردم ورنه مرا  
یارب آن باد كه این تخت كه دولت و دین  
میر محبوب على خان نظام آصف جاه  
صد جم مرتبه نواب وقار الامراء  
خان دگر صدر نشینان و عزیزان وطن  
همه را پریم طرب با سر و سامان باشد  
كرمى صحبت آن میكده سرجوش تو هست  
ای بزرگان گران پایه و اركان دكن  
بر سر موئى من امروز زبانی شده است  
پائی تا سر همه در بند كرم های شما است  
یاغریبى چو منى این همه الطاف و كرم  
هم ز گبیرائى اخلاق دلا ویز بود

## \* ثانيا الشعر الأردى :-

ترك لنا شبلى ديوانا فى الشعر الأردى طبع بعد وفاته باسم «كليات شبلى» ويحتوى هذا الديوان على مرث وقصائد وغزليات. وتتسم موضوعات شبلى الشعرية بالسعة والرحابة وتمتاز دائرة خياله بالتحليق والسموق وتمتزج أحزان الحب وأحزان العصر فى شعره بنجاح تام وصور نزعات العشق ودخائله ببراءة، كما أن له قصائد قومية لامثيل لها فى الشعر الأردى، وعرفُ شبلى فى الشعر الأردى بصوته العالى ولهجته الجديدة وفى أشعاره جاذبية وسخرية وفكاهة واعترف ببأسه الشعراء فى عصره ومدحه نذير أحمد وجعله قرينا لحالى فى شعره.

وقد ظل أسلوب شبلى وشعوره القوى فى حالة توازن وانسجام مستمر، فقد نظم القصيدة لكنه ابتعد عن المبالغة والكذب واللغو وكان عنده حمية وشعور متدقق حيث تأبى عليه غيره الراجحوت التورط فى هذه الخصال ولهذا السبب يبدو فى شعره التأثير والقوة، وفى شعره كثير من العواطف القومية والدينية وخفقت له قلوب قومه فقد كان يبكى على تدهور حال المسلمين حتى شعرت جميع الكائنات ببيكائه.

وتحت موضوع العاطفة الدينية والقومية تناول قلمه مئات المسائل والموضوعات من «عدل جهانكبير» حتى «مسجد كانپور» وصاغا فى قالب شعرى جذاب وكان لديه مقدرة فائقة على تصوير الحقائق والوقائع، ولو قمنا بدراسة تفصيلية لشخصية شبلى لساد عندنا الاعتقاد بأن قلب شبلى يمتلىء بحماس هادر وإيمان قوى بخدمة الإسلام والمسلمين وهذا ما دفعه إلى نظم مثل هذه القصائد الخالدة التى لاتزال تتردد على اللسنة حتى الآن وقد منح شبلى الطابع العالى للموضوعات الطارئة فى الشعر الأردى، فعندما تناول قلمه موضوع حرب البلقان عام ١٩١١ م نظم أشعار مؤثرة خفقت لها قلوب المسلمين، يقول فى قصيدة مشهورة له فى الشعر السياسى فى قالب الغزل رديفها «كبتك» أى «إلى متى»<sup>(١)</sup>:

\* زالت الدولة فيالى متى يبقى الاسم، وإلى متى يرتفع الدخان من مصباح الحفلة المنطفى؟

\* ولو أن الفلك مزق عباءة الدولة إربا إربا، فيالى متى ستطير هذه القطع الممزقة فى فضاء السماء؟

چراغ كشته محفل من انهم كادهوان كبتك  
فضائى آسمانى مين آرين كى دهجيان كبتك

(١) -حكومت پرزوال آياتويهى نام ونشان كبتك  
قباى سلطنت [ كرفلك فى كرديعى پُر ب

- \* إن مراکش قد انتهت وضاعت فارس، فإلى متى يعيش المريض التركي عنيد الروح؟
- \* وسيل البلاء الذى يأتى متدفقا من البلقان، إلى متى يمنعه دخان آهات المظلومين؟
- \* والجميع شاهدون لرقصة المذبوح، فإلى متى نريهم الشهيد المحتضر.
- \* إن اولئك الناس يستمتعون بانات المظلومين وبكائهم، فإلى متى سيسمعهم اليتيم العاجز هذا للحن؟
- \* فليسأل سائل يا أساتذة الحضارة الإنسانية، إلى متى تستمر هذه المظالم وإلى متى تستمر هذه الفتن؟
- \* وإلى متى يستمر طوفان الظلم والبلاء الهادر، وإلى متى التمتع بالضجيج والآهات المثيرة للشفقة؟
- \* إننا نعترف إنكم تجربون سيوفكم الحادة، لكن إلى متى سيجرى تجربتها على رقابتنا؟
- \* وإذا ما تنزهتم فى حديقة الدم، فإلى متى نريكم جروحنا الدامية؟
- \* نحن نعترف أنكم تريدون أسبابا لإشعال المحفل، نريها لكم ولكن إلى متى نريكم فتنة العويل والآهات؟
- \* ونعترف بأنكم تسلون قلوبكم بقصة الحزن هذه، فإلى متى نظل نسمعكم قصة الأمانا؟

که جیشابه ترکی کامریض سخت جان کبنتک  
اسی روک کامظلومون کی آمون کادهوان کبنتکی  
یه سیران کودکھائیگا شهید نیم جان کبنتک  
یه راکدان کوسنائی گایتیم ناتوان کبنتک  
یه ظلم آرائیان تا ک، به حشر انگیزبان کبنتک  
یه لطف انگیزی بنگامه آه وفسان کبنتک  
هماری کردونون پر موکا اس کا امتحان کبنتک  
توهم دکھلاہین تم کوزخمہائی خونچکان کبنتک  
دکھائین ہم تمہیں ہنگامہ آہ وفسان کبنتک  
سنائین تم کو اپنی دردوں کی داستان کبنتک

(۱) -مراکش جاچا فارس گنیا اب دیکھناہ ب  
یہ سیلاب بلا بلقان سی جویرہ ہتا آتہ  
-یہ سب ہین رقص بمل کاتماشا دیکھنی والی  
-یہ وہ ہین نالہ مظلوم کملی جن کو بہائی بہ  
-کوئی پوجھی کہ اب تھذیب انسانی ک استافو  
-یہ جوش انگیزی طوفان بیداد وبلاتاک  
-یہ مانام کوتلواریون کی تیزی آزمانی ہ  
-خنگارستان خون کی سیر کرتی نی نہین دیکھی  
-یہ ماناکرمی محفل ک سامان جاہین تم کو  
-یہ ماناقصہ غم سی تمہاراجی بہلتا ہ

- \* نحن نعتزف أنكم تشكون للفلک من الجذب، فإلى متى نرؤى حقولکم بدمائنا؟
- \* إنکم فى حاجة إلى مسحوق الذهب للنشر على عروس الحظ، فإلى متى تقوم ذرات ترابنا بعمل مسحوق الذهب؟
- \* وإلى متى سنتنقمون منا نعمة للفتح الأیوبى؟، وإلى متى ستعرضون علينا مشهدا للحرب الصليبية؟
- \* وبعد ما اعتبرتمونا كآثار الأسلاف الباهتة، فإلى متى ستمحون أسماءنا وآثارنا هكذا؟
- \* إن زوال الدولة العثمانية هو زوال للشرع والدين، فإياها الاعزاء إلى متى التفكير فى الأهل والعیال والأسرة.
- \* بالله هل عرفتم أنتم ما هذه الاستعدادات؟ وإن لم تفهموا الآن کم يستغرق فهمکم لهذا اللغز.
- \* ولو رحل عن الدنيا عباد تراب الكعبة، فإلى متى يظل احترام سجدة المقدسين؟
- \* ولما يدوى العالم من ضجيج صوت ناقوس الكنيسة، فإلى متى تبقى نعمة التوحيد والآذان الجميل؟
- \* لقد تبعثرت أوراق الدفتر الإسلامى، فإلى متى ستهب عواصف رياح الكفر العاتية؟
- \* أخاف أن تصل الرياح العاتية إلى كنف الحرم، وإلى متى هذه السخرية بلا حدود لغبار الكفر؟

هم اپنى خون سى سينچين تمهارى كهتبان كبتك  
همارى ذره هاى خاك هون كى ررفشان كبتك  
دكهاؤكى همين جنگ صليبي كاسمان كبتك  
متاؤكى همارا اس طرح نام ونشان كبتك  
عزيز وفكر فرزند و عيال وخاتمان كبتك  
هم سمجى اب تويهره سمجره كتم به چستان كبتك  
تويهره احترام سجده گاه قدسيان كبتك  
تويهره نغمه توحيد وگلبانگ اذ ان كبتك  
جلين كى تند، باد كفركى به آندهيان كبتك  
غبار كفر كى به محابا شوخيان كبتك

(١) - به مانا تم كوشكوه به فلك سى خشك سالى كا  
- عروس بخت كى خاطر تمهين دركار ه افشان  
- كهان تك لو كهم سى انتقام فتح ايوبي  
- سمج كويه كه دهند لى به نشان رفتكان هم هين  
- زوال دولت عثمان زوال شرع وملت ه  
- خدار اتم سمجى بهى كه به تياريان كياهين  
- پرستانان خاك كعبه دنيا سى اكراهى  
- جوگونج انتهى كا عالم شور ناقوس كليساسى  
- بكهرتى جاتى هين شيرازه اوراق اسلامى  
- كهين ار ط كرنه دامان حرم كويبهى به جهوائى

\* إن الصيادين ينظرون إلى صوب الحرم أيضاً، فإلى متى يبقى عش طيور الحرام؟

\* ولو نخرج مهاجرين فأين نهاجر يا شبلى؟، وإلى متى يبقى الأمن والأمان في الشام ونجد والقيروان؟ (١)

ولم تكد جروح قلوب المسلمين من حرب البلقان تندمل حتى تفجرت أحداث مسجد كانپور الدامية فأضافت جروحا غائرة أخرى إلى جروح المسلمين وثار المسلمين في أنحاء الهند وتحركت قرائح الشعراء ونظم شبلى على الفور قصيدة «هم كشتگان معركة كانپور» أي نحن قتلى معركة كانپور «فجاءت ترجمانا صادقا لمشاعر المسلمين وتتكون من بندين، الأول رديفه «هين» والثاني رديفه «ه». يقول:

\* بالامس عندما وقع نظري على بضعة جثث بلا روح، ورايتهم على كشب وجدتهم  
مثنخين بالجراح.

\* وبينهم بعض الاطفال الصغار الصامتين، ولكن طفولتهم تقول بانهم ابرياء.

\* لقد جئنا لنبنى بيت الله، فغالبا النور ونحن في انتظار نفخ الصور.

\* وهناك بعض الشباب المنتشى بنشوة الصبا، على الرغم من أنهم في الظاهر ذوو عقل  
وشعور.

\* وإن شبابهم المبكر يقول بلاريب، ليس هناك أي مجرم لكننا مجرمون.

\* لقد صددنا ضربات الرماح بصدورنا، مع أننا في نشوة خمر الدلال والغرور.

\* نستطيع أن نقطع رءوسنا بأيدينا، لأننا غارقون بلذة تذوق القلب غير الصابر.

توپهر سمجھو کہ مرغان حرم کا آشیان کینک  
کہ آب امن وامان شام ونجد وقیروان کینک

دیکھا قریب جاگ تو زخمیوں چور ہین  
پچین بہ کہہ دھاہ کہ ہم بی قصور ہین  
نہند آکشی ہ منتظر نفخ صور ہین  
ظاہر مین گرچہ صاحب عقل وشعور ہین  
مجرم کوئی نہین بہ مکرہم ضرور ہین  
ازبسکہ مست بادہ نازو غرور ہین  
لذت شناس ذوق دل ناصب سور ہین

حرم کی ست ہی صید افکنوں کی جب نکامین مین  
جو ہجرت کر کہ ہی جائین تو شبلی اب کھان جائین  
(سید سلیمان ندوی: حیت شبلی: ۵۹۳: ۵۹۴).

(۱) - کل مجھ کوچند لاشہ بی جان نظر بر ط ی  
- کچھ طفل خوردسال ہین جوچ ہین خودمکر  
- آئی نہی اسفلی کہ بنائین خدا کا کھر  
- کچھ نوجوان ہین بی خیر نشہ شباب  
- انہتا ہوا شباب بہ کہنات بی دریغ  
- سببہ بہ ہم نی روک لی برجھیوں کہ وار  
- ہم آپ اپنا کات کہ کھدیہ ہین جوسر  
(سید سلیمان ندوی: حیت شبلی: ۶۰۵: ۶۰۶).

- \* وعندما سألت من أنتم؟ ارتفع هذا الصوت، نحن قتلى معركة كانپور.
- \* إن المساجد في حاجة إلى البوليس للحراسة، وهذا من كرمكم فجعلتم الله يشكركم.
- \* فما العجب أن ينبعث هذا الصوت من كل طريق عام الآن، أنا أيضاً في حاجة إلى دورة مائة على الأقل.
- \* وعلماء الدين يلبسون السلاسل، وهذه الزينة من ميراث السيد سجاد عالي الشأن (زين العابدين).
- \* ولو أن هناك عشرة أو عشرين قتلى بالخنجر، فإنني في هذه الحالة أشكو من ضعف سواعد القاتل.
- \* وسوف يستخدم قطرات دماء شهداء الوفاء، لأن عروس المسجد الجميلة في حاجة إلى مسحوق الذهب لينثر عليها.
- \* ولا عجب في أن الشباب الصغار قد قدموا أرواحهم فداء قبل الجميع، وهؤلاء الصغار متعودون على النوم مبكراً.
- \* وتنبعث الأصوات من تراب شهداء الوفاء، بأن شبلي موجود في بومباي ومحروم من هذه السعادة<sup>(١)</sup>.

وكان شبلي قد نظم هذه القصيدة «مسجد كانپور» في أغسطس ١٩١٣ ونشرت في صحيفتي «الهمال» بكلكتا، و«همدر» بدلهي في وقت واحد ثم نشرت بعد ذلك في صحيفة «زميندار» لاهور وأحدثت وعيا ساسيا وقوميا عارما في جميع أنحاء الهند وكانت بمثابة أداة ضغط على الحكومة الإنجليزية التي استجابت في النهاية لمطالب المسلمين. وهكذا يتضح أن الشعر السياسي لشبلي يعد ثروة عظيمة للدين والوطن ويفخر به الشعر الأردى.

هم كشتگان ممركة كانپور... هين  
خدا اکو آپ نی مشکور فرما یاعنایت ه  
مجه بھی کم بی کم غسلخانہ کی ضرورت ه  
یہ زیور سید سجاد عالی کی درارنت ه  
تومجه کوستی یازد قاتل کی شکایت ه  
عروس مسجد زیباکو افشان ضرورت ه  
بہ بیج هین سویرہ ان کوسوجانی کی عادت ه  
کہ شبلی بمبیء مین رہ کہ محروم سعادت ه

(١) -پرچیا جرمن نی کون ہو تم؟ آئی بہ صدا  
-مساجد کی حفاظت کہ لی پولس کی حاجت ه  
-عجیب کیاہ کہ آب ہرشاہراہ سی یہ صدا آئی  
-پنہائی جاری هین عالمان دین کوزنجیرین  
-بھی دس بیس آکر هین کشتگان خنجر اندازی  
-شہبدان وفاک قطرہ خون کام آئین کہ  
-عجب کیا بہ جونوخیزون نی سب پہلی جانین دین  
-شہبدان وفاکی خاک سی آئی آوازیں



\* فلو فهم أحد ثورة الإسلام الثائرة فأنتم الذين فهمتم، إنكم قد رأيتم مجانين ليلى الإسلام.

\* ولو بقى هناك شىء من الأمل، بأنكم أنتم الذين رأيتم رموز القوة الخفية.

\* فلا عجب إن السفينة الغارقة تطفو مرة واحدة بعد الغرق، وإنما قد رأينا انقلاب السماء الدائرة هكذا.

\* لو ينال القبول عند الله دعاء المستين، فهذي هى يد الدعاء وهذا هو شبلى النعمانى. (١)

وفى الحقبة الزمنية التى عاش فيها شبلى كان هناك فى الساحة السياسية فى الهند حزبان يتصارعان للفرز بتأييد الشعب لهما وبصفة خاصة تأييد المسلمين لهما، وهذان الحزبان هما «كونجرس» أى حزب المؤتمر وكان ذا أغلبية هندوسية وله اتجاه علمانى ورغم ذلك أيدته كثير من كبار رموز المسلمين وعلى رأسهم شبلى النعمانى ومولانا أبو الكلام آزاد الذى رأس هذا الحزب فترة من الفترات. والحزب الثانى «مسلم ليگ»، أى الرابطة الإسلامية وكما يبدو من اسمه فكان له ميول قومية إسلامية بحتة. وبالرغم من أن شبلى كان مؤيداً لحزب المؤتمر الهندى إلا أن هذا التأييد لم يمنعه من إبداء النصيح للمسلمين المؤيدين لحزب الرابطة الإسلامية. ونظم عدة قصائد نبه فيها المسلمين إلى الأخطاء التى يرتكبونها لعدم تفرسهم بالحياة السياسية وكان يعتبر الرابطة الإسلامية تسير فى فلك السياسة الإنجليزية، ومن هذه القصائد فصيدتان، الأولى بعنوان «طمطراق ليگ» والثانية بعنوان: «مسلم ليگ» وفيما يلى مقتطفات من القصيدة الأولى «طمطراق ليك» أى عنفوان أو سوءدد الرابطة الإسلامية. يقول:-

كه هم نى لىلى اسلام ك مجنون بهى ديكهى هين  
نو هم نى وه رموز قوت مكنون بهى ديكهى هين  
كه هم نى انقلاب چرخ كردون بوم بهى ديكهى هين  
تواب دست دغا ه اوربه شبلى نعمانى

(١) -جنون جوش اسلامى كوئى سمجھانوم سمجھى  
-سھارا ه اكراميد كا اب بهى كوئى باقى  
-عجب كباھ بيرءا عرق هوكرههرا جھل آئى  
-دعائى كهنه سالان به اكر مقبول بزدانى

(سيد سليمان ندوى: حيات شبلى: ٥٥٩)

- \* لاینکر اُحد جبروت الرابطة الإسلامية وعظمتها، فلها ضجيج وجلبة فى البلد .
  - \* وهى محط كرم أنظار الحکام المحظوظین أيضاً، وقد تولتها الحكومة بعین الرعاية .
  - \* وليس هناك اُحد إلا وهو اسیر لهذه الحلقة القومية، ففيهم الزهاد وفيهم شاربو الخمر .
  - \* وكرمها حسب قدرة طالبها، فهناك الخمر الصافية وهناك ثمالة الكأس أيضاً .
  - \* وخلاصة القول لو تسألون عن فضائلها، فهى تخدم القوم وخادمة للحکام أيضاً .
  - \* فلها علاقة بالحكومة والوطن معاً، مثلها كمثل قاعدة الإدغام فى الصرف .
- وفيها البعض حاصلون على شهادة الليسانس فى العلم والعمل، وهناك بعض المساعدين وبعض الناس فى حلقة الخدم .
- \* ولو يقصدون السياحة والنزهة أيام الإجازة، فهناك المال للسفر فى الدرجة الأولى الممتازة .
- \* لكن قل لى فى أذنى بصوت خافت، هل أنت تقوم بأى عمل طوال السنة؟<sup>(١)</sup>

ملك مين غلغله هـ شور هـ كهرام بهى هـ  
 نظر لطف رئيسان خوش انجام بهى هـ  
 اس مين زهاد بهى هين رند آشام بهى هـ  
 باده صاف بهى هـ دردنه جام بهى هـ  
 محسن قوم بهى هـ خادم حكام بهى هـ  
 جس طرح (صرف) مين ايک فاعده ادغام بهى هـ  
 کجهم استنت هين کجه حلقه خدام هـ  
 سفر درجه اول کلى دام بهى هـ  
 سال بهر حضرت والا کوکوى کام بهى هـ

(١)- ليک کى عظمت وجبروت انکارنهين  
 - کوورنمت کى بهى اس به عنایت کى نگاه  
 - کوکوى به جوننهين اس حلقه قومى کا اسير  
 - فیض اس کاه باندازة طالب، يعنى  
 - مختصر اس ک فضائل کوجو پوجهم توبه هين  
 - ربط ه اس کوکورنمت سى بهى ملک سى بهى  
 - چند بى اى هين سند يافتنه علم وعمل  
 - هوجو تعطيل مين تفريح وسياحت مقصود  
 - مجهرسى آ هسته مرب کان مين ارشاد هويه

(على جواد زیدی: اردومین قومی شاعری کسوسالہ - اترپردیش - الہ آباد - ۱۹۵۹ م ص: ۱۲۱-۱۲۲).

ثم يقول فى القصيدة الثانية «مسلم ليگ» أى «الرابطة الإسلامية»:-

\* عندما رأت الرابطة الإسلامية أن الناس ينفضون من حولها، لبست ثوباً جديداً بطريقة أخرى.

\* إنهم يخاطبون الناس على الملا، بأنه لامفر لنا الآن إلا الحكم الذاتى.

\* ولكن هناك ميزة فى هذه الكلمة، التى يتفق عليها جميع أرباب العقول.

\* وهى أن الحكم الذاتى هو الحكم الذى يكون مناسباً، وبعبارة أخرى يكون ملائماً ومقبولاً.

\* فالحكومة التى تناسب دولة كندا، تلك الحكومة هى أساس الشرفى الهندى.

\* نحن فى الدولة وهناك هندوس ومسيحيون أيضاً، وهم بمثابة الورق والشمار لنخل الحكومة.

ورأى بعض زعماء المسلمين أن يقوموا بالتقريب بين وجهتى نظر المسلمين والحكومة الإنجليزية ولهذا قام حزب الأحرار فى ٢٥ أبريل ١٩١٤ بإعداد وفد للذهاب إلى نائب الملكة فى الهند، فذهب الوفد وقابل نائب الملكة وقدم له عريضة شكر وأكد له على وفاء المسلمين لهم وشكره على إنهاء قضية مسجد كانپور وفى نفس الوقت اختلفت مجموعة أخرى من حزب الأحرار على منهج الوفد فرفضوا المشاركة فى الوفد. وقد نظم شبلى هذه القصيدة فيما يتعلق بهذه الواقعة وسماها «تفرقة حق وباطل» أى «التفريق بين الحق والباطل».

اك نيا روپ بهرا اس نى بانداز دگر  
كه نهين سلف گورنمنت سى اب هم كومفر  
حبس سى هين متفق اللفظ سب ارباب نظر  
ياكه موزون ومناسب هو بالفاظ دگر  
ه وهى مملكت هند مين سرمابيه شر  
جوکه هين نخل حکومت کيلى برگد وثمر

(١)-ليگ کوجوب نظر آباکه چلى هاته سى قوم  
-منظر عام به لوگون سى کيا اس نى خطاب  
- اک ذراسى مگراس لفظ مين تخصیص بهى ه  
-يعنى وه سلف گورنمنت کوهو «سوت ايبيل»  
-جس حکومت که کناد کيلى ه موزون  
-ملك مين هم بهى هين هندو بهى هين عيسائى بهى  
(على جواد زیدى: قومى شاعرى ١٢٣-١٢٤).

يقول:-

- \* إن طريقة الاحرار ومدعو الوفاء كلاهما مختلف عن الآخر.
  - \* لأن منتهى نظرهم مختلف عن الآخر، وأسلوب بيان كل واحد منهما متباين تلقائيا .
  - \* ومع هذا لم يكن واضحا التمييز بين الحق، ولم يكن واضحا من المختلف، واين الاختلاف .
  - \* وقد كشفت جمعية دهلى هذا الستار، حينما قامت معركة الامتحان منفصلة .
  - \* والآن اتضح الفرق بين الحق والباطل، والآن الربيع شىء والخريف شىء آخر.
  - \* وخرجت شمس الصدق من الكسوف، والآن شمع القلب المضى شىء والدخان شىء آخر.
  - \* ولم يعد الآن هذا الاختلاط بين الخمر الصافية والثمالة، والذين ضلوا الطريق شىء والقافلة شىء آخر.
  - \* والناس الذين يعتبرون متاعهم ثروة التملق، فإنهم سيفتحون فى الوطن دكانهم منفصلا عن الآخر.
  - \* وهذه قصة مختصرة لمحفل البارحة، وسأسمع هذه القصة فى «الهلال» برواية أخرى<sup>(١)</sup>.
- وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م تعددت الآراء وتباينت بين مؤيدين ومعارضين للدول المشتركة فى هذه الحرب، وكان لشبلى رأى فى هذه الحرب

دونون كا ه طريقه سود وزبان الك  
ه خرد بخرد براك كا طرز بيان الك  
كهلنا نه نهاكه كون الله به؟ كهان الك  
قائم بوا جو معركة امتحان الك  
اب فضل نوبهار الك به خزان الك  
اب شمع دل فرور الك ه دهوان الك  
كم كشتگان راه سى ه كاروان الك  
كهولین گ اب وه ملك هین اپنی دكان الك  
سنیء گا «الهلال» مین به دامستان الك

(١) احرار اور مدعیان وفا هین اور  
-دونون كا منتهائی نظر ه جو مختلف  
-اس پر بهی صاف صاف نه نها امتیاز حق  
-دهلى كى انجمن نى وه پرده انه اديا  
-اب صاف هوگیا، حق وباطل كا امتیاز  
-اب آفتاب صدق كهن س نكل كبا  
وه اختلاط دردونه صاف اب نهین  
-جو لوگ هین متاع خورشاد ك مابه دار  
-به مختصر فسانه بزم شبینه ه

(المرجع السابق: ١٢٦ وحيات شبلى: ٦٣٢).

فاظهره شعرا على هيئة حوار ساخن بينه وبين رجل ألماني.

يقول سيد سليمان الندوى فى كتابه «حيات شبلى» إن هذه القصيدة كانت شديدة النقد للمتحاربين حتى أن الحكومة الإنجليزية أصدرت حكما بالقبض على شبلى إلا أن وفاته حالت دون تنفيذ هذا الحكم» (١)

وقصيدة شبلى هذه تحت عنوان «پهلى جنگ عظيم اور هندستانى» أى «الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر هندی»:-

- \* قال لى رجل ألماني على سبيل الغرور ، إن النصر ليس سهلاً ولكنه صعب أيضاً .
- \* إن جيش بريطانيا يقل عن مليون، والطف مافيه أنه غير مستعد أو جاهز .
- \* أما فرنسا فهى كالرند الأزلى، وهى لاتعرف قوانين الحرب أيضاً .
- \* فقلت إن ادعاءك بسبب الغرور وهو خاطئ، وأنت لست مجنوناً ولست عاقلاً أيضاً .
- \* نحن معشر الهنود عشرة أضعاف الألمان، أليس عندك التمييز بين القليل والكثير .؟
- \* فسمع كلامى بتمعن، ثم قال قولاً لا يليق بالبيان .
- \* يارب لماذا لا يموت أحد على سجيته البسيطة، إنهم يقاتلون وليس فى أيديهم سيف . (٢)

وبعد أن ترك شبلى «ندوة العلماء» تدهور أحوالها وتوقفت معظم المساعدات عنها واعترضت إدارة التعليم الحكومية على أعمالها، وعندما رأى شبلى هذه الحالة المتردية التى ألت بالندوة تألم ألماً شديداً، ونظم قصيدة طويلة عن أحوال «الندوة وطرق إصلاحها كما شرح فيها منهج حزب على كَرَط» ورغم أنه ترك العمل تحت لوائه . وقد

(١) سيد سليمان ندوى : حيات شبلى: ٦٣٧ .

آسان نہین فتح تودشوار بہی نہین  
اور اس پہ لطف یہ کہ تیار بہی نہین  
آکین شناس شہسوار بہی نہین  
دیوانہ تونہین ہر ہوشیار بہی نہین  
پہر وہ کہہ جولاٹق اظہار بہی نہین  
لرئی ہین اورباتہ مین تلوار بہی نہین

(١) اک جرمنی نی مجھ سی کہا ازہر غرور  
بریطانیہ کی فوج ہی دس لاکھ بین بہی کم  
باقی رہا فرانس تووہ رند لم یزل  
میں نی کہا غلط ہی تراد عوٹی غرور  
منتاربا وہ غورسی میرا کلام اور  
«اس سادگی بہ کون نہ مرجائی ان خدا

(على جواد زیدی: اردو مین قومی شاعری ک صدسالہ ١٢٧: سيد سليمان ندوى: حيات شبلى: ٦٣٧ .)

انشد شبلی هذه القصيدة فى الجلسة التى أقيمت فى دهلى فى ١٠ مايو ١٩١٣م.  
يقول:-

\* ما لطف حماة الندوة الآن، أولئك الناس الذين كانوا يتجنبون اسمها.

\* أولئك الناس الذين يرون أن هذه الندوة المسكينة خيال سخيّف أو أنها كانت حلما.

\* أولئك الذين كانوا يرون أن طريقه التعليم فيها، بمثابة حرب ضد السير سيد أحمد خان.

\* أولئك الذين فى آرائهم أن هذه الندوة الحقيرة، كانت سدا منيعا للتعليم الغربى.

\* أولئك الذين كانوا (يتلون) من الألم باسم الندوة، لقد كانت بالنسبة لهم سببا فى العذاب.

\* والامر المشير للحيرة أن هذا الاجتماع فى دهلى لهذه الجماعة كان نائبا لحل مشاكل الندوة.

\* ولو أن شخصا نقد الندوة، لكان هدفا لعتاب هذه الجماعة الطيبة.

\* ولو يذكر أى نقص فى الندوة، فإنه يواجه بمائه إجابة من ناحيتهم.

\* والسائرون فى فلك على كَر ط ه فى المقدمة، فإنه لو أى قمر فيهم لصار شمسا (١).

جن كركه اس ك نام سى بهى اجتناب نها  
اك بهيده خيال نها يا آنكه خواب نها  
اعلان جنك سيد على جناب نها  
تعليم مفرى كىلى سد باب نها  
سرنا قدم فریب ده شیخ وشاب نها  
جن كىلى وه مـوجب رنج وعذاب نها  
ندوه كـ حل وعقد كـنائب مناب نها  
وه اس كـروه پاك كا وقف عتاب نها  
ان كى طرف سى ايك كاسو سو جواب نها

(١) - كىابه لطف ه كه حاسى، ندوه هین اب وه لوگ  
- لوگ جن كى رات مین به ندوه غـریب  
- وه لوگ جن كى رات مین تعلیم كـایه طرز  
- وه لوگ جن كى رات مین به ندوه حـقیـر  
- وه لوگ جن كى رات مین ندوه كـایه طلسم  
- ندوه كـانام سن كـ جو كـهائى تهى پیچ وتاب  
- حـیرت به ه كه مجمع دهلى مین به كـروه  
- ندوه به حرف گـیر جو هوتا نها كوئى شخص  
- ندوه مین كوئى نقص بنانا اكـركوئى

- \* وكان جميع شاهدي الحفل فى حيرة من أمرهم، أى سحر هذا؟ وما هذا الانقلاب؟
- \* أين الندوة من مجلس على كَرط هه أنى لهذه الجماعة أن تدخل فى هذا الانقلاب؟
- \* متى كانت هذه الصداقة؟ وفى أى وقت ينشأ هذا الارتباط؟. وفى أى وقت كان هذا موردا لهذا الكرم الفياض؟
- \* وهذا الامر لا يلىق بالإشادة بأن الندوة الغربية، التى كانت منذ زمان موردا للغضب والعتاب.
- \* الآن أولئك الناس متحمسون لحماية الندوة، وكانوا يتجنبون ذكرها أيضاً.
- \* هذا بغض معاوية وليس هذا حب على، وكل واحد كان على لسانه هذا الخطاب الذى هو فصل الخطاب.
- \* وهذه القصة الشائقة لم تكتمل بعد، وكل الذى قصصته كان بداية الباب فقط<sup>(١)</sup>.

جن مين كوئى قمر نها كوئى «انتاب» نها  
يعنى به كيا طلسم نها؟ كيا انقلاب نها؟  
اس بزم قدس مين به كهان بارياب نها؟  
يون كب وه مورد كرم بى حساب نها  
جرمدتون سى مورد خشم وعنتاب نها  
جن كوکه اس ك ذكرسى بهى اجنتاب نها  
ايك ايک كى زبان به يد فصل الخطاب نها  
جرکجهه بيان هراه به آغاز باب نها

(١) -سيارگان چرخ على كَرط هه نهى پيش پيش  
-حیـرت مين نهى تمام تما شائبان بزم  
-ندوه كهان وه على كَرط هه كى انجمن  
-كس دن كى دوستى بى به كب كا هه ارتباط؟  
-شایان آفرین بى وهى ندوهه غریب  
- سرشار بى حمايت ندوهه مين وه كروه  
- بغض معاوية هه به حب على نهين  
- به قصصه لطيف بهى ناتمام هه  
(سيد سليمان: حیات شبلى: ٦٦٣-٦٦٤).

## \* ثالثاً: الشعر العربي

وكما مر بنا في سيرة شبلى النعمانى فإنه قد أتقن اللغة العربية منذ صباه وكتب بها مجموعة من الرسائل الدينية منها «إسكات المعتدى على إنصات المقتدى» وألف بها كتابيه «الجزية» والانتقاد على التمدن الإسلامى لجورجى زيدان وكانت له عدة خطب ورسائل وتقارير باللغة العربية. وبالنسبة للشعر العربى فقد كان شبلى متذوقاً له ثم درسه بتمعن على يد أستاذه فيض الحسن استاذ الأدب العربى فى الكلية الشرقية بلاهور الذى قرأ عليه كتاب «جمهرة أشعار العرب» و«ديوان الحماسة» لأبى تمام وبعد ذلك جادت قريحته بالشعر العربى فنظم عدة قصائد من أشهرها قصيدة فى مدح السير سيد الذى أعجب بها عندما قرأها وأثنى على لغتها وأسلوبها ونشرها فى صحيفة «أخبار على غرطه گزت» فى ١٥ أكتوبر ١٨٨١م وكان شبلى آنذاك فى الرابعة والعشرين من عمره يقول:-

المجد يصحب علما حيثما يصل	والعلم عن قومنا لا زال يرتحل
نالوا عن الذل ما لانه أحد	إذ لا يرى فيهم علم وعمل
ولا تزال ترى ينشت شملهم	فى كل يوم وقد ضاقت بهم حيل
لا يرغبون إلى ما كان ينفعهم	فجل صنعتهم للغى والحطل
تراهم اليوم فى كآب وفى قلق	فلا أفاد فتيل ما به اشتغلوا
لا ينتهون وقد ذاقوا وباللهم	عن سوء صنع فقد باعوا بما عملوا
وهل يجازيهم إلا بما اكتسبوا	من كان من عنده الأحكام تنفصل
فمن سعى اليوم فى إصلاح حالهم <sup>(١)</sup>	فالله جازيه يوماً يقطع الأمل
إن كنت تسألنى من هذه <sup>(٢)</sup> صنعتم	قلت الإمام الهمام السيد البطل
هو الذى فاق فى الآفاق منزلة	ونال ما لم تنله الأعصر الأول
ومن أقبل الدين والدنيا عليه معا	والآن فى نجح ما قد رام مشتمل

(١) هذا الشطر فى الأصل هكذا «فمن سعى اليوم فى إصلاح الهم». (الباحث).

(٢) الصواب ان توضع «هذى» بدلاً من «هذه» لكى يستقيم الوزن. (الباحث).

- نال المكارم من آبائه ومشيى  
 - فجده سيد الأعراب والعجم  
 - وهكذا صنع هذا السيد العلم  
 - أحسن إليهم ولو جازوك
- فى المكرمات على آثار ما فعلوا  
 قد قال يا أمتى أمادنا الاجل  
 يقول يالهدف قومى (١) يسىء ما عملوا  
 ولا تبال بما قالوا وما فعلوا (٢)

وعلى الرغم من بعض العيوب الفنية فى هذه القصيدة إلا أنها طراز جديد من القصائد غير معهود فى الهند فى ذلك العصر، فلم يكن هناك أحد من الشعراء يحاول تقليد المتأخرين كالمتنبى وغيره. ويتضح من القصيدة أن شبلى مدح السير سيد مرتين، مدح فى المرة الأولى - نسبه وسيادته، وفى المرة الثانية مدح اعماله القومية وهذا ما كان فيه دون إسراف فى المدح على عادة الشعراء الذين يتسولون بالمدح بذل وابتذال وهذا دليل سمو خيال الشاعر وعلو همته.

(١) هذه الكلمة خطأ مطبعى والصواب « يقول يالهدف قومى يا سوء ما عملوا » (الباحث)

(٢) سيد سليمان ندوى: حيات شبلى: ١١٨-١١٩

## أساتذة شبلى

تلقى شبلى تعليمه على يد جماعة من أفضل علماء وأساتذة الهند آنذاك فشكّلوا عقله وشحذوا قريحته فى الوقت الذى كان شبلى يتمتع فيه بالذكاء الفطرى والذاكرة القوية. وفيما يلى سنذكر هؤلاء الأساتذة الذين أثروا فى فكر شبلى فصار أديباً مشهوراً:

### (١) حكيم عبد الله:

وهو أول معلم لشبلى حيث تلقى على يديه تعليمه الأولى فى اللغة الفارسية والقرآن الكرم فى قرية جيراچپور القريبة من قريته، وكان حكيم عبد الله تلميذاً للمفتى محمد يوسف الفرنج محلى ومولوى سيد نذير حسين الدهلوى وتوفى عام ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠م يقول حكيم عبد الله: «إن علامات العبقرية كانت تبدو عليه وهو فى طفولته، فقد استيقظت ذات ليلة فوجدته جالساً فى أحد الجوانب مستغرقاً فى كتابة شىء ما، وعندما سألته علمت أنه يكتب قطعة تتضمن التاريخ مع أنه كان فى مرحلة الطفولة».

### (٢) مولوى شكر الله:

قرأ عليه شبلى قصيدة وكان من سكان سيرهد فى أعظم گرّه وتلمذ على المفتى محمد يوسف وتوفى عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م وقد شهد لشبلى بالنبوغ.

### (٣) مولانا عباس چرياكوتى:

تلمذ شبلى على يديه وهو ابن الشيخ إمام على ومن أحفاد ملا باب الله جونبورى من ناحية الأم وكان من كبار المناطقة والمناظرين وشاعراً وأديباً باللغة العربية، وقد جاء ذكره فى «تذكرة علمائى حال» تذكرة علماء العصر أنه من بين أساتذة شبلى.

### (٤) مولانا هدايت الله جونبورى:

ذكر مولوى عبد الحليم شرر وكان من أصدقاء شبلى أن «شبلى قرأ فترة من الوقت على مولوى هدايت الله خان فى المدرسة الحنفية التى أقامها الإمام بخشى جونبورى بمدينة خيرآباد وقد كان هدايت الله من أشهر مدرسى خيرآباد وقد أشار شبلى فى خطابه ما يفيد ارتباطه بهذه المدرسة»<sup>(١)</sup>.

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٧٠-٧٢.

## (٥) مولانا محمد فاروق<sup>(١)</sup> چرياكوتى:

وكان مولانا فاروق فى تلك الايام مدرساً فى «جشمة رحمت» بغازى پور وذاع صيت علمه فأرسل الشيخ حبيب شبلى إلى غازى پور عند صهره مولانا كامل وليدپورى ليتلقى العلم على مولانا فاروق وأقام شبلى هناك فى أحد منازل حى الشرفاء القديم ويسمى ميان بوره. وقال عنه شبلى: «لقد قرأت عليه جميع كتب المعقولات مثل: مير زاهد وملا جلال وحمد الله وشرح مطالع صدرأ والشمس البازغة.

وتذوقت الفارسية من فيضة كما قرأت أشعار الأساتذة عليه، ولم يكن مولانا فاروق يكتفى بتعليم المنطق النظرى فحسب بل العملى كذلك فكان يدرس النسب الأربيع والقضايا والأشكال بالتدريبات «وتعلم شبلى منه الترتيب المنطقى فى الخطابه والكتابة وتدريب على المناظرات وتعلم أصول وقواعد المناظرة فى الفن والمنطق وكان لتوافق ميول الأستاذ والتلميذ دور كبير فى تقوية الرباط المعنوى بينهما وأجازه فترك الأستاذ غازى پور ورحل إلى أعظم گڑھ عام ١٢٩٠ هـ وعمل مولانا فاروق فى المدرسة العربية التى أقامها الشيخ حبيب الله، وكان شبلى تلميذاً لمأخاً ومولانا فاروق أستاذاً متبحراً فاستفاد شبلى من فيضه وكان مولانا فاروق يفخر به دائماً ويقول: «أنا أسد وأنت شبلى».

## (٦) مولانا فيض الحسن السهارنبورى:

وكان يعمل مدرساً فى الكلية الشرقية بلاهور وكان أديباً فذاً فأراد شبلى أن يعجب من فيض علمه فسافر له والتقى به وتعلم منه الأدب العربى فوصل إلى حد الكمال فى تذوقه

---

(١) مولانا محمد فاروق من مشاهير علماء عصره وهو ابن القاضى على أكبر ابن القاضى عطا رسول چرياكوتى وتلقى تعليمه على يد أخيه الأكبر عنايت رسول وتلقى تعليمه فى فن الهيئة على يد رحمت الله فرنكى محلى وأصول الفقه على يد المفتى محمد يوسف، وكان له إلمام شامل بالرياضيات والعلوم المعقولة والمنقولة والأدب والموسيقى وعمل مدرساً فى العديد من المدارس فى «جشمة رحمت» بغازى پور ثم مدرسة اعظم گڑھ ثم فى كانبور وفى مدرسة إحياء العلوم بإله آباد وعام ١٣١٧ هـ عمل مدرساً أول فى دار العلوم ندوة العلماء عندما أقيمت وفى ١٩٠٤ م ترك الوظيفة وعمل مدرساً للحكام الأجنب فكان يدرس لهم العربية وفى عام ١٩٠٩ م أسند إليه شبلى مسئولية الإشراف على الأدب فى ندوة العلماء فذهب إلى غازى پور ليحضر ممتلكاته من هناك لكنه توفى بها فى رمضان ١٣٢٧ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٩٠٩ م وله عدة رسائل منها: منظومة نحوية وفارسى خالق بارى وكشف الأفتاع عن وجوه الإمتاع وغيرها وله أشعار بالأردية منها «مسدس فاروقى» نظم فيه أحداث «حرب البقر» فى أعظم گڑھ / عام ١٨٩٣ (سيد سليمان الندوى: المرجع السابق: ٧٢-٧٣).

تذوقاً صحيحاً، وتلقى شبلى عنه الادب العربى وحفظ ديوان الحماسة وقرأ شعر المتنبي وتأثر ببلغة القرآن وفصاحته ويمكن لنا القول أن فيض الحسن هو الذى شكل ذوقه الأدبى. وتوفى فيض الحسن فى ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م.

### (٧) مولانا أحمد على المحدث السهانپورى:

وكان من أشهر المحدثين وإماماً للحديث فى عصره وتلقى شبلى عليه علوم الحديث، وقد تلقى مولانا أحمد على علوم الحديث عن الشيخ وجيه الدين صديقى السهانپورى ومولانا عبد الحى تلميذ مولانا شاه عبد القادر الدهلوى ثم شد الرحال إلى مكة المكرمة عام ١٢٦١ هـ وقرأ الحديث على مولانا شاه محمد إسحق الدهلوى المهاجر وحصل على الإجازة والسند فى الحديث ولم يكن بين علماء الأحناف فى الهند عالم يتفوق عليه فى علم الحديث، ومن أهم أعماله أنه قام بتصحيح مخطوطات الحديث بعناية فائقة وجهد جهيد حتى نشر جامع الترمذى عام ١٢٦٥ هـ وصحيح البخارى عام ١٢٦٧ هـ. ويقول شبلى «إنه قضى عشرون عاماً فى تصحيح صحيح البخارى وتحشيتة وكان نموذجاً للتواضع وتوفى فى ٧ جمادى الاول ١٢٩٧ هـ<sup>(١)</sup>.

### (٨) توماس آرنولد:

على الرغم من أن شبلى وتوماس آرنولد كانت تجمعهما علاقة صداقة واحترام وتأثر كل منهما بالآخر فأعطى له بقدر ما أعطى لشبلى، وترافقا معا فى سفر شبلى إلى تركيا والشام ومصر لكنه افترق عنه فى بور سعيد وتوجه إلى إنجلترا بينما وأصل شبلى رحلته إلى الشام وتركيا، إلا أننا نذكر آرنولد ضمن أساتذة شبلى - تجاوزاً - حيث قام آرنولد بتعليم شبلى اللغة الفرنسية إلى جانب قليل من اللغة الإنجليزية وقواعد البحث الأوربى وأصول التحقيق الحديث، وقد درّس آرنولد لشبلى اللغة الفرنسية من كتاب سيديو «تمدن اسلام» أى الحضارة الإسلامية على ظهر السفينة كما اعترف شبلى بذلك فى «سفر نامه»<sup>(٢)</sup> وأشار إلى ذلك فى قصيدة «سفر روم» يقول هذا المصراع:-

- «آرنولد آنكه رفيق است، وهم استاد مرا»<sup>(\*)</sup> ويجب أن نشير هنا إلى أن شبلى علم آرنولد اللغة العربية.

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٨٠-٨٦.

(٢) شبلى: سفر نامه: ١١-١٢.

(\*) «آرنولد ذلك الرفيق وهو استاذى أيضاً».

## شخصيته .. أخلاقه وعاداته

نشأ شبلى فى أسرة ميسورة الحال لم يشك من شظف العيش فى طفولته كما لم يشقه العوذ فى شبابه فشبه فى راحة ويسر وتعلم مبادئ دينه الأولى عن والديه فكان متديناً ورعا منظماً فى أعماله وأوقاته مهندياً فى لباسه، ونتيجة لهذه البيئة الرغدة التى عاش فيها شبلى كان من الطبيعى أن يميل إلى الغرم بالمال والجاه والشهرة حيث ولد لأب من الاقطاعيين، وكان أبوه وأخوه مولوى مهدي حسن من كبار المحامين بأعظم گرطه وتقلد أخوه وأقاربه أعلى الوظائف الحكومية وعاشوا فى قصور وضياع كالإنجليز، وقضى ستة عشر عاماً فى على گرطه التى كان يجتمع بها جميع مظاهر الجاه والأبهة وعاش كذلك فترة من حياته كالأمراء فى حيدر آباد ورغم هذا كله لم يمل شبلى إلى حياة الدعة والترف وآثر أن يخوض غمار الحياة معتمداً على نفسه فى كل شىء فعمل فى بداية حياته محامياً براتب ضعيل سرعان ما تركها لانه كان يخشى أن يتقيد بقيود الوظيفة فلا يستطيع أن يحقق مشروعاته الثقافية التى كانت تعتمل فى مخيلته من جانب وعدم اقتناعه بهذه المهنة من جانب آخر لأنها لا تتفق وميوله الأدبية والدينية، وكان قنوعاً حيث بدأ حياته فى على گرطه بأربعين روبية فى الشهر زادت إلى مائة روبية خلال رحلة عمله فى الكلية التى قاربت ستة عشر عاماً، وعاش بهذا الراتب الضئيل حياة بسيطة هادئة إلى أن تلقى راتباً شهرياً من حكومة حيدر آباد قدره مائة روبية تشجيعاً لجهوده الأدبية والعلمية ومن العجيب أنه استطاع سداد دين كبير على أبيه بعد وفاته ورفض أن يأخذ من أسرته ماله من عقارات تركها لهم الأب الشيخ حبيب فعاش شبلى كما يعيش أواسط الناس ورفض أن يأخذ حقوقه من تأليف الكتب فأهداها إلى كلية على گرطه وندوة العلماء وإدارة العلوم والفنون فى حيدر آباد.

كان شبلى مرهف الحس شديد التأثر بما حوله وعندما جاء إلى على گرطه لم يناسبه جوها فمرض وذهب إلى كشمير للعلاج والاستجمام بعد ذلك كان يقضى عدة شهور فى العام فى بومباى لاعتدال مناخها.

وكان شبلى كغيره من العلماء القدماء يتميز بخاصية الاستغناء والترفع والأنفة فبعد أن انفصل من كلية على گرطه بعدة أيام عرض عليه الأمير عبد الرحمن خان والى كابل مبلغ عشرة آلاف روبية مقابل ترجمة كتاب مقدمة ابن خلدون إلا أنه رفض هذا العرض

كما رفض كذلك أن يتولى مهمة الإشراف على « دار الترجمة » التي أنشأها هذا الأمير، وفضل أن يوجه جهوده لخدمة ندوة العلماء التي وهب حياته ومؤلفاته ومكتبته لها، ولم يكن يطمع في الهيمنة عليها كما روج لهذه الفكرة أنصار حركة علي گرٹھ والسير سيد أحمد خان الذين رأوا أن رئاسة شبلي لندوة العلماء هذه المؤسسة التعليمية الكبيرة تقليد لرئاسة السير سيد لكلية گرٹھ ومنافسة لها والدليل على دحض هذه الفكرة ما أسداه شبلي للندوة من خدمات بعد أن ترك رئاستها<sup>(١)</sup>.

وكان الإباء والاعتداد بالنفس أهم سمات شبلي لذا حظى بمكانة مرموقة بين أصدقائه، حيث كان السير سيد ونواب محسن الملك ومولوى سميع الله خان يبجلونه ويقدرونه حق قدره، وبناء على هذا كان شبلي يكره الوظيفة ويرغب فى التحرر من قيودها لان التقييد بها لا يتيح له فرصة الحياة العلمية والقومية الخالصة وعندما قبل الوظيفة فى حيدر آباد فى وقت من الاوقات كان مضطراً لتسديد ديون والده وترك الوظيفة بمجرد أن انتهى من سداد الديون<sup>(٢)</sup>.

وفى أيام شبلي كان الشعراء يمدحون أمراء الممالك والإمارات الآسيوية وينالون منهم العطاء الوافر وهى عادة قديمة توارثتها هذه الإمارات المحلية، وكان شبلي فى ذلك الوقت شاعراً كبيراً فى الفارسية إلا أنه رفض هذا الأسلوب المبتذل من الشعراء على الرغم من أنها كانت وسيلة للنجاح والشراء، فلم يمدح إلا الامراء الذين قدموا خدمات جليلة للمسلمين مثل أميرة بهوبال وأمير حيدر آباد والمهراجا سرکشن برشاد وعندما كان شبلي يقوم بعمل قومى كان ينفق عليه من ماله الخاص فلما عاد من رحلته إلى مصر والشام وتركيا أرادت إمارة بهوبال أن تدفع له نفقات هذه الرحلة العلمية إلا أنه رفض ذلك كما رفض اقتراح نواب على حسن خان بدفع مصاريف مؤتمر المستشرقين فى إيطاليا الذى كان يزمع المشاركة فيه وهذا الاستغناء منعه من الإقامة فى قصور أصدقائه فى لكناو وبومباى وغيرها فكان يقيم فى الفنادق<sup>(٣)</sup>.

وتربى شبلي على الأمانة والصدق لهذا رفض العمل بالمحاماة واعتبر هذه المهنة لا تتناسب مع ميوله الفطرية فى الصدق والأمانة فكان يكره المبالغة والكذب ويحترز من

(١) مهدي افادى: افادات مهدي: ١٧-١٨.

(٢) محمد واصل عثمانى: شبلي ادبيون كى نظرمين: ١١٢.

(٣) مهدي افادى: المرجع السابق: ٢٥.

الشفاعة والتوصية وتجنب النزاعات والمناقشات بلا طائل ويرفض الرد على تعليقات النقاد على كتبه، فقد حدث ذات مرة أن قام أحد طلاب الفلسفة بكتابة نقد جارح على كتابيه علم الكلام والكلام ونشره فى مجلة «الناظر» ولكنا وتالم شبلى لذلك لكنه رفض الرد عليه كما رفض الرد على ما كتب من نقد على كتبه فى مجلة «دكن ريبويو». وكان شبلى يتحلى بالهدوء والصفاء النفسى فى كل معاملاته إلى جانب تواضع العلماء الجم وكانت له صداقة قوية مع أحد المجلدين فى أعظم گرطه فيقضى معه الساعات فى الحوار الادبى والعلمى وذلك فى كل مرة يزور فيها أعظم گرطه .

لقد كان شبلى جريئاً فى إبداء رأى شديداً فى الرد على المعارضين، ففى أثناء إقامته فى على گرطه كان جميع أعضاء الكلية والناس جميعاً يقعون تحت تأثير السير سيد ويؤيدون خطته بلا نقاش، فعندما عارض السير سيد حزب المؤتمر أيده الجميع فى ذلك إلا شبلى الذى عارضه بشدة وأيد المؤتمر ونظم فى هذا القصائد وكتب المقالات وقد ظن الناس أن شبلى يعارض السير سيد طلباً للشهرة والجاه إلا أنه ظل ثابتاً على رأيه حتى آخر لحظة، بعد ذلك انتقد شبلى المقررات الدراسية للتعليم العربى القديم وأراد أن تدخل اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة ضمن المقررات الدراسية وعارضه الشيوخ وبصفة خاصة أنصار مدرسة ديوبند إلا أنه ظل على رأيه حتى تحقق ما أراده ودخل التعليم الحديث فى ندوة العلماء وقام العديد من المدارس بتدريس اللغة الإنجليزية وتخرج كثير من رجال الدين الذين يتقنون اللغة الإنجليزية وذلك بفضل شبلى وتمسكه برأيه<sup>(١)</sup>.

وظل شبلى طوال حياته بسيطاً فى أمور معيشته ويحث الطلاب على البساطة فى التفكير واختيار حياة العلماء ويضرب لهم المثل بنفسه وعندما أسس دار المصنفين كان يشترط على الطلاب الذين يختارهم للتعليم فيها أن يلتزموا بحياة العلماء فى الفرائض والمظهر الخارجى .

وكان شبلى يميل إلى العزلة ساعات طويلة للتفكير، ورحيماً عطوفاً بأسرته وتلاميذه وعندما توفيت أمه تأثر تأثراً شديداً وكان يضطرب بمجرد أن يرد ذكرها كما حزن بفاجعة موت أخيه مولوى مهدي وكان حزنه على أخيه مولوى إسحق قد أودى بحياته حيث مات شبلى نتيجة لحزنه الشديد على وفاة أخيه إسحق .

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٨١٦-٨١٧.

لقد كان الوعظ والتأليف والتدريس من بين أعمال العلماء وواجباتهم تجاه المسلمين، ومع أن شبلى لم يؤسس حلقة دراسية خاصة ومستقلة كدأب العلماء المشاهير الآخرين إلا أن كثيراً من الناس المحظوظين قد استفادوا من شبلى سواء من قراءة مؤلفاته أو من التدريس المباشر. وعندما جاء إلى ندوة العلماء سنحت الفرصة لكثير من الطلاب للاستفادة منه مع أنه لم يدرس في الندوة بشكل منتظم، فكان يدرس دروساً من القرآن أحياناً ليبين مناطق الإعجاز فيه، وأحياناً كان مولانا حفيظ الله يدرس ثم يعقب عليه شبلى، وفي أوقات أخرى كان شبلى يدرس دروس صحيح البخارى أو اللغة العربية والفارسية واستفاد منه كثير من الطلاب مثل سيد سليمان الندوى وچودرى خوشى محمد ناظر وسيد سجاد حيدر يلدرم ومولوى ظفر على خان ومولانا محمد على<sup>(١)</sup>.

وكان مزاج شبلى حاداً جداً فى كثير من الاحيان ويبدو ذلك جلياً من خلال مواقف كثيرة فى حياته، فقد كان فى بداية حياته من غلاة الحنفية وكتب رسالتى «إسكات المعتدى على إنصاف المقتدى» و«ظل الغمام فى مسالة القراءة خلف الإمام» تأييداً للأحناف. ومن الناحية الدينية العامة فقد كان من أشد المدافعين عن الإسلام والعرب والقرآن، ومن الناحية القومية كان يناصر الأتراك لأنهم كانوا فى ذلك الوقت يمثلون دولة الإسلام وعزة المسلمين وفى اثناء سفره إلى القسطنطينية كان يدرس اللغة العربية لتوماس آرنولد على ظهر السفينة فرآه احد المسيحيين الاسبان فتحرق غيظاً وقال له: «هذه لغة البعير» فغضب شبلى واحتد عليه وذكر هذه الواقعة فى كتابه «سفرنامه». وعندما وصلت السفينة عدن ورأى «السماليون» يركبون القوارب الصغيرة ويلتفون حول السفينة ويقومون بالغناء والرقص والحركات المبتذلة ليستندوا عطف الركاب فيقذفون لهم الاموال والاطعمة، حزن شبلى لحال هؤلاء القوم الذين يقومون بهذه الحركات المهينة من أجل لقمة العيش وظنهم فى بادئ الامر من العرب وقال: «الهدا الحد يصل سوء الحال بالعرب الذين حملوا مشعل الإسلام والنور والحرية للعالم أجمع، وسرعان ما زال هذا الغضب عندما علم أن هؤلاء الناس ليسوا من العرب»<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر غيرته الشديدة على الإسلام أنه عندما كتب جورجى زهدان كتابه «تاريخ التمدن الإسلامى» غضب شبلى غضبة مضرية لانه حقر العرب وكتب كتابه

(١) محمد واصل عثمانى: شبلى ادبيون كى نظر مين: ٧٨-٧٩.

(٢) شبلى: سفرنامه: ١٣-١٤.

«الإنتقاد على التمدن الإسلامى» فند فيه جميع أغلاط جورجى زيدان وقال فى مقدمته يعتذر للمؤلف: «إنى أيتها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنتك فإنك قد نوهت باسمى فى تأليفك هذا وجعلتنى موضع الثقة منك واستشهدت بأقوالى ونصوصى ووصفتنى بكونى من أشهر علماء الهند مع أنى أقلهم بضاعة.. هل كنت أرضى بأن تمدحنى وتهجو العرب فتجعلهم غرضاً لسهامك ودرية لرمحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو إليهم كل دنية وشر»<sup>(١)</sup>.

وبناء على عصبيته لدينه كان شبلى يؤيد الأتراك فى كل ما يقومون به من حملات فكان يفرح لنجاحهم ويتالم لفشلهم، وعندما قامت الحرب بين الأتراك والروس أقام شبلى جمعية لمساعدتهم وجمع التبرعات لهم وأرسل للقسطنطينية ثلاثين ألف روبية.

وشبلى طيب المعشر ولهذا فإن دائرة معارفه وعلاقاته متشعبة ومن الصعب حصر معارفه وأصدقائه لكننا يمكن أن نحصى أصدقاءه الذين ظل مرتبطاً بهم حتى آخر حياته وهم:-

١- نواب محسن الملك وقد تعرف عليه فى على گرڤه وتوطدت عرى الصداقة بينهما وكان له دور كبير فى إزالة الخلافات بين الحكومة الإنجليزية وشبلى وساعده فى الحصول على راتب شهرى من حيدر آباد.

٢- مولانا حالى وقد بدأت العلاقات بينهما فى على گرڤه وقويت صداقتهما عن طريق مجالس الشعر والعلم وحالى شاعر كبير متواضع ومع أنه كان أكبر سناً من شبلى إلا أنه كان يقدره ويتشاور معه فى الأعمال الأدبية التى يقوم بها وعندما انتهى من «حيات جاويد» أرسل له نسخة هدية وقد شجع حالى شبلى على المضى قدماً فى «ندوة العلماء» ومجلة «الندوة» وعندما أصيبت قدم شبلى اضطراب حالى ونظم عدة أبيات وضع فيها شعوره الطيب نحوه.

وهناك أصدقاء كثيرون لا يتسع المجال لذكرهم بالتفصيل مثل سيد على بلجرامى ونواب سيد على حسن ونواب عماد الملك سيد حسين بلجرامى ومولانا حبيب الرحمن خان شروانى وحاذق الملك حكيم أجمل خان. ومن رجال الدين مولانا شاه سليمان بهلوارى، مولانا غلام محمد فاضل هوشيارى، ومولانا سيد محمد على المدير السابق لندوة العلماء ومولانا فضل حق رامپورى، ومولانا سيد ظهور الإسلام فتح پورى ومولانا

(١) شبلى: الإنتقاد على التمدن الإسلامى: ٢ (طبعة الهند).

إبراهيم آروى ومولانا ثناء الله امرتسرى وغيرهم.

وفى أثناء إقامة شبلى بعلى گرطه تعرف على كثير من الأمراء والولاة الذين كانوا يأتون إلى الكلية وتعقد الجلسات للترحيب بهم مثل: - خليفة محمد حسين وزير بتياله وسر آسمان جاه رئيس وزراء حيدر آباد والجنرال عظيم الدين خان رامبورى وغيرهم وكان هؤلاء الأمراء يجلسون شبلى وقد تعرف على مير محبوب على خان حاكم حيدر آباد عندما ذهب مع السير سيد لزيارته عام ١٨٩١م وزار حيدر آباد مرة أخرى فى ١٨٩٦م وأجرى مير محبوب له راتباً شهرياً قدره مائة روبية، والتقى شبلى بأميرة بهوبال عدة مرات عام ١٩٠٦م عندما كان يجمع المساعدات لندوة العلماء وفى عام ١٩١٢م عندما أراد أن يؤسس جمعية تأليف السيرة النبوية<sup>(١)</sup>.

ولم يحصل شبلى على هذه المكانة السامية من فراغ بل كان أهلاً لها وطبقت شهرته الآفاق فى الهند الرحبة وفى خارجها وزار تركيا ومصر والشام والتقى بكبار العلماء بها ومنحه السلطان عبد الحميد «الوسام المجيدى» لجهوده العلمية والدينية فى الهند وخارجها، ومنحته الحكومة الإنجليزية لقب «شمس العلماء» وهو أعلى وسام تمنحه لغير الانجليز وشارك فى جلسة تنويع العرش وكان عضواً بارزاً فى مختلف اللجان التعليمية والمؤسسات العلمية فى عموم الهند.

وكان شبلى يحبذ الجانب العقلى فى مسائل الدين لهذا فهم الناس أنه لا يعترف بالمعجزات لأنها مبنية على أشياء خارقة للعادة وخلافاً للعقل إلا أن سوء الظن هذا كان خاطئاً بالطبع لأنه اعترف بالمعجزات وانتقد تأويلات السير سيد العقيمة بقول فى كتابه الكلام: «إن خرق العادة عنصر هام وضرورى فى جميع الأديان ولا يمكن إنكارها وهى موجودة فى الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

فشبلى لا يعتقد بالمعجزات من حيث كونها معجزة إلا بوجود دليل عقلى ثابت على وجودها؛ ولأن القرآن صادق وقطعى لذا يجب التسليم بالمعجزات.. وكانت هذه افكار شبلى عند كتابة «الكلام» أى عام ١٩٠٢-١٩٠٤م لكنه رجع عن فكرته الأولى فى أثناء تأليف «سيرة النبى» وذكر أحاديث صحيحة للرسول عن المعجزات واعترف بذلك فى نهاية مقدمة الجزء الأول من السيرة<sup>(٣)</sup>.

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٧٩٥-٧٩٧، ٨١٣-٨١٤.

(٢) شبلى: الكلام: ١٣٠-١٣٣.

(٣) شبلى: سيرة النبى: ١ / المقدمة.

كما اعترف شبلى بوجود «الشياطين والملائكة» إلا أنه رفض أن يغير الشياطين صورتهم ويتشبهون بالإنسان ويأتون إليه» (١).

وفيما يتعلق بالحشر والنشر والجنة والنار وأحداث ما بعد الموت كان شبلى يعتبرها أحداثاً روحية فقط لا تحدث فى الواقع المادى وذلك من تأثير قراءاته فى كتب الكلام القديمة لكنه غير فكرته فى آخر حياته عندما قرأ الأحاديث النبوية بعمق فى أثناء تأليف «سيرة النبى» وكان لمؤلفات ابن تيمية دخل كبير فيما طرأ على أفكاره من تغيير.

وظل شبلى حتى آخر حياته يكره البدع وخاصة فى شعبان والحرم ويرفض زيارة القبور، وعندما أفتى بعض العلماء بكفره استناداً على بعض الفقرات فى كتابه «الكلام» والتي يبدو منها أنه يقول بقدوم المادة وأنها غير مخلوقة ويعتبر النبوة أمراً مكتسباً قام شبلى بالرد على هذه التهم واعترف بأنه من أهل السنة والجماعة ويؤمن بما جاء فى القرآن الكريم والسنة من أفعال وأقوال.

#### \* شخصية شبلى وتأثره بالسير سيد أحمد خان :

سبق أن تناولنا حدود العلاقة بين السير سيد وشبلى من جميع الزوايا وخرجنا من هذا البحث بنتيجة مؤداها أن هناك خلاقات جوهرية وبونا شاسعاً بين شبلى والسير سيد، وأن هناك تبايناً فى وجهتى نظريهما بالنسبة للناحية السياسية والدينية والتعليمية. وفى السطور التالية سنوضح مدى تأثير السير سيد فى شخصية شبلى ونتعرض بالنقد لهذه الأقاويل، وسوف أكون على الحياد فى عرض هذه الروايات وسأرجى رأبى إلى نهاية هذا الموضوع.

التقى شبلى بالسير سيد فى عام ١٨٨٣م عندما قبل العمل مدرساً للعلوم العربية بكلية على كرتھ وقد وصف عبد الحليم شرر نتائج هذا اللقاء بأسلوب بليغ فقال: «بدأ شبلى الآن يهتم بالتحقيق والنقد التاريخى بتوجيه السير سيد فكانت رسالة «مسلمانون كى گذشته تعليم» أولى النماذج فى هذا الصدد، وقد قدمها شبلى فى المؤتمر التعليمى الإسلامى وبدت هذه الرسالة فى نظر المسلمين جديدة وطريفة تماماً فاستقبلوها بشغف، ثم كان كتاب «المأمون» الثانى فى هذه النوعية فلاقى انتشاراً وشهرة كبيرة وأظهر هذا الكتاب بداية نبوغ شبلى وشهرته ودل على موهبته وكيف سيكون فى المستقبل وقد تشجع شبلى بسبب صحبته للسير سيد وبدأ يتقدم للامام فى هذا المجال فكتب «سيرة

(١) شبلى: مقالات شبلى: ٧٣/٥.

النعمان» و«الفاروق». لقد كان السير سيد فى الأصل غير مقلد ومن جماعة أهل الحديث لكنه بتأثير موضوعات علم الكلام واللغة الإنجليزية تحول إلى معتزلى متعصب ولم يكن هناك أى أثر على شبلى من صحبته للسير سيد وهذا شىء عجيب!! فقد ظل شبلى على تمسكه بالمذهب الحنفى النعمانى وأثبتت فى النهاية أن الحنفية هى أصل مذهب المعتزلة وخلافاً للمتأخرين من الحنفية، فقد عادى الأشاعرة عداً شديداً وأكد على الاعتزال فى ثنايا الفقه بطريقة مستترة ولهذا استحسنت طلبة التعليم الإنجليزية هذه الآراء وسلموا بها، بينما ناصبه علماء الحنفية العداً الشديد. وبرغم صحبته للسير سيد ومؤهلاته الشخصية التى قدمته فى البداية لمجتمع الناس لكونه واحداً من أهم رفاق السير سيد إلا أن هذا كله لم يحد من أنفة شبلى وكبريائه سواء فى كتاباته أو فى أشعاره، وعندما رأى أن وجوده فى على كثره أمر غير محتمل أثر الانفصال عن الكلية وشارك فى «ندوة العلماء» وأراد بذلك أن يصل إلى درجة شيخ العلماء وهى منزلة تفوق منزلة السير سيد ولهذا صار كل منهما زعيماً فى مجاله»<sup>(١)</sup>.

ويوافق الباحث هنا شرر فى رأيه بأن شبلى وجد «شهرته» فى صحبة السير سيد كما كان لـ «تشجيع» السير سيد لشبلى أثر نفسى لا يمكن إنكاره، إلا أنه يرفض أن يكون السير سيد قد أثر فى شخصية شبلى أو فى اتجاهاته لأنهما شخصيتان متناقضتان ولهذا عندما حدث خلاف بينهما لم يتردد شبلى من ترك على كثره والانتساب لندوة العلماء.

كان شبلى مقلداً ومتخصصاً فى العلوم الإسلامية فى حين نجد السير سيد من أشد المنادين والمؤيدين للأفكار الغربية الحديثة التى يرى شبلى أنه يجب الاستفادة من علوم الغرب بالقدر الذى استفاد منه علماء المسلمين من العلوم اليونانية فى العصر العباسى، فشبلى يريد أن يعيد النور القديم لا أن يظل جالساً أمام النور الجديد وقد تأثر فى بداية الأمر برجال الدين فى عصره مثل: السيد أحمد الشهيد وآراء شاه ولى الله الدهلوى وشاه عبد العزيز، بينما السير سيد كان منطقياً ويميل فى أسلوب حياته إلى التفرغ فى التفكير وفى الحياة اليومية ولهذا لم يؤثر السير سيد فى شبلى الذى كان يتمتع بشخصية قوية وكان عالماً مزهواً بعلمه ويميل إلى الجانب الدينى فى حين كان السير سيد علمانى النزعة. ولو نظرنا إلى ما تأثر به شبلى من السير سيد نجدها مجرد أشياء هامشية لا تسمن ولا

(١) شرر: مضامين شرر: ٢٥٦/١-٢٦٣ (جيلانى بك د. ط. - لاهور).

تغنى من جوع وهذا أمر طبيعي بحكم وجود السير سيد على رأس حركة على كثره وماله من نفوذ سياسى واجتماعى وتعليمى إلى جانب امتلاكه مكتبة ضخمة استفاد منها شبلى ومطبعة لطبع الكتب فى وقت عزفيه وجود المطابع.

لذا لن نكون متحاملين على كثير من النقاد الذين يرفعون من قدر السير سيد يجعله مصدراً للتأثير فيمن حوله من الأدباء حتى ولو لم يلتق بهم السير سيد قط، لكننا إذا نظرنا إلى طبيعة العصر وحاجة الأدباء فى تلك الفترة الزمنية ليس فى الهند فحسب بل فى العالم كله إلى التجديد فى الدين والسياسة والأدب وجميع مناحى الحياة لوجدنا أن شبلى تأثر بحركة عصره فى الهند وخارجها فى مصر والشام وتركيا خاصة عندما زار هذه البلاد واطلع على الحركة العلمية والسياسية فيها.

لقد كانت شخصية شبلى من أهم دعائم شهرته فى الهند وخارجها يقول توماس آرنولد فى كتابه «الدعوة إلى الإسلام» The preaching of Islam : «أحب أن اعترف بتشكراتى إلى صديقى وزميلى العالم شمس العلماء مولوى محمد شبلى النعمانى الذى أعاننى بسخاء جم من فيض علمه بتاريخ صدر الإسلام»<sup>(١)</sup>.

ونختتم هذا الموضوع برأى لشبلى ذكره أحمد أمين فى كتابه: «زعماء الإصلاح فى العصر الحديث» يقول: «قال الأستاذ النعمانى - عالم الهند العظيم - «طالما كان النزاع بينى وبين السيد أحمد خان شديداً فى آرائه الدينية، وطالما فندت آراءه ومع هذا لا أنكر فضل أسلوبه العالى الذى استخدمه فى شرحه أفكاره فكان أسلوباً رائعاً منقطع النظير مملوءاً بالفكاهة الحلوة والتنادر الظريف»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) توماس آرنولد: الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ص: ٨ (مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٧).

(٢) أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث: مكتبة النهضة المصرية. ١٩٤٨ م ص: ١٣٦.

## ثقافته

من الأهمية بمكان أن نعرف منابع ثقافة الأديب والروافد التي غذتها والأساتذة الذين تلقى عنهم واقتدى بهم وسار على نهجهم وكونوا ثقافته الأولى حتى يمكن لنا أن نمثل أثر هذه الثقافة وننلمسها في تراثه الأدبي والفكري . ويمكن لنا بعد قراءة حياة شبلى والإشارة إلى أساتذته أن نقسم روافد ثقافته إلى تيارين :

التيار الأول : تيار إسلامي .

التيار الثاني : تيار غربي .

### الثقافة الإسلامية :

نشأ شبلى نشأة دينية فكان من الطبيعي أن تكون ثقافته الأولى ثقافة عربية إسلامية ، لذا تلقى تعليمه طبقاً لنظام التعليم القديم ، فتعلم اللغة العربية والفارسية إلى جانب لغته الأردية ، وقرأ القرآن والحديث ودرس كتب الفقه والمعاملات على يد مولانا سخاوت علي جونبوري ومولانا محمد فاروق وعباس چرياكوتى وهدايت الله جونبوري وارشاد حسين رامبوري . كما تلقى علومه الأولى في رامبور ولاهور وكان على المذهب الحنفي كمعظم أهل الهند .

ونستطيع أن نقدر مدى إتقان شبلى للغة العربية من قراءة رسائله الدينية الأولى « ظل الغمام في مسألة القراءة خلف الإمام » و« إسكات المعتدى على إنصات المقتدى » و« بدء الإسلام » حيث كتبها بلغة عربية سهلة تعكس ما وصل إليه من إتقان للغة ودقائق الفقه الإسلامي ، كما كتب كتابيه « الجزية » و« الإنتقاد على التمدن الإسلامي لجورجي زيدان » باللغة العربية ولم تقتصر معرفة شبلى للغة العربية على التأليف فحسب ، بل كان يستعملها في حياته اليومية فقد عثر له على رسالة باللغة العربية بخط يده وذلك ضمن أوراق مخطوط كان عند شبلى باسم « ديوان الصبابة » لابن أبي حجلة التلمساني الحنفي المتوفى سنة ٧٧٦ هـ وقد جمع فيه مجموعة من أشعار الغزل العربية الرائعة وهذا نص الرسالة : « هذا ديوان الصبابة يصل إليكم ، أما أنا فلا يمكنني الحضور لديكم لا لاني اشتغلت بأمور غير طائلة وقعدت همتي وصرفت العناية إلى الدنيا الدنية وبرئت من

تحصيل كمال العلم والادب ذمتى فإنى بحمد الله خلقت وكسب الفضل سيط فى دى، فهو لا يفارقنى إن شاء الله فى حالتى وجودى وعدمى بل لأنى للملازمتى لهذه العهدة الرذيلة أداوم أتفكر فى حالتى فيزيد همى وتزداد ملالتى وبيدكم الانصاف وما هذا إلا الجور والاعتساف فصبر جميل وهو حسبى ونعم الوكيل (ش. نعمانى).

وقد أجاد شبلى التعبير باللغة العربية نثراً وشعراً ولعل القصيدة العربية التى نظمها فى مدح السير سيد عندما التقى به على كَرط هـ خير دليل على ذلك يقول مطلعها: -

-المجد يصحب علما حيثما يصل والعلم عن قـومنا لا زال يرتحل  
وقد زادت علاقة شبلى باللغة العربية عندما عمل فى كلية على كَرط هـ مدرسا للغة العربية فى فبراير ١٨٨٣م فكانت فرصة لإتقان اللغة العربية والعلوم العربية، وكان شبلى قد تذوق الشعر العربى عندما التقى بفيض الحسن بلاهور فى سنوات تلقيه للعلم. وفى أثناء إقامة شبلى فى كلية على كَرط هـ كانت المطبوعات والصحف العربية مثل: المقطئف وثمرات الفنون والمنار والهلال والمؤيد تاتى له بانتظام من مصر وسوريا وكان يرسلها ويكتب لها المقالات. وعندما زار مصر وسوريا كان يتكلم بها ويمارس بها حياته اليومية ويتحاور مع رموز الفكر والدين فى مصر بها، كما أنه قام بترتيب فهرس للكلمات العربية الحديثة وطبعه فى نهاية كتابه «سفرنامه».

وإلى جانب اللغة العربية فقد كان شبلى يعرف اللغة الفارسية جيدا ونظم الشعر بها بل إن شعره الفارسى يفوق شعره باللغة العربية بمراحل كثيرة فقد ترك لنا «ديوان شبلى» الذى يحتوى على قصائده الفارسية بينما لاتعدو قصائده العربية عن مجموعة متفرقة من القصائد والأبيات المتفرقة.

### \* الثقافة الغربية:

كان شبلى مهتما بالثقافة الغربية والعلوم الحضارية الحديثة وهذا الاهتمام وان كان ثانويا إلا أنه كان يشغل حيزا من تفكير شبلى وجزءا من ثقافته العامة.

بدأ اتصال شبلى بالثقافة الإنجليزية لأول مرة عندما جاء إلى على كَرط هـ والتقى بالسير سيد وعين أستاذا للدراسات الشرقية، وتعلم اللغة الإنجليزية بحكم صلته بالسير سيد ورفاقه من ناحية، وبحكم إقامته فى الكلية واتصاله الدائم بالأساتذة الإنجليزية فى الكلية التى قامت فى الأساس لترويج التعليم الغربى والثقافة الإنجليزية، كما أن اطلاع شبلى على مكتبة السير سيد الضخمة ومابها من كتب إنجليزية كان له أثر فى التعرف على ملامح هذه الثقافة.

وفي كلية علي كُرْطَه التقى شبلي بتوماس آرنولد صاحب كتاب «الدعوة إلى الإسلام» وكان بمثابة نافذة على الثقافة الغربية فتعلم منه مبادئ اللغة الفرنسية كما ذكر ذلك في «سفرنامه» ونتيجة لذلك رجع شبلي إلى كتاب أحد الفرنسيين في الخراج.

وهذه المعرفة الاولية للغة الإنجليزية مكنت شبلي من الرجوع إلى الكتب الإنجليزية في مؤلفاته مثل «الفاروق» الذي رجع فيه إلى منهج المؤرخ الغربي Ranke<sup>(١)</sup> في خلق الاسباب والعلل، كما أشار إلى آراء مرجليوث<sup>(٢)</sup> وميور<sup>(٣)</sup> عن السيرة النبوية في «سيرت النبي» وفي كتابه سيرة النعمان دافع عن الفقه الإسلامي ورد على مغالطات شيلدون آموز Sheldon Amos التي أوردها في كتابه «القانون المدني الروماني» The Civil Law of Rome

ورغم هذه المعرفة الاولية فقد اعترف شبلي صراحة بعدم إجادته للغة الانجليزية وذلك في تعليقه على الترجمة الاردية لكتاب Draper الاستاذ بجامعة نيويورك «الجدال بين العلم والدين» ترجمة مظفر علي خان فقال: «إنني لن أتعرض لصحة الترجمة لأنني لا أعرف اللغة الإنجليزية ولهذا لن أستطيع الفصل في صحة الترجمة أو خطئها»<sup>(٤)</sup>

(١) رينكي Ranke, Leopold Von (١٧٩٥-١٨٨٦) ولد في مدينة «ويهي» في شرق ألمانيا من أسرة ثرية يعمل معظم أفرادها في المحاماة وتخرج في جامعة لينتجز ودرس الكلاسيكيات وعلم اللغويات وترجمة النصوص وقام بتطوير هذا المنهج باستخدام تقنى لغوي وتاريخي ينقد من خلاله السياق، ويعتبر رينكي رائدا للتاريخيين الالمان في القرن التاسع عشر، وكان يسمى بابي التاريخ الجغرافي الحديث وتميز بالبحث المنهجي المتعمق الموضوعي.

(Encyclopaedia Britannica. Vol:15. U.S.A.1976.p 506-508)

(٢) مرجليوث Margoliouth (١٨٥٨-١٩٤٠).

ولد وتوفي في لندن، وقد تخرج باللغات الشرقية في جامعة أكسفورد، وأقن العربية وكتب فيها بسلامة وأقام أستاذا لها في جامعة أكسفورد منذ ١٨٨٩ ورأس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ونشر فيها بحوثا متممة. وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق وأهم آثاره: مختارات شعرية لارسطو مترجمة بالعربية و«متى بن يونس» و«السرمانية واللاتينية» و«محمد ونهضة الإسلام» (نيويورك ١٩٠٥).  
(نجيب العتيقي: المستشرقون: ٥١٨/٢).

(٣) ميور Muir, Sir William (١٨١٩-١٩٠٥).

إسكتلندا، تعلم الحقوق في جامعتي جلاسجو وأدنبرا، وعُلم في أدنبرا حيث امتاز بمحاضراته امتيازاه بخدماته التي أداها للهند يوم إرسال إلى البنغال (١٨٣٧) وعين أمينا لحكومة الهند (١٨٦٥-١٨٦٨ ثم اختير رئيسا لجامعة أدنبرا (١٨٨٥-١٩٠٢)، وأهم آثاره: سيرة النبي والتاريخ الإسلامي.  
(نجيب العتيقي: المستشرقون: ٤٩٢/٢).

(٤) شبلي: مقالات شبلي: ١٧٧/٤.

ودافع شبلى عن التعليم الإنجليزي وسعى إلى إدخاله فى ندوة العلماء .

ومن جانب آخر اهتم شبلى بلغات الهند وخاصة اللغة السنسكريتية وفتح لها فصلا دراسيا فى ندوة العلماء وحث الطلاب على تعلمها للمقارنة بينها وبين اللغات الآرية الأخرى . وقد أبدى شبلى اهتماما خاصا بثقافة الهند ولغاتها وحضارتها وتاريخها فكتب كثيرا من المقالات فى هذه الموضوعات وخاصة ديانات الهند وفلسفاتها وكان شبلى ملما بها إلماما كافيا وأثناء توليه منصب سكرتير جمعية تطوير الأردية « انجمن ترقى اردو » شجع ترجمة الكتب الهندية إلى اللغة الأردية وكانت أول جائزة يمنحها من نصيب نراين برشاد درما « بيغمبران هند » أى رسل الهند وفيه تذكرة سرى كرشن وبودا ويحتوى على أصول الديانة الهندوسية .

وكان شبلى ذا ثقافة قانونية اجتماعية واسعة نتيجة دراسة كتب القانون واجتيازه لامتحان المحاماة .

لقد كان شبلى واسع الثقافة غزير المعرفة، كلفا منذ صباه بالقراءة والمطالعة واقتناء الكتب الثمينة ويقضى الساعات بين الكتب ويتجشم مشاق السفر الطويل من أجل كتاب، بل إن رحلته إلى تركيا والشام ومصر كانت من أجل الكتاب وجمع المادة العلمية لكتابه « الفاروق » وكان مغرما بالخطوط بشكل خاص وينفق من ماله الكثير لاقتنائها فقد دفع فى نسخة « مؤنس الأرواح » المذهبة مائة روبية ودفع فى نسخة من القرآن مائتى روبية ولما لم يتوفر لديه المال لشراء الكتب كان ينسخها مثلما نسخ « الخصائص » لابن جنى و« أخبار الحكماء » للشهرزورى و« كشف الأدلة » و« الرباعيات » للسحابى و« رد المنطق » لابن تيمية .

إن ما خلفه لنا شبلى من تراث وشارك فيه من أعمال يكشف عن عقلية مرتبة فذة وإذا تمثلنا ثقافته نجد أنها تنم عن عقلية جادة منسقة تعى ما تقرأه وتمحصه بسرعة .

**\* شبلى بين معاصريه :-**

يعد شبلى من الشخصيات التى تركت بصمات واضحة على الأدب واللغة الأردية، وهى شخصية موسوعية جامعة تتوفر فيها جميع عناصر التفوق والنجاح . وكان بين شبلى ومعاصريه من الأدباء والشعراء علاقة ود وصدقة يحترم كل منهما الآخر ويعترف بفضله ويمدحه على الملأ، وقد نال شبلى شرف معاصرة نواب محسن الملك ومولانا حالى

ومولانا نذير أحمد ومولانا محمد حسين آزاد وخواجة عزيز الدين وسوف نتناول آراء هؤلاء الأدباء في شبلي النعماني:

### \* نواب محسن الملك: (١)

اعترف نواب محسن الملك بوضوح بموهبة شبلي وفضله، وقد صرح بذلك في الكلمة التي ألقاها في الجلسة التي رأسها في كلية على كَرط ه لتهنئة شبلي بلقب «شمس العلماء» يقول: «إن شبلي أول مؤلف في عصرنا نجد في مؤلفاته سلاسة العبارة وفصاحة البيان ويتسم أدبه بجميع المزايا والمحسنات كالاعتدال والإنصاف وعدم التعصب، كما أن أفكاره الشعرية خالية من المبالغة والاستعارات والتصنع وتزيين العبارات واستخدام الأسلوب الفلسفي ببراعة في كتابة السير».

### \* الطاف حسين حالي: (٢)

كانت هناك صداقة حميمة بين شبلي وحالي وعلى الرغم من أن حالي يكبر شبلي بعشرين عاما إلا أنه اعترف بموهبته في الشعر وكان حالي يمدحه في المجالس المختلفة وكان شبلي يقول: «أنا بحر وحالي بشر» أي أن علمي غزير وفيه متسع، وبالرغم من أن المعلومات لدى حالي قليلة إلا أنها عميقة ومتأصلة، فأننا لا نستطيع أن نخطو خطوة واحدة في التأليف مالم يكن لدى مادة كافية للكتابة بينما حالي كان نافذ البصيرة والفكر يستخرج المعاني والموضوعات بسلاسة ويسر وهذا دليل على كمال الاجتهاد».

---

(١) نواب محسن الملك (١٨٣٧-١٩٠٧) ولد محسن الملك نواب سيد مهدي عليخان بهادر عام ١٨٣٧م في أتاوة وبعد أن أم تعليمه الأولى عُين كاتباً في شركة الهند الشرقية وترقى تدريجياً حتى وصل عام ١٨٥٧م إلى مدير إدارة وفي عام ١٨٦١ عين محصلاً حكومياً وفي تلك الأثناء ألف كتابين باللغة الأردية هما: «قانون مال» و«قانون فوجد اري» وشارك في حركة على كَرط ه (رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ٤٤٣-٤٤٤. وموج كوثر: ١١١-١٢٢).

(٢) الطاف حسين حالي (١٨٣٧-١٩١٤) شاعر وناقد وناثر وكاتب سيرة أردى مشهور ولد في پانی پت (١٨٣٧) وبعد أن أكمل تعليمه بها تفتتت قريحته بالشعر وكان من أبرز شعراء التجديد في الشعر الأردی وشارك في حركة التجديد في الشعر الأردی في لاهور وله ديوان بالاردية «ديوان حالي». ونشر عام ١٨٩٣م كما نظم قصائد فارسية وعربية عديدة. ومن آثاره: كتاب «مقدمة شعر وشاعري» وهو الكتاب الكلاسيكي الأول في نقد الشعر الأردی و«مسند حالي» و«حيات سعدى» و«يادگار غالب» و«حيات جاويد» والأخير سيرة حياة السير سيد أحمد خان حيث كان حالي من أتباعه المقربين له. (قدم الباحث رسالة ماجستير عن حالي بعنوان «الطاف حسين حالي ومنهجه في نقد الشعر الأردی» مكتبة جامعة القاهرة - ١٩٩٠م. كما ترجم كتابه «مقدمة شعر وشاعري» للعرية.

وكان شبلى من أشد المعجبين بكتاب حالى «حيات سعدى» وعندما أراد كتابة سيرة سعدى فى الجزء الثانى من كتابه «شعر العجم» تأمل هذا الكتاب وقال: ماذا يمكن إضافته فى هذا الموضوع بعد حالى؟! .

أما حالى فكان من المعجبين بشبلى كمؤلف وكشاعر وعندما نشر «سيرة النعمان» كتب حالى تعليقا عليها فقال: «إن شبلى يبين فى كل مؤلف له مقدرته الفذة على الكتابة والتأليف بطريقة عقلية استدلالية فيها تناسب واتساق وقد استخدم فى كتابته طريقة الرأى والقبلىس بطريقة سليمة كما طبق عليه الرواية والدراية على أكمل وجه» وكان حالى يُقبل على اقتناء مؤلفات شبلى بشغف ويضعها فى مكان بارز فى مكتبته وكان شبلى يهديه مؤلفاته بنفسه فى بعض الأحيان وعندما أهدها شبلى مجموعته الشعرية «دسته كل كتب حالى يقول: «يستطيع المرء أن يعتقد أن هذه أشعار ذلك الأديب الذى كتب مؤلفات مقدسة مثل: - الفاروق وسوانح مولانا روم، إن فى غزلياته جمال ورقة غزليات حافظ، ومن الممكن أن تكون غزليات حافظ جذابة لكن غزليات شبلى أكثر تأثيرا وحرقة من حيث الأفكار ولا يمكن لشخص أن يستمتع بهذا الشعر إلا إذا ابتلى بمثل ما ابتلى به القائل، لقد كنت قد عزمت على أن أطبع ما نظمته من شعر وما كتبته من نشر بالفارسية لكن بعد الاطلاع على «دسته كل» سقطت غزلياتى من نظرى» وعندما أهدها شبلى نسخة من كتابه «سوانح مولانا روم» كتب إليه حالى يقول:

«لقد قرأت السوانح وأستطيع أن أقول أن من عرف منزلتكم فى التأليف كل لسانه فانت فخر القوم»<sup>(١)</sup> وعندما استرد شبلى صحته بعد سفره إلى كشمير ونظم القصيدة الكشميرية أرسلها إلى حالى ورد عليه برسالة طويلة بدأها بقطعة شعرية تبدأ بهذا البيت:-

لله الحمد يس ازنا خوشى ورنج دراز  
شبلى ء ما بمراد از سر سر بالين برخاست<sup>(٢)</sup>

وبالرغم من هذه العلاقة القوية والاحترام المتبادل فقد كان شبلى فى بعض الأحيان ينتقد مؤلفات حالى دون أن يتعرض لذاته يقول فى سوانح مولانا روم: «أجمع معظم كتاب التذاكر على أن الشعراء الذين أسسوا الغزل هم سعدى وعراقى ومولانا روم ومن

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٨٠٢-٨٠٧.

(٢) الحمد لله بعد المرض والألم الطويل، فقد نهض شبلى حبيينا عن وسادته معافى.

هذه الحيثية فإن من واجبنا أن نقوم بالتعليق على ديوان مولانا روم ونعرض نماذج لهؤلاء الفحول الثلاثة ونبين خصائص كل واحد منهم ولما كان جلال الدين الرومي بطلنا لذا فإننا طبقا لذوق العصر نرجحه عليهما سواء شئنا أم أبينا إلا أن هذا في الحقيقة يُعد خلافا لأصول سرد الوقائع»<sup>(١)</sup>

ويقول شبلى فى إحدى المواضع من كتابه «موازنه أنيس ودبير»: إن السير التي كتبت فى عصرنا لم تستخدم النقد والمجرح كما ينبغي وعلى الرغم من مزاعم الحرية فإن قومنا ليس بالقوم الذين يعرض فيهم كلا الجانبين»<sup>(٢)</sup>

ويقول شبلى فى نقده للسير فى عصره: «لقد تعلم كُتاب السير فى لغتنا هذه الطريقة من أوروبا وهذا ما نلمسه من أعظم السير التي لدينا». ويبدو من هذه العبارة بوضوح أنه ينقد حالى وأن المقصود بأعظم السير هى سيرة السير سيد «حيات جاويد» وقد صرح شبلى فى إحدى خطاباته لمولانا شروانى أن «حيات جاويد» ليست سيرة حياة بل كانت للمناقب وهى غير كاملة والناس فيما يعشقون مذاهب»<sup>(٣)</sup> وهذا الرأى ليس قدحا فى ذات حالى بل إن شبلى أبدى رأيه فى سيرة السير سيد غير الكاملة ولو أن مؤلفا آخر كتب «حيات جاويد» لما تأخر شبلى فى إبداء رأيه.

#### \* مولوى نذير أحمد الدهلوى :-

مع أنه لم تكن هناك علاقات وروابط مباشرة بين شبلى ونذير أحمد إلا أنهما كانا يعرفان بعضهما البعض عن طريق المؤتمرات والمنابر العامة وذات مرة فى إحدى الجلسات قال نذير أحمد مادحا شبلى «لو أحد سأل شبلى عن أى شىء دقيق فى قواعد النحو العربى لبهت لمعرفة إياه». والتقى به شبلى فى الجلسة العامة للندوة فى دهلى وشارك نذير أحمد فى الجلسة التى يلقى فيها الطلاب خطبهم باللغة العربية، وعندما صدرت مجلة الندوة أرسل لشبلى خطاب تهنئة فيه هذان البيتان :-

يقولون إن العلم والفضل والنهى  
فلمما تصفحنا صحائف ندوة  
حبيس على المتقدم المتبصر  
وجدنا بأن الفضل للمتأخر

(١) شبلى: سوانح مولانا روم: ٧٢.

(٢) شبلى: موازنه أنيس ودبير: ٢٣٥.

(٣) مهدى افادى: افادات مهدى: ٣٢٢.

وفى جلسة الندوة عام ١٨٩٠ ألقى شبلى قصيدة مدح فيها كلاما من حالى ونذير أحمد فقال:-

-عليك أن تلقى بنظرة الحب على حالى المتحرر، وانظر إلى نذير أحمد ذلك الأديب البليغ. (١)

\* محمد حسين آزاد:

لم تكن هناك علاقة مباشرة بين شبلى وآزاد وقد التقى به مرة واحدة فى لاهور عندما أصيب بالجنون وبالرغم من ذلك كان شبلى يعتبره أعظم كاتب نشر أردى ويقول: «آزاد رائد النشر الأردى الراقى وهو كاتب عملاق بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة وعندما كتب فى «الندوة» موضوعا عن جهانكير قال فى مقدمته: «لقد ذكر أكبر كاتب فى الهند جهانكير فى كتابه «شعر العجم» فقام بمدحه والثناء على هذا الكتاب. وورثاه شبلى بقوله «اليوم مات رب الكلم» (٢)

ويقول الشيخ محمد إكرام فى كتابه «موج كوثر» «كان حالى وآزاد ووقار الملك ومحسن الملك كواكب منيرة فى سماء الأدب لكن أين هم من شبلى؟؟ الذى كان زاهدا بين الزهاد وكاتبا بين الكتاب وشاعرا بين الشعراء ومعلما بين المعلمين ومؤرخا بين المؤرخين وسياسيا بين الساسة ومؤسسا لرسائل الغرام فى الأردية وخبيرا للتعليم الجديد ورائداً للتأليف العلمى وعلى الرغم من اعتلال صحته وقصر عمره إلا أن ما أنجزه من أعمال ومؤلفات يعتبر معجزة نادرة» (٣)

ويرى آل أحمد سرور: «أن شبلى كان أكثر الكتاب المعاصرين له تأثيرا على الجيل الجديد وترك تأثيرا كبيرا فى الحياة العلمية لمسلمى الهند وجعلهم يحسون بمشاكل العالم الإسلامى وبصبرهم بحقوقهم السياسية».

ويعتبر مهدى أفادى شبلى من بين «عناصر الأدب الأردى الخمسة» وأصغرهم سنا. ولد فى ثورة ١٨٥٧م وتوفى فى ثورة أخرى عام ١٩١٤م وكان أول أديب يفلسف التاريخ وهو أديب يغبطه الكثيرون على لغته الراقية. (٤)

(١) نكه از مهر سوئى حالى آزاده فكن... وأن نذير أحمد طوطى شكر خابنكر.

(٢) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٨٠٩ - ٨١١. (٣) محمد إكرام: موج كوثر: ٢٣٤.

(٤) مهدى أفادى: افادات مهدى: ٢٢٤.

## أسلوب شبلي

يمكن لنا تقسيم مؤلفات شبلي من الناحية الأسلوبية إلى مرحلتين :-

**الأولى :** مؤلفاته قبل ذهابه إلى على كَر ط هـ ولقائه بالسير سيد أحمد خان وتمتد من عام ١٨٧٨م حتى عام ١٨٨٢م وتحتوى هذه المرحلة على مؤلفات شبلي الاولية وهى عبارة عن عدة رسائل دينية. ويتضح من أسلوب هذه الرسائل مدى قوة بيان شبلي وأسلوبه فى الكتابة الاردية - والعربية- قبل أن يلتقى بالسير سيد فكان لديه قدرة على حل المسائل الفكرية والأسلوبية إلى حد ما ويتسم أسلوبه بالبساطة وعدم التعقيد .

**الثانية :** مرحلة كتاباته فى على كَر ط هـ وهى من عام ١٨٨٣م وحتى عام ١٩١٣م وتبدأ من كتابه «مسلمانون كى كذشته تعليم» حتى «سيرة النبى» وهى مرحلة النضج الفكرى، حيث بدأ شبلي يتجه إلى كتابة التاريخ والسير والموضوعات الفلسفية والسياسية والدينية والادبية بأسلوب علمى فلسفى يعتمد على المنطق وتسلسل الافكار وجدلية البحث .

وكانت السير والتراجم والفلسفة والكلام والشعر والادب والدين والتاريخ والمقالات والرسائل مجالات خصبة لقلم شبلي المعجز فتميز أسلوبه بالانفرادية والتفوق فى كل موضوع يتناوله، وكانت قوة بيانه من الصفات البارزة فى أسلوبه ومن نتيجة هذا التفوق إحساسه بالعظمة والكمال . وشبلى على الرغم من كونه مؤرخ و كاتب سيرة إلا أنه لم يتخل مطلقاً عن أسلوبه الشاعرى فى الكتابة وتميز بالسلاسة والبساطة وعدم التكلف والتصنع والميل إلى المنطق والمعقولات والإيجاز والإطناب وقوة البيان .

ويعتبر شبلي الكاتب الوحيد من بين كتاب عصره الذى يتميز أسلوبه بالرحابة واللامحدودية، فهو لا يتقيد بنمط واحد بل تجتمع فيه جميع الأنماط الفنية، فهو لا ينحت الالفاظ والكلمات مثل محمد حسين آزاد ولا يفتقد أسلوبه إلى اللون الشخصى وجمال العاطفة كالطاف حسين حالى . وقد اهتم شبلي بحسن الصنعة إلا أن ما يميزه عن كتاب النشر القدماء الذين اختاروا أسلوب آزاد هو أنه لم يبعد عن هدفه وكان هذا التوازن جزءاً من انفراديته فكان على حد تعبير أحد النقاد- « أول يونانى يولد بين المسلمين» و«أسلوبه كان سبباً لازدهار اردية» .

ولو لم يكن شبلي كاتباً لاصبح رساما فهو متدفق ومتنوع المزاج يميل فى كتاباته إلى

الجانب الروائي واتساع اطلاعه يعد جزءاً من صفات شخصيته وبسببها نجد في قلم شبلى قوة وتدققاً هادراً وكل هذه الخصائص مجتمعة منحته الإحساس بالعظمة والسمو. (١)

كذلك فإن الاختصار والإيجاز من سمات أسلوب شبلى الذى جمع بين جمال الأسلوب فى مدرسة دهلى وقوته فى مدرسة لكاناؤ.

كما تميز أسلوب شبلى بالموسيقية الناتجة عن الشاعرية وحسن الصنعة غير المتكلفة، إلى جانب الارتجال والطبع. يقول السير سيد عن أسلوب شبلى: «إنه صاف وعباراته مطبوعة وهو مثار لحسد الدهليين». (٢) والحق أن شبلى اختار أسلوباً تجتمع فيه فى وقت واحد- سخرية آزاد وتفككه وتعبيرات نذير أحمد اليومية الشائعة وبساطة حالى.

ولعل أهم سمة تميز أسلوب شبلى هى قوة البيان والحماس وهى نتيجة للإحساس بالكمال والمحصلة للشعور بالعظمة. ويؤكد الشيخ محمد اكرام فى كتابه «شبلى نامه» أن احساسه العرقى كان أكبر المصادر والينابيع التى يصدع عنها إحساسه القوى بالفخر والتسامى وهو نفس ما يتمتع به الراجبوت من سرعة الإحساس والغيرة والحمية وقوة الفخر، وأن اعتماده على النفس والثقة فى فنه لهما أثر كبير فى تكوين أسلوبه بل إن الغرور والاعتزاز بالنفس الذين نجدهما عند مير وغالب لا يختلفان كثيراً عما لدى شبلى الذى يخاطب الناس من عل.

إن الاعتداد بالنفس والتفاخر فى لغة خطاب شبلى ظاهرة ملموسة فى كل مؤلفات شبلى، فهو يختار طريقة الخطيب فى موضع والمدرس فى آخر والواعظ فى ثالث وأحياناً الأسلوب الفلسفى ويبدو من مؤلفاته أنه كان لديه يقين تام بجهل الناس فى عصره وكان متأكداً أن هدفه ومهمته أسمى وأرفع مكانة من الآخرين ولهذا السبب يبدو فى نشره قوة وصلابة.

ونتيجة لأسلوب شبلى الوعظى التدريسى فإنه يستعمل هذه الكلمات مراراً: «ديكهو» أى أنظر، «غور كرو» أى فكر، «تم نى ديكها هوگا» أى لعلك رايت، «تم كهوگى» أى ستقولوا، «خود بى سوجو» امعن النظر، «يه بات يادرهى» أى تذكر هذا الأمر. ويبدو من استعمال هذه الكلمات أن شبلى لا يعتبر الذى أمامه شريكاً فى الحوار معه بل يتعامل معه بفوقية (٣)

(١) محمد واصل عثمانى: شبلى ادبيون كى نظر مين: ١٢٧.

(٢) شبلى: المامون: ١-٣. (٣) شبلى: موازنة انيس ودبير: ٦١

والمعاني الداخلية للعبارة منظمة كما أن النظام المنطقي الظاهري كامل ومتناغم ولهذا السبب نجد قوة في الفقرات وتنسيقاً في الجمل وترباط الأفكار بحيث تبدو في النهاية نموذجاً جيداً، فهو يميل إلى التعبيرات الفورية والأحداث المفاجئة ويضحى بالحقائق في سبيل إثارة الحماس وزيادة المتعة.

وكانت الاستعارة وسيلة من وسائل الإيجاز عند شبلي إلا أنه كان مغرماً بمعانيها وصورها ومنها المبالغة وسخرية الحياة ونجد فيها كذلك الإفراط والشدة وتعدم التشبيهات في أسلوب شبلي- وإن وجدت فإنها مقصورة على كتاباته الأولى- ويقل في أسلوبه التشبيهات المركبة ومراعاة النظير مثل آزاد كما لا يستعمل التشبيهات في عباراته مثل حالي بل يفضل الاستعارة القوية والكتابة اللطيفة وينأى بكل الطرق عن التفصيل والإسهاب ويختار الإيجاز والإطناب.

وشبلي يستخدم في كتاباته التعبيرات الأدبية الشائعة بإيجاز وكانت التراكيب الفارسية المتنوعة والتعبيرات الأردية المناسبة تسييران معاً في خط واحد في تقاريره فكان يربط بينهما بإتقان شديد وتعبيراته تجعل بيانه مانوساً فتبدو عباراته براقاً.

ويتميز نثر شبلي بميزة خاصة وهي «الشاعرية» فهناك لون خاص للعناصر الشاعرية في نثر محمد حسين آزاد أيضاً لكن الأمر الخاص في شاعرية نثر شبلي هو زيادة العناصر الخاصة بالغزل فنجد فيها كثيراً من الرمز والإيجاز والإجمال فتكون بمثابة ترجمان للمعاني العاطفية الشديدة، وتراكيب شبلي غالباً مأخوذة من الشعر الفارسي وخصوصاً من شعر شعراء الهند فنجد بها الشراب والشباب والربيع والوردة والسكر والذهول عن الذات والتنوع والتموج فتبدو حلاوة الألفاظ وجمال المعاني من عالم الشعر فظهر نثره منظم ومتناغم وفيه موسيقية<sup>(١)</sup>

ويبدو نثر شبلي بسيطاً- ظاهرياً- إلا أنه يتميز بحسن الصنعة غير المتكلفة ومن هنا ينشأ نوع خاص من الجو الصوتي تلقائياً تبعاً لما يقتضيه طبيعة الموضوع وأهدافه فمثلاً يظهر نوع خاص من الموسيقى التلقائية في كتابات شبلي في أثناء عرضه للأفكار الحماسية فتمتلاً العبارة كلها بعاطفة مستساغة بسبب تكرار الحروف والكلمات، ويظهر هذا الأسلوب في كل مكان بلا تصنع أو تكلف مطلقاً وتأتي الأصوات في كتابات شبلي منفصلة بعضها عن بعض فيخلق الحماس في العبارات. لقد كان شبلي كاتباً حمل على عاتقه مسئولية تقديم قصة المفاخر القومية، ولهذا تتدافع لى ذاكرته جيوش

(١) سيد عبد الله: سر سيد أحمد خان اور انكى رفاكى نثر كا فكرى اور فنى جائزہ: ۱۶۳-۱۶۵.

الكلمات والحروف لتصوير الماضي العظيم للإسلام.

ويوصف أسلوب شبلى بأنه غير متصنع ومرئى لکن هذا الارتجال وعدم التصنع يختلف عن الارتجال فى كتابات السير سيد أحمد خان وحالى لأن السير سيد لا يهتم بتنقيح العبارات وأسلوبه طبيعى وغير متكلف لكن ليس فيه ترويض للالفاظ والعبارات وبعض العبارات متخلفة من الناحية العلمية وبعضها من حيث الصوت مكروه وغير مستساغ كما أن بعض الجمل يمتاز بالطول غير المناسب وبعضها الآخر معقد ومتشابه وأسلوب حالى أكثر بساطة وفصاحة من أسلوب السير سيد .

### \* السخرية والتعريض :

من المسلم به أن عصر شبلى قد انتشر فيه جو البحث والمناظرة والأدب الساخر حيث ازدهرت فى هذا العصر الميول والنزعات الساخرة وكان شبلى وأكبر إله آبادى من أكبر الممثلين لهذه النزعات . وكان شبلى- الذى يهمنى هنا- من أشد المناظرين حماسا وقد خلق اعتداده بالنفس قوة هائلة فى إظهار سخريته وكان يقدم شخصياته الساخرة فى شكل حواشى لاتزيد عن نصف جملة لكنها مؤثرة ولها فعل السحر، وأحيانا يقدم تلميحاته الساخرة فى شكل مصرع من الشعر الفارسى أو الأردى. (١)

وقد زادت الميول الساخرة عند شبلى دقة وعمقا مع مرور الأيام وقد وجه شبلى لسعاته الساخرة إلى الذين تلقوا التعليم الإنجليزى وقصيرى النظر من العلماء ومؤرخى أوروبا المتعصبين والساسة، وكان مؤرخو أوروبا المتعصبون أكثر الذين أمطروهم شبلى بوابل من سهام سخريته ومن بعدهم ذوو الثقافة الإنجليزية الذين يفخرون بالعبودية والتبعية الفكرية لأوربا، كما هاجم شبلى السير سيد أحمد خان وسخر منه باعتباره رائداً لأصحاب الثقافة الإنجليزية الحديثة ومن الذين يميلون أكثر إلى السياسة والحضارة الأوروبية. ونقل الفكاهة بشكل عام فى كتابات شبلى بينما تكثرت السخرية والنقد اللاذع فى الأمثلة التى يقدمها حيث يتوفر الدهاء فى الكلمات، ويوجد فى المأمون وسيرة النعمان عدد كبير من الطُرف. ويتجلى الأسلوب الساخر لشبلى فى كتابات رفاق شبلى مثل: سيد سليمان الندوى ومولانا حبيب الرحمن شروانى ومولانا عبد الماجد دريا آبادى ومولانا أبى الكلام آزاد الذين قلدوا أستاذهم الكبير فى السخرية واتبعوا الأسلوب الخاص بمدرسة شبلى، صحيح أن سخرية شبلى لاذعة وحادة جدا إلا أن كتاباته فيها تنظيم منطقى فأصبحت السخرية وسيلة مثلى للحبوبة والحماس والقوة فى

(١) الرجوع السابق: ١٦٦-١٦٩

نثره فُيتمتع بها الصديق وغير الصديق كلاهما على قدم المساواة.

إننا نجد في كتابات شبلي الصور الأربعة للأسلوب أي: الوصفي، والاستدلالي، والبياني، والتوضيحي. إلا أن أهمية شبلي تبدو لنا من زاويتين هما: شبلي الفيلسوف وشبلي المؤرخ حيث ساهمت المعقولات بشكل واضح في تشكيل أسلوبه فاتسمت بالوقار العلمي وتعد كتبه: الكلام وعلم الكلام والغزالي من أفضل نماذج النثر الفلسفي الأردني ولغة الخطاب فيها علمية، ورغم ذلك فإن بها وضوحاً وبساطة وصرامة وسلاسة ويبدو فيها الاستدلال المنطقي.

وقد تفوق شبلي في وصف المناظر العامة والصور فقدم لنا صوراً فنية في «المأمون» و«الفاروق»، كما أن الحوار في مؤلفات شبلي في موضعه تماماً ولا يخل بالمعنى العام للصورة التي يقدمها وعن طريق الحوار يقدم صورة ناجحة للجوانب النفسية والعاطفية وتتضح فيها أيضاً حركات وسكنات الشخصيات كما أن بعض الحوارات في كتاب «المأمون» نماذج جيدة للأسلوب المسرحي. ومن عيوب أسلوب شبلي تداخل العنصر الشخصي في كتاباته ووجود سيل من المبالغات في وصفه التاريخي<sup>(١)</sup>.

وكانت دراسة شبلي للقانون وعمله في المحاماة فترة من الوقت قد منحها أسلوبه نوعاً من الحجية والمجادلة لكتابة مذكرات الدفاع.

وتميز أسلوب شبلي في اللغة العربية بالسلاسة وعدم التأثر بالأسلوب الهندي في الكتابة وما يتسم به من إغراق في الكنايات والسجع والمحسنات اللفظية. يقول عبد الرازق: «لقد اعترف علماء مصر والشام بأسلوبه في الكتابة العربية بينما كان أسلوبه بالفارسية كاهل اللغة»<sup>(٢)</sup>.

يقول بابو سكسينه: «كان شبلي يفضل دائماً البساطة والوضوح في الكتابة ولم يكن يميل إلى التعقيد وفي أسلوبه بريق وقوة ويقل في أسلوبه وعباراته التكلف والبديع»<sup>(٣)</sup>.

لقد حصل شبلي على مكانة رفيعة في الأدب الأردني لأعماله الأدبية والعلمية وكذلك لأسلوبه المتميز الذي سيخلد في تاريخ اللغة الأردنية.

(١) سيد عبد الله: سر سيد أحمد خان اورانكي رفقا كي نثر كافكري اورفنى جاتره: ١٦٩ - ١٧٢

(٢) عبد الرازق: يادايام: ٦٤.

(٣) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب ادو: ٤٧٤ - ٤٧٥.

